The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Ossoule Ed-deen
Master Interpretation and Sciences of Quran



الجامعـــــــة الإســـلاميــة بغــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كليـــــــــــة أصـــــــول الـدين
ماجستير التفسير وعلــوم القـــرآن

التَّوجيهاتُ التَّربويَّةُ وأساليبُها المستنبَطَةُ مِنْ سُورةِ البقرةِ

الحزب الثاني – الآيات (75–141)

{دراسة موضوعية تطبيقية}

Educational Guidance and Methods Derived From Surat Al-Baqara -second party - verses (75-141)
{ Applied Objective Study}

إعدَادُ البَاحِثة
بيان محمد أبو جامع

إشرَافُ
الأستاذ الدُكتُور
رياض محمود قاسم

قُدمَ هَذه الرسالة اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي التفسير وعلوم القرآن بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة
اكتوبر/٢٠٢١م – ربيع أول/١٤٤٣

إقــــــرار





الجامعة الإسلامية بغزة
Islamic University of Gaza
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: ١١٥٠

الرقم Ref. ج س غ/٣٥/
التاريخ Date ٢٠٢١/١٠/٢٦م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **بيان محمد حرب ابو جامع** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ قسم **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

التَّوجيهاتُ التَّربويَّةُ وأساليبُها المستنبَطَةُ مِنْ سُورةِ البقرةِ
– الآيات (٧٥-١٤١) الحزب الثاني
}دراسة موضوعية تطبيقية{

Educational Guidance and Methods Derived From Surat Al-Baqara -second party - verses (75-141)
{{ Applied Objective Study

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم **الثلاثاء ١٩ ربيع الأول ١٤٤٣هـ** الموافق **٢٠٢١/١٠/٢٦م** الساعة **الثانية عشرة والنصف مساءً**، في **قاعة اجتماعات كلية أصول الدين** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. رياض محمود قاسم	**مشرفاً ورئيساً**	....
أ. د. زكريا ابراهيم الزميلي	**مناقشاً داخلياً**	....
د. نمر محمد أبو عون	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/قسم التفسير وعلوم القرآن**.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. يوسف ابراهيم الجيش

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine Tel: + 970 (8) 264 4400 هاتف: Fax: + 970 (8) 264 4800 فاكس: ص.ب 108 الرمال. غزة. فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps Postal code: P854-2061 الرمز البريدي:

نتيجة الحكم

ملخص الرسالة باللغة العربية

هدف الرسالة: استنباط أهم التوجيهات القرآنية التربوية وأساليبها المستنبطة من الحزب الثاني من سورة البقرة، وربطها بالواقع؛ لإيجاد حلول وبدائل للكثير من المشكلات في واقعنا المعاصر.

منهج الدراسة: المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وذلك حسب القواعد المتعارف عليها في التفسير الموضوعي.

تقسيم الدراسة: اشتملت هذه الدراسة على فصل تمهيدي بعنوان: مدخل إلى التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من الحزب الثاني من سورة البقرة، وفصلين، وخاتمة، الفصل الأول بعنوان: التوجيهات التربوية من الحزب الثاني من سورة البقرة، والفصل الثاني بعنوان: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية المستنبطة من الحزب الثاني من سورة البقرة.

أهم النتائج:

- ✓ سورة البقرة مدنية باتفاق، وهي أول سورة أنزلت بالمدينة، وفيها آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ، وهي أطول سور القرآن على الإطلاق، ومحورها الذي جاءت من أجله: (خلافة الله ﷻ في الأرض بين الجماعة المسلمة والجماعة المعادية للإسلام وأهله، وتوجيه وإرشاد الجماعة المسلمة من العثرات التي كانت سببا في صرف الجماعة الأخيرة عن الإيمان).
- ✓ حوت سورة البقرة الكثير من التوجيهات التربوية التي لها الأثر العظيم في حياة المسلمين.
- ✓ الدعوة للتحرر من الأهواء والشهوات، وتحذير الأمة الإسلامية من اتباع الشخصية اليهودية المنحرفة، التي تم الكشف عنها في هذه الدراسة.

أهم التوصيات:

- ✓ أوصي الأمة الإسلامية عامة، وطلبة العلم الشرعي خاصة إلى الامتثال لتوجيهات وإرشادات القرآن الكريم في مختلف شؤون حياتهم.
- ✓ أوصي الباحثين في سلك القرآن وعلومه أن ينهلوا من ينابيع القرآن وتوجيهاته التربوية التي لا تنضب ولا تبلى.

Abstract

The aim of the thesis: to derive the most important Quranic educational directives and their methods deduced from the second part of Surat Al-Baqarah, and linking them to reality; To find solutions and alternatives to many problems in our contemporary reality.

Study Methodology: The inductive deductive method, according to the known rules of objective interpretation.

Dividing the study: This study included an introductory chapter entitled: Introduction to the educational guidance and its methods derived from the second party of Surat Al-Baqarah, two chapters, and a conclusion, the first chapter entitled: educational guidance from the second party of Surat Al-Baqarah, and the second chapter entitled: Methods contained in the educational guidance derived from the second party of Surat Al-Baqarah.

The most important results:

- ✓ **Surat Al-Baqarah is agreed to be Madani, it is the first Surah revealed in Medina, it contains the last verse revealed to the Messenger of Allah, peace be upon him, it is the longest Surah of the Qur'an at all, and its axis for which it came: Almighty Allah's caliphate on earth between both Muslim group as well as the opponent group and its followers; guidance of Muslim group from the pitfalls that caused the Muslim group to turn away from the faith.**
- ✓ **Surat Al-Baqarah contains many educational guidelines that have a great impact on Muslims' lives.**
- ✓ **Calling for freedom from whims and desires, and warning the Islamic nation against following the deviant Jewish personality, which was revealed in this study.**

Most important recommendations:

- ✓ **I recommend the Islamic nation in general, and students of Islamic studies in particular, to comply with the directions and instructions of the Noble Qur'an in various matters of their lives.**
- ✓ **I recommend researchers in the field of Qur'an and its sciences to get as much as they can from the wells of Qur'an's inexhaustible and everlasting educational directions.**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء: ٨٢]

الإِهْدَاْءُ

إلى من قال: "(خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)[1]، إلى معلم البشرية، إلى الصادق الأمين، محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إلى من مهد لي طريق العلم، ووفر لي سبل الراحة لأحصل على أعلى الدرجات، إلى والدي الذي أحمل اسمه نسبًا، وأفخر به والدًا وحبيبًا ومرشدًا، من تحار فيه الكلمات، وتتلعثم في عد مآثره الحروف فجزاه الله عني خيرًا.

إلى من هي أحق الناس بحسن صحابتي، إلى أمي الحبيبة التي حبسها المرض عن حضور مناقشة رسالتي، أهديك حبي وودي، ودعائي بأن يشفيك الله شفاء لا يغادر سقما، فأنت منارة القلب وقبلته، والله إنك نعم الأم يا غاليتي

إلى إخوتي سندي وعضدي وودي وحبي (أخي سامر "أبو وئام"- وتامر "أبو بلال"، والدكتور: بلال، والدكتور: أسامة، وأحمد" أبو مالك") حفظهم الله ورعاهم.

إلى أخواتي الغاليات المؤنسات الحبيبات: (إيمان أرجو من الله أن يرزقها الذرية الصالحة، وإخلاص "أم ريان" أسأل الله العلي العظيم أن يشفي لها سراجا، وإسلام جزاها الله عني خير الجزاء.

إلى عمي وعمتي، إلى أخوالي وخالاتي

إلى قبلتي الأولى بيت المقدس وأكناف بيت المقدس

إلى الشهداء والجرحى

إلى الأسرى المستضعفين في سجون الاحتلال

إلى أسرى سجن جلبوع _ نفق الحرية_: (محمود، ومحمد، ويعقوب، وأيهم، وزكريا، ومناضل)

إلى أساتذتي وزميلاتي وصديقاتي، وإلى كل من كان له فضل علي في إتمام دراستي

وأخص بالذكر أخي وحبيبي وسندي ورفيقي في دراستي، الدكتور: أسامة محمد أبو جامع

إليهم جميعا أهدي هذا البحث المتواضع

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، بَابٌ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ (١٩٢/٦)، ح(٥٠٢٧).

شكرٌ وتقديرٌ

امتثالاً لقوله تعالى:﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[البقرة : ١٥٢]، واقتداءً بقول الرسول ﷺ: (مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ)(٢) فإني أولاً أحمد الله العظيم، حمداً كثيراً طيبياً مباركاً أن منَّ عليَّ بإتمام هذه الدراسة، ويسَّرها لي، فالحمد كلّه له وحده.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل، ومشرفي القدير، **فضيلة الأستاذ الدكتور: رياض محمود قاسم**، الذي جاد علي بتوجيهاته، وأفادني بعلمه ومعلوماته، وأحسن إلى بصبره وسعة صدره، وبذل الجهد الكبير في متابعة رسالتي حرفًا حرفاً، وكلمة كلمة، وجملة جملة، حتى خرجت بهذا المنظر البهيج.

وأتقدم بالشكر من عضوي لجنة المناقشة الكريمين:

الأستاذ الدكتور: زكريا إبراهيم الزميلي

وفضيلة الدكتور: نمر محمد أبو عون

لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإثرائها بالملحوظات القيمة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كلية الدعوة الإسلامية رائدة العلم الشرعي، ممثلة بعميدها الدكتور عبدالله يوسف أبو عليان، وإلى أساتذتها الكرام الذين نهلت من علمهم الكثير، وإلى الجامعة الإسلامية، جامعة العلم والعلماء، رائدة الصحوة الإسلامية في فلسطين.

كما وأشكر معلمتي وغاليتي، الأستاذة: نسرين صلاح أبو جراد، التي نهلت من خلقها، وعلمها، فغمرتني بحبها ودها، فنصحت وأفادت، فجزاها الله عني خير الجزاء.

وأشكر كل من أسدى إلي نصحًا، أو منحني علمًا، أو قدم لي عونا، أو تذكرني بدعوة في ظهر الغيب، أو تصدق علي بكلمة طيبة.

وفي الختام: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(٢) مسند أحمد (٢٣٣/١٨)، ح(١١٧٠٣)، قال الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص:١١٥٥).

فهرس المحتويات

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين وبشيرا للمؤمنين ونذيرا للمخالفين، أحمده سبحانه أن كرمنا بالقرآن العظيم والنّور المبين والصراط المستقيم، والدستور العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، علّم القرآن، وجعله أعظم تبيان، ثم الصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن ووصيته القرآن، وميراثه القرآن، القائل: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)(١) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فالقرآن الكريم هو الكتاب المعجز والمصدر الأوّل والأساس من مصادر التربية الإسلامية، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾[الإسراء:٩] فمن شرف القرآن الكريم أنه يهدي ويرشد ويوجه للتي هي أعدل وأقوم من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات وغيرها، فمن اهتدى واسترشد بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أمور حياته.

فالمتدبر لسور القرآن الكريم يجد في كل سورة منه سياسة تربوية توجيهية إسلامية تحوي مجموعة من القيم والمبادئ التي تُنظّم وتضبط سلوك الأفراد في مجالات الحياة المختلفة، وتكفل لهم السعادة في الدُّنيا، والآخرة.

ولما كانت كل سور القرآن تحتوي على سياسة تربوية توجيهية، كانت دراستي في سورة من هذه السور العظيمة سورة البقرة التي أمرنا النبي ﷺ بقراءتها وتعلمها فقال: (اقْرَؤُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ)(٢) وقال أيضًا: (يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ)(٣).

وفي ضوء ما عرضته هذه السورة العظيمة من سياسة تربوية في جوانب الحياة المختلفة كالجانب العقدي، والتعبدي، والأخلاقي، والاجتماعي، والعلمي، والأمني، كانت دراستي بعنوان:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، بَابٌ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ (١٩٢/٦)، ح(٥٠٢٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (١٩٧/٢)، ح(١٨٢٥).

(٣) المصدر السابق (١٩٧/٢)، ح(١٨٢٧).

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة البقرة الحزب الثاني- الآيات(٧٥-١٤١)- دراسة موضوعية قرآنية.

وهي ضمن سلسلة تربوية قرآنية تفسيرية اعتمدتها كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن في الجامعة الإسلامية- بغزة، ولقد أكرمني الله ﷻ بالمشاركة في هذه الدراسة العظيمة، فأسأل الله العلي العظيم أن يجعل عملنا كله صالحاً متقبلاً ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا بما جاء في هذه الدراسة، ويرزقنا العمل بها، والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أولًا: أهمية اختيار الموضوع

١. تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها متعلقة بأشرف العلوم وأشرف الكتب على الإطلاق، كتاب الله ﷻ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فشرف العلم من شرف المعلوم، والمعلوم في هذا كتاب الله ﷻ.
٢. تتجسد أهمية هذه الدراسة في الكشف عن عظمة القرآن الكريم في كونه منهج تربية رباني سماوي شامل متكامل للإنسان المسلم في كل تصرفاته وحركاته وسكناته، فكل ما يتعلق بالفرد قد وضعت له التربية القرآنية ما يصلحه، وما فيه سعادته في دينه ودنياه، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].
٣. تبرز أهمية هذه الدراسة في استنباط أهم التوجيهات والأساليب التربوية في الحزب الثاني من سورة البقرة، وربطها بالواقع، لإبراز دورها في التربية العقدية والتعبدية والأخلاقية والعلمية والأمنية.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع

١. التشرف بدراسة موضوع قرآني، يهدف لترسيخ قيم ومبادئ وتوجيهات تربوية في نفس الفرد المسلم، والأمة المسلمة.
٢. الاستفادة والإفادة العلمية من التوجيهات والأساليب التربوية المستنبطة من الحزب الثاني من سورة البقرة.

٣. توضيح دور القرآن الكريم في تربية وتوجيه الأمة إلى ما يصلحهم في حياتهم العلمية والعملية في كل مجالات حياتهم.
٤. الكشف عن النفسية اليهودية المنحرفة كما صورها القرآن الكريم، وتحذير الأمة من اتباعهم والتشبه بهم، والسير على منهجهم.
٥. بيان العقيدة الإسلامية الصحيحة الخالية من الانحرافات العقدية والفكرية.
٦. دراسة القرآن الكريم دراسة قرآنية توجيهية تربوية ترقى بالفرد المسلم والأمة المسلمة إلى الفهم الصحيح الخالي من الانحرافات الفكرية والعقائدية.
٧. حاجة الأمة الإسلامية لمثل هذه الدراسات القرآنية التوجيهية التربوية التي ترقى بها إلى سلم النجاة في الدنيا والآخرة.
٨. افتقار المكتبة الإسلامية إلى بحث علمي محكم، يخدم هذا الموضوع من جوانبه المختلفة كدراسة موضوعية قرآنية تفسيرية توجيهية تربوية.

ثالثًا: أهداف البحث وغاياته

١. ابتغاء الأجر من الله ﷻ بخدمة القرآن الكريم، من خلال البحث في إحدى موضوعاته، وفتح المجال أمام الباحثين لدراسة موضوعات قرآنية مشابهة لهذا الموضوع.
٢. إيجاد حلول وبدائل لكثير من المشكلات في واقعنا المعاصر من خلال هدايات وتوجيهات القرآن الكريم.
٣. الوقوف على التوجيهات والجوانب التربوية القرآنية التي تفيد كل من المعلم والمتعلم.
٤. إثراء المكتبة الإسلامية ببحث قرآني محكم يتحدث عن التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من الحزب الثاني من سورة البقرة.

رابعًا: الدراسات السابقة

بعد البحث والتنقيب في المكتبات الجامعية والشبكة العنكبوتية، وقفت على بعض الدراسات المتشابهة مع موضوع بحثي في سور أخرى من سور القرآن، ولكن لم أصل إلى رسالة علمية محكمة بهذا العنوان: التَّوجيهاتُ التَّربويَّةُ وأساليبُها المستنبَطَةُ مِنْ الحزبِ الثاني من سُورةِ البقرةِ، والتي هي ضمن سلسلة تربوية لطلبة الماجستير في كلية أصول الدين والتي

بعنوان: التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سور القرآن الكريم "دراسة موضوعية تطبيقية".

خامسًا: منهج الدراسة

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وذلك حسب القواعد المتعارف عليها في التفسير الموضوعي.

ويتمثل ذلك في الخطوات التالية:

١- جمعت الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الدراسة.

٢- وزعت الآيات المتعلقة بهذا الموضوع على فصول الدراسة ومباحثها ومطالبها وفق عناوينها وارتباط الآيات بها.

٣- رجعت لأمهات كتب التفسير القديمة والمعاصرة؛ من أجل الوقوف على معاني الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الدراسة.

٤- ذكرت أسباب النزول إن وجدت وبينت ما يترتب عليها من دلالات.

٥- كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني مشكلة برواية حفص عن عاصم ووضعتها بين قوسين مزخرفين وعزوتها بذكر اسم السورة، ورقم الآية وأوردتها في المتن تخفيفًا عن الحاشية.

٦- خرجت الأحاديث النبوية تخريجًا علميًا؛ وذلك بذكر اسم الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث، مع ذكري لحكم العلماء عليها إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما.

٧- عند اقتباسي النصي من كتابٍ معينٍ أضع الاقتباس بين علامتي تنصيص "   ".

٨- في حال تصرفي بالنص الأصلي وصياغته بالمعنى، أشير إلى ذلك بقولي: انظر.

٩- عند اقتباسي من نفس الكتاب بعده مباشرة، أكتب: المصدر السابق، الجزء، والصفحة.

١٠- في حال اقتباسي النصي، وتركي شيء من النص الأصلي أضع مكانه ثلاث نقاط.

١١- وثقت المصادر والمراجع في الحاشية دون تفصيل، مبتدئة بذكر اسم الكتاب ثم المؤلف، ثم الجزء والصفحة، مع ذكري للبيانات التفصيلية في فهرس المراجع.

١٢- أعددتُ الفهارس اللازمة لخدمة هذه الدراسة؛ لتسهيل الوصول لمحتويات هذه الدراسة.

١٣- راعيتُ الأمانة العلمية في النقل والتوثيق.

سادسًا: خطة البحث

انطلاقًا مما سبق فقد جعلت هيكلية الدراسة في:

مقدمة وتمهيد، وفصلين وخاتمة.

أما المقدمة: فقد تضمنت أهمية الموضوع وأسباب اختياره، أهداف البحث، الدراسات السابقة، منهجية البحث، خطة البحث.

الفصل التمهيدي

مدخل إلى التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من الحزب الثاني من سورة البقرة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التوجيهات التربوية وأساليبها بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التوجيهات التربوية لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: تعريف الأساليب التربوية لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني: بين يدي سورة البقرة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة وآياتها وترتيبها في المصحف.

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة.

المطلب الثالث: محور السورة الرئيس.

المطلب الرابع: مناسبات تتعلق بالسورة.

الفصل الأول

التوجيهات التربوية من الحزب الثاني من سورة البقرة

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: توجيهات تربوية عقدية عامة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بعبادة الله وحده وعدم الإشراك به

المطلب الثاني: الدعوة إلى اتباع ملة إبراهيم عليه السلام

المطلب الثالث: الإيمان كل لا يتجزأ

المطلب الرابع: الجزاء من جنس العمل

المبحث الثاني: توجيهات تربوية عقدية مستنبطة من النفسية اليهودية المنحرفة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: جرأة اليهود في التحريف، والاختلاق على الله عز وجل

المطلب الثاني: نقض اليهود للعهود والمواثيق التي أخذها الله عليهم

المطلب الثالث: ادعاء اليهود أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة

المطلب الرابع: نفسية اليهود المنحرفة تجاه الرسل والكتب والملائكة

المطلب الخامس: اتباع اليهود املاءات الشياطين واختلاقاتهم على ملك سليمان

المطلب السادس: ادعاءات اليهود الباطلة والرد عليها

المبحث الثالث: توجيهات تربوية تعبدية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وجوب الالتجاء إلى الله عز وجل بالعبادة البدنية والمالية

المطلب الثاني: وجوب التسليم المطلق لله عز وجل في أحكامه وشرائعه

المطلب الثالث: الحث على تذكر نعم الله عز وجل الدينية والدنيوية والتيقظ ليوم القيامة وأهواله

المبحث الرابع: توجيهات تربوية أخلاقية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بالإحسان الفعلي والقولي

المطلب الثاني: التحرر من اتباع الأهواء ووجوب ضبطها وفق شرع الله تعالى

المطلب الثالث: ذم الحسد والبغي وبيان سوء عاقبته

المطلب الرابع: النهي عن كثرة الأسئلة وطرحها على وجه التعنت

المبحث الخامس: توجيهات تربوية مستنبطة من آيات الأحكام

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب السادس: أسلوب النداء

المطلب السابع: أسلوب القصر والحصر

المطلب الثامن: أسلوب التعريف والتنكير

المطلب التاسع: أسلوب الاستعارة والتشبيه

المطلب العاشر: أسلوب الأمر والنهي

المطلب الحادي عشر: أسلوب الحذف والذكر

المطلب الثاني عشر: أسلوب التمني

المطلب الثالث عشر: أسلوب الجملة الاعتراضية

المطلب الرابع عشر: أسلوب الذم:

المطلب الخامس عشر: أسلوب القسم

المبحث الثاني: الأساليب التربوية:

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب القصة القرآنية

المطلب الثاني: أسلوب التكرار

المطلب الثالث: أسلوب الدعاء

المطلب الرابع: أسلوب الاطراد

المطلب الخامس: أسلوب الوعظ والإرشاد

المطلب السادس: أسلوب الإشهاد والشهادة

المطلب السابع: أسلوب الترغيب والترهيب

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة.

الفهارس، وتتضمن:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

الفصل التمهيدي

مدخل إلى التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من الحزب الثاني من سورة البقرة

المبحث الأول

التوجيهات التربوية وأساليبها بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

لابد لنا قبل الشروع في صلب الدراسة من بيان المعاني اللغوية والاصطلاحية التي يحتويها العنوان؛ لكي نصل بها إلى دلالات عنوان البحث.

المطلب الأول: تعريف التوجيهات التربوية لغَة واصطلاحًا

التوجيهات في اللغة: (وجه)"الواو والجيم والهاء: أصلٌ واحد يدلُّ على مقابلةٍ لشيء"[١]، "ووجه كل شيء: مستقبله، وفي التنزيل العزيز: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾[البقرة:١١٥]، وقوله تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا**﴾[الروم:٣٠]؛ أي اتبع الدين القيم،... ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به... وصرف الشيء عن وجهه أي سننه...، وما أدري أي وَجْهٍ وِجْهَتُك: أي أي طريق ومذهب"[٢]، والجمع أوجه ووجوه، قال اللحياني: وقد تكون الأوجه للكثير"[٣]، و"وجوه القرآن: معانيه"[٤]، قال أبو الدرداء ﷺ: "لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة"، أي ترى له وجوها فتهاب الإقدام عليه"[٥]، و"لا تكون فقيهًا كاملًا حتى تفهمَ مِن كل لفظٍ معانيَ كثيرة"[٦]، "ويقال: هذا وجه الرأي، أي هو الرأي نفسه"[٧]، ويقال: "يحتاج إلى توجيه سليم: أي إلى إرشاد، اختار توجيهًا يتلاءم مع تكوينه: اتجاهًا، توجهًا، قدم له توجيهات تربوية: تعليمات، إرشادات، يستنيرون بآرائه وتوجيهاته"[٨].

من خلال التعريفات السابقة تبين للباحثة أن التوجيهات في اللغة تدور حول المعاني الآتية: التعليم، الارشاد، المقابلة، الاستقبال، الاتباع، السبيل، الاتجاه، المعاني.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٨٩/٦).
(٢) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٣٩٧/٤).
(٣) لسان العرب، ابن منظور (٥٥٥/١٣).
(٤) معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (٧١٤/٥).
(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (٦٧/١).
(٦) المفاتيح في شرح المصابيح، الشيرازي (٣٣٤/١).
(٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (٢٢٥٥/٦).
(٨) معجم الغني، عبد الغني أبو العزم (ص: ٨٦٦١).

التوجيهات في الاصطلاح: "التَّعليمات التي يُزوِّد بها المسئول مرؤسيه والتي ترسم كيفيّة تنفيذ الأعمال"[1].

التربية في اللغة: "الراء والباء والحرف المعتل وكذلك المهموز منه يدلُّ على أصلٍ واحد، وهو الزِّيادة والنَّماء والعُلُوّ"[2]، "ربا الشئ يربو ربوا، أي زاد، قال الفراء في قوله تعالى: ﴿**فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً**﴾[الحاقة:١٠] أي زائدة، كقولك: أربيت، إذا أخذت أكثر مما أعطيت، وربيته تربية وتربيته، أي غذوته"[3]، وقال ابن الأثير: "الرَّبُّ يُطْلَقُ فِي اللُّغة عَلَى المالِك، وَالسَّيِّدِ، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّم، والمُنْعِم، وَلَا يُطلَقُ غيرَ مُضاف إلاَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَا أُطلِقَ عَلَى غيره أُضِيف... وَمِنْهُ حَدِيثُ إجابةِ المؤذِّن «اللَّهُم رَبَّ هَذِهِ الدَّعوةِ التَّامَّةِ» أَيْ صاحِبَها، وَقِيلَ المُتَمِّم لَهَا والزَّائد فِي أَهْلِهَا وَالْعَمَلِ بِهَا وَالْإِجَابَةِ لَهَا"[4]، و"قال الأصمعي: والعَرب تَقول: لِأَن يَرُبَّني فلانٌ أَحَبّ إليّ من أَن يَرُبّني فلَان"[5]، وفي لسان العرب: "وَرَبَّ المعروفَ والصَّنِيعةَ والنِّعْمةَ يَرُبُّها رَبّاً ورِباباً ورِبابةً، حَكَاهُمَا اللِّحْيَانِيُّ، ورَبَّبها: نَمَّاها، وزادَها، وأَتَمَّها، وأَصْلَحَها... أَبو عَمْرٍو: رَبْرَبَ الرجلُ، إذا رَبَّى يَتيماً، وَرَبَبْتُ الأَمْرَ، أَرُبُّه رَبّاً ورِبابةً: أَصْلَحْتُه ومَتَّنْتُه"[6]، "ورَبَّ فلان ولده يَرُبُّهُ رَبَّاً، ورَبَّبَهُ، وتَرَبَّبَهُ، بمعنىً أي رَبَّاهُ. والمَرْبوبُ: المُرَبَّى"[7].

من خلال التعريفات السابقة يتبين للباحثة أن التربية في اللغة تدور حول المعاني الآتية:

الزيادة، النماء، العلو، التغذية، التأديب، التمام، الإصلاح.

التربية في الاصطلاح: "الرب في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا، ثم وصف به تعالى للمبالغة"[8]، وقيل: التربية "رعاية الإنسان في جوانبه الجسمية والعقلية والعلمية والوجدانية والاجتماعية وتوجيهها نحو الصلاح والخير والوصول بها إلى

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار (٢٤٠١/٣).
(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٨٣/٢).
(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (٢٣٤٩/٦).
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٧٩/٢).
(٥) تهذيب اللغة، الأزهري (١٢٨/١٥).
(٦) لسان العرب ابن منظور (٤٠٥/١).
(٧) الصحاح في اللغة، الجوهري (٢٣٤/١).
(٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (٢٨/١).

الكمال"[1]، وقيل هي "عملية يُقصد بها تنمية وتطوير قدرات ومهارات الأفراد من أجل مواجهة متطلبات الحياة بأوجهها المختلفة، أو هي عملية بناء شخصية الأفراد بناء شاملاً كي يستطيعوا التعامل مع كل ما يحيط بهم، أو التأقلم والتكيف مع البيئة التي يعيشون بها، وتكون التربية للفرد والمجتمع"[2].

التربية من منظور إسلامي: "تنشئة الإنسان شيئًا فشيئًا في جميع جوانبه، ابتغاء سعادة الدارين وفق المنهج الإسلامي"[3].

وتقصد الباحثة بالتوجيهات التربوية: التعليمات والارشادات والعظات والوصايا القرآنية المستنبطة من الحزب الثاني من سورة البقرة، المتضمنة للآداب الإسلامية والشمائل الربانية العقدية والتعبدية والأخلاقية والفقهية والعلمية والأمنية المستوحاة من كتب التفسير وغيرها من الكتب وثيقة الصلة التي تسير بأخلاق وتصرفات وأفكار الجيل المسلم وفق منهج رباني شامل متكامل.

المطلب الثاني: تعريف الأساليب التربوية لغَة واصطلاحًا

الأسلوب في اللغة: أسلوب مفرد والجمع أساليب، و"يطلق الأسلوب في لغة العرب على إطلاقات مختلفة، فيقال للطريق بين الأشجار، وللفنّ، وللوجه، وللمذهب"[4]، "وكلُّ طريقٍ ممتدَ فهو أُسْلوب"[5]، "وَيُقَال سلكت أسلوب فلَان فِي كَذَا طَرِيقَته ومذهبه وَطَرِيقَة الْكَاتِب فِي كِتَابَته والفن يُقَال أَخذنَا فِي أساليب من القَوْل فنون متنوعة والصف من النّخل وَنَحْوه"[6]، ويطلق الأسلوب على النمط، فقيل: "أسلوب: نمط، سلكت أسلوب فلان في معالجة المشكلة– لكلّ إنسان أسلوب في الحياة، طريقة في الكتابة "لكلّ أديب أسلوبُه– يُغَيّر أسلوبه، أساليب القول:

---

(١) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد (ص: ٩).

(٢) الخلاصة في أصول التربية الإسلامية، علي بن نايف الشحود (ص: ٨).

(٣) أصول التربية الإسلامية، خالد بن حامد الحازمي (ص: ١٩).

(٤) معجم مصطلح الأصول، هيثم هلال (معاصر) (ص: ٢٨).

(٥) تهذيب اللغة، للأزهري (٣٠٢/١٢).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون (٤٤١/١).

فنونه المتنوِّعة– أسلوب العصر: السِّمة الغالبة على العصر، وسيلة، طريقة الوصول إلى المطلوب"[١].

من خلال التعريفات السابقة يتبين للباحثة أن الأسلوب في اللغة يدور حول المعاني الآتية: المذهب، الطريق، الوسيلة، النمط، الفن، الوجه، السمة.

الأسلوب في الاصطلاح: "هو المعنَى المَصُوغُ في ألفاظ مؤَلفة على صورة تكونُ أَقربَ لنَيْل الغرض المقصود من الكلام وأفعل في نفوس سامعيه"[٢].

وقيل: "الأسلوب هو الطريقة التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك"[٣].

الأسلوب القرآني: "هو الكيفيّة والطريقة التي انتهجها القرآن الكريم وانفرد بها في تأليفه الكلام، واختياره الألفاظ المناسبة المتسقة مع السياق"[٤].

وتقصد الباحثة بالأسلوب التربوي القرآني: الطرق والوسائل التي انتهجها القرآن الكريم ووظفها في تربية وتوجيه وتهذيب النفس الإنسانية وإصلاحها وتقويم سلوكها وأخلاقها وتصرفاتها وأفكارها؛ بغية السمو بها في جميع جوانبها العقدية والتعبدية والأخلاقية والعلمية والأمنية.

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار (١٠٨٩/٢).

(٢) البلاغةُ الواضِحَةُ، علي الجارم ومصطفى أمين (ص: ١٧).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزُّرْقاني (٣٠٣/٢).

(٤) انظر: المصدر السابق (٣٠٣/٢).

المبحث الثاني

بين يدي سورة البقرة

جدير بالباحثة قبل الشروع في دراسة التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من الحزب الثاني من سورة البقرة أن تقف عند هذه السورة المباركة لتتعرف عليها بصورة مجملة من حيث اسمها وعدد آياتها وترتيبها في المصحف، وزمان ومكان نزولها، ومحورها الرئيس، والمناسبات التي تتعلق بها بشيء من الإيجاز والاختصار.

المطلب الأول: أسماء السورة وآياتها وترتيبها في المصحف

أولًا: أسماء السورة

ذكرت في كتب التفسير والحديث عدة أسماء لسورة البقرة، منها:

١. **البقرة:** هذا هو الاسم المشهور، فقد ورد هذا الاسم لها في عدة أحاديث، منها قوله ﷺ: (لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ)(١)، وقوله ﷺ: (مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ)(٢) يقول علي نايف في كتابه المفَصَّلُ في موضوعات سور القرآن: "ووجه تسميتها أنها ذكرت فيها قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لتكون آية ووصف سوء فهمهم لذلك، وهي مما انفردت هذه السورة بذكره، وعندي أنها أضيفت إلى قصة البقرة تمييزاً لها عن السور آل آلم من الحروف المقطعة لأنهم كانوا ربما جعلوا تلك الحروف المُقَطعة أسماء للسور الواقعة هي فيها وعرفوها بها نحو : طه ، ويس ، وص". (٣)

٢. **الزهراء:** سميت بهذا الاسم هي وسورة آل عمران قال ﷺ: (اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد، (٥٣٩/١) ح(٧٨٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة (١٨٨/٦)، ح(٥٠٠٩).

(٣) المفَصَّلُ في موضوعات سور القرآن (ص: ١١٨).

حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ)[1]، وقيل في سبب تسميتهما بالزهراوين أنهما "سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما"[2]، ويقول البقاعي: سميت سورة البقرة بالزهراء؛ "لإنارتها طريق الهداية والكفاية في الدنيا والآخرة"[3].

٣. **فسطاط القرآن:** قال القرطبي: "وهذه السورة فضلها عظيم وثوابها جسيم، ويقال لها: فسطاط القرآن، وذلك لعظمها وبهائها، وكثرة أحكامها ومواعظها"[4].

٤. **سنام القرآن:** "لأن سنام كل شيء أعلاه"[5]، وقيل: سميت "بالسنام لأنه ليس في الإيمان بالغيب بعد التوحيد الذي هو الأساس الذي ينبني عليه كل خير والمنتهى الذي هو غاية السير والعالي على كل غير بأعلى ولا أجمع من الإيمان بالآخرة، ولأن السنام أعلى ما في بطن المطية الحاملة والكتاب الذي هي سورته هو أعلى ما في الحامل للأمر وهو الشرع الذي أتاهم به رسولهمﷺ"[6].

ثانيًا: عدد آياتها وترتيبها في المصحف

سورة البقرة هي السورة الثانية في ترتيب المصحف الشريف بعد الفاتحة وقبل آل عمران، وعدد آياتها "مائتان وخمس وثمانون آية في عدّ الشامي، والمكي والمدني، وست في عدد الكوفي، وسبع في عدد البصري وعطاء بن يسار "[7].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر، باب فضل استماع القرآن (٥٥٣/١)،ح(٨٠٤).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (٩٠/٦).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (٥٧/١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٥٢/١).

(٥) بيان المعاني، عبد القادر العاني (٤/٥).

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (٥٧/١).

(٧) فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، ابن الجوزي (ص: ٢٧٩).

المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة

"سورة البقرة مدنية بلا خلاف وهي أول سورة أنزلت بالمدينة"(١)، وفيها آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ"(٢)، وهي: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾[البقرة: ٢٨٠]، "فإنها نزلت يوم النّحر بمنى في حجّة الوداع"(٣) السنة العاشرة للهجرة، "وهي أطول سور القرآن على الإطلاق، والمرجح أن آياتها لم تنزل متوالية كلها حتى اكتملت قبل نزول آيات من سور أخرى"(٤)، فهي "نزلت في مدد شتى"(٥).

المطلب الثالث: محور السورة الرئيس

تناولت سورة البقرة عدّة موضوعات يجمعها ويربط بينها محور واحد يضم خطين مترابطين.. فهي من ناحية تتحدث عن الجماعة المسلمة في أول نشأتها التي أخذت تنمو وتترعرع وتقوى شوكتها في المدينة، وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، ومن ناحية أخرى تتحدث عن الجماعات المحاربة للإسلام والمسلمين وبخاصة بني إسرائيل والمراحل التي مروا بها واستقبالهم للدعوة الإسلامية ومواجهتهم للرسول ﷺ وللمسلمين معه، وكل ما يدور حول هذه الحوادث من صوارف اليهود عن الإيمان ونقضهم للعهود والمواثيق ومن العلاقة القوية بينهم وبين المنافقين من جهة، وبينهم وبين والمشركين من جهة أخرى، ومن ثم إرشاد وتوجيه الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي كانت سببًا في صرف وانحراف بني إسرائيل عن الإيمان الحق(٦).

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي (ص: ٢٤).
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٨١/١).
(٣) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (٢٤/١).
(٤) في ظلال القرآن، السيد قطب (٢٢١/١).
(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٥٢/١).
(٦) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٢١٣/١).

المطلب الرابع: مناسبات تتعلق بسورة البقرة

قال السيوطي في الاتقان: "المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه"(١).

قال الزركشي في البرهان عن أهمية ذكر المناسبات: "واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول... وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"(٢).

وممن أكثر من ذكر المناسبات في تفسيره الإمام الرازي وقد قال خلال تفسيره لسورة البقرة: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته"(٣)، وقال في موضع آخر: " أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"(٤).

إذن فإن من علوم القرآن العظيم مناسبة بداية السور وأواخرها ومقاطعها كما صرح بذلك بعض المفسرين، ولأهمية هذا العلم كان لابد للباحثة من بيان بعض وجوه المناسبات المتعلقة بسورة البقرة التي أنا بصدد الحديث عنها:

أولًا: المناسبة بين أول السورة وخاتمتها

افتتحت سورة البقرة بقوله تعالى:﴿**الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ* وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾[البقرة: ١-٤].

وختتمت بقوله تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ* لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[البقرة: ٢٨٥-٢٨٦].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٣/٣٧١).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/٣٥).

(٣) مفاتيح الغيب (٧/١٠٦).

(٤) المصدر السابق (١٠/١١٠).

ففي افتتاح السورة تحدث عن المؤمنين المتقين وصفاتهم التي يعرفون ويتميزون بها، وفي ختامها بين امتثال وتحلي الرسول ﷺ والذين معه بهذه الصفات، "فالبدء بالغيب بشكل عام وإقامة فرائض الإسلام، والإيمان بما أنزل إلى الرسول وما أنزل من قبل واليقين بالآخرة، وفي الختام الحديث عن إيمان الرسول والمؤمنين بما أنزل إليه وبالله وملائكته، وهن من الغيب وبالكتب والرسالات السابقة وسؤال الله المغفرة فإليه المصير يوم القيامة"(١).

قال الأصبهاني في بيان وجه المناسبة بين أول سورة البقرة وآخرها: "وافق آخرها أولها من ذكر أوصاف المؤمنين، ثم الإشارة إلى وصف الكافرين"(٢).

وقال السيوطي في الإتقان: "فإن أول السورة كان حديثا عن القرآن وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين"(٣).

ثانيًا: المناسبة بين اسم السورة ومضمونها

لقد جسّدت سورة البقرة السمات النفسية والعقدية لبني إسرائيل، وكانت تلك السمات أكثر وضوحًا في قصة البقرة فسميت السورة باسمها، لكي يتذكر المسلم المُعد للخلافة على هذه الأرض سمات هذه النفسية المنحرفة ويعمل على تجنبها والابتعاد عنها.

ثالثًا: المناسبة بين سورة البقرة وسورة الفاتحة

لما بين ﷻ في سورة الفاتحة طلب عباده المخلصين للهداية على الطريق المستقيم أجاب طلبهم في أول سورة البقرة فأرشدهم ووجههم وبين لهم طريق الهدى وأنه هذا الكتاب الذي لا شك فيه، وبين لهم صفات المهتدين الممنوحين بالهداية ليحث على التخلق بصفاتهم، ثم أعقبه ﷻ ببيان صفات الكافرين الهالكين ليبتعدوا عن طريقهم، وليتجنبوا صفاتهم.

ومن أوجه التناسب الظاهر بين السورتين أن سورة البقرة شارحة ومفصلة وموضحة لسورة الفاتحة؛ "فسورة الفاتحة قد اشتملت على أحكام الألوهية والعبودية وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم اشتمالًا إجماليًا، فجاءت سورة البقرة ففصلت تلك المقاصد، ووضحت ما اشتملت عليه

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (ص: ٧٦).

(٢) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع (ص: ٤٨).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٢/٢٩١).

سورة الفاتحة من هدايات وتوجيهات"[1]، "ولما افتتح سبحانه الفاتحة بالأمر الظاهر وكان وراء كل ظاهر باطن افتتح هذه السورة بما بطن سره وخفي إلا على من شاء الله تعالى أمره"[2].

رابعًا: المناسبة بين سورة البقرة وآل عمران

اخرج مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: **(اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ)**[3]، ففي الحديث ما يدل على التناسب والترابط والتلازم بين هاتين السورتين الكريمتين.

أوجه التناسب بين السورتين أنهما افتتحتا بذكر الكتاب فجاء في سورة البقرة مجملاً مبهمًا في قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾[البقرة:٢] وجاء في سورة آل عمران مبسطًا مفصلًا مؤكدًا ومصرحًا لما في البقرة، فقال تعالى:﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران:٣]، وقال أيضًا: ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[آل عمران:٧]، يقول البقاعي في نظم الدرر: "فكان ما في البقرة إفصاحاً في سورة آل عمران إلاحة، وكان ما في البقرة إلاحة في سورة آل عمران إفصاحاً، إلا ما اطلع في كل واحدة منهما من تصريح الأخرى؛ فلذلك هما سورتان مرتبطتان وغيايتان وغمامتان تظلان صاحبهما يوم القيامة"[4].

ومن أوجه التناسب بين السورتين ما قاله السيوطي: "سورة البقرة تضمنت قواعد الدين، وآل عمران مكملة لمقصودها، فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب

---

(١) المفَصَّلُ في موضوعات سور القرآن، علي بن نايف الشحود (ص: ١٢٣).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (١/١٠١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر (١/٥٥٣)، ح(٨٠٤).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤/١٩١).

عن شبهات الخصوم؛ ولهذا ورد فيها كثير من المتشابه لما تمسك به النصارى، فأوجب الحج في آل عمران، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه(١).

فسورة البقرة بمنزلة إقامة الحجج والأدلة والبراهين على العقائد والتشريعات، وسورة آل عمران بمنزلة إزالة الشبهات عن تلك العقائد والتشريعات ولهذا تكرر فيها بيان حقيقة الكتاب من إنزال الكتاب وغيره، وتكررت فيها قوله ﷻ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَما أُنْزِلَ﴾[البقرة: ١٣٦] بأكملها ولهذا ذكر في آل عمران ما هو لازم لما ذكر في البقرة، فذكر في البقرة خلق الناس، وفي آل عمران تصويرهم في الأرحام، وذكر في البقرة مبدأ خلق آدم، وفي آل عمران مبدأ خلق ذريته(٢).

ومما يؤكد التناسب والتلازم والترابط بين السورتين، تناسب فاتحة سورة البقرة لخاتمة سورة آل عمران؛ فسورة البقرة افتتحت بقوله ﷻ:﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[البقرة:٤] وسورة آل عمران ختمت بقوله ﷻ:﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾[آل عمران:١٩٩]، وأيضًا سورة البقرة افتتحت بذكر المتقين، وأنهم هم المفلحون﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة: ٥]، وسورة آل عمران خُتمت بقوله ﷻ:﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:٢٠٠].

(١) أسرار ترتيب القرآن (ص: ٥٣).

(٢) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (٧١/٢).

الفصل الأول

التوجيهات التربوية من الحزب الثاني من

سورة البقرة

المبحث الأول

توجيهات تربوية عقدية عامة

المطلب الأول: وجوب عبادة الله وحده وعدم الإشراك به

خلق الله ﷻ الخلق كلهم من إنس وجن لغاية العبادة، ليعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئا، فقال ﷻ في محكم التنزيل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، وقال ﷻ:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:٢١]، وقال ﷻ:﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[البينة:٥]، والرسل كلهم أرسلوا لهذا الأمر العظيم، قال ﷻ:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦] فهذا هو الأصل الذي خلق الله الخلق لأجله، وأرسل الرسل لتبليغه، وهذا هو الأساس الذي بني عليه الدين الإسلامي، فأساس الدين الإسلامي عبادة الله ﷻ وحده، وإخلاص العمل له سبحانه، والانقياد له بالطاعة والاستسلام لأوامره ونواهيه.

العبادة لغة واصطلاحا:

العبادة في اللغة: "أَصل العُبودِيَّة الخُضوع والتذلُّل... قَالَ الأَزهري: وَلَا يُقَالُ عَبَدَ يَعْبُدُ عِبادة إلا لِمَنْ يَعْبُد اللَّهَ، وَمَنْ عَبَدَ دُونَهُ إِلهاً فَهُوَ مِنَ الْخَاسِرِينَ"[(١)]، قال الزجاج في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، "اللَّه ﷻ قد علم من قبل أن يَخْلُقَ الجنَّ والإِنسَ من يعبده مِمَّنْ يكفر به، فلو كان إنما خلقهم ليجبرهم على عِبَادَتِه لكانوا كلهم عباداً مؤمنين ولم يكن منهم ضُلَّالٌ كافِرونَ، فالمعنى: وما خلقت الجنَّ والإِنس إلا لأدعوهم إلى عِبَادَتِي، وأنا مرِيدُ العِبَادَةَ مِنْهُمْ"[(٢)].

العبادة في الاصطلاح: "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبرّ الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (٢٧١/٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٥٨/٥).

للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة"[(١)].

أنواع العبادات التي أمر الله بها:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)[(٢)] "فأخبرﷺ أن دين الإسلام مبني على هذه الأركان الخمسة وهي الأعمال، فدل على أن الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له، بفعل المأمور، وترك المحظور، والإخلاص في ذلك لله، وقد تضمن ذلك جميع أنواع العبادة، فيجب إخلاصها لله تعالى، فَمَنْ أشرك بين الله تعالى وبين غيره في شيء فليس بمسلم"[(٣)].

أمر الله ﷻ بأنواع كثيرة من العبادات منها: الإسلام والإيمان والإحسان والخشوع والخشية، والدعاء والخوف والرجاء، وغيرها.

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن العبادات على كثرتها ترجع إلى أربعة أنواع:

النوع الأول/ عبادات قلبية: تختص بعمل القلب، كالحب والخوف والرجاء، قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**﴾[البقرة: ١٦٥].

النوع الثاني/ عبادات قولية: تختص بعمل اللسان، كنطق الشهادتين والدعاء والذكر والشكر، قال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾[البقرة: ١٥٢].

النوع الثالث/ عبادات بدنية: تختص بعمل الجوارح، كالصلاة والصيام والحج والعمرة والجهاد، قال تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾[البقرة: ٤٣].

النوع الرابع/ عبادات مالية: تختص بالأموال، كالزكاة والصدقة والذبح للأضحية أو العقيقة أو الهدي وغيرها، وقد توعد الله ﷻ من يكنزون الأموال ولا ينفقونها لمستحقيها بقوله ﷻ:﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[التوبة: ٣٤].

فكل نوع من هذه الأنواع لا يستحقها إلا الله ﷻ وحده، فمن صرفها لغير الله تعالى فقد أشرك به.

---

(١) العبودية، ابن تيمية (٤٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس» (١/١١)، ح(٨).

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، ابن عبد الوهاب (ص: ٢٣).

شروط العبادة: للعبادة عدة شروط لا تتحقق إلا بها:

جميع الأعمال التي تصدر من الإنسان المسلم تعد عبادة في حال توفرت فيها عدة شروط:

الشرط الأول/ النية، إذ لا بد للعبادة من إخلاص النية فيها إلى الله ﷻ، قال ﷺ: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)[(١)] فصحة ما يقع من العبد من قول أو فعل مترتب على النية، فالنية يشترط وجودها في جميع الأعمال الصالحة حتى تقبل عند الله ﷻ ويثاب عليها العبد.

الشرط الثاني/ موافقة الشرع، إذ لابد للأعمال أن تكون ضمن حدود الله ورسوله، إذ لو صلى إنسان على غير الكيفية التي علمنا اياها رسول الله ﷺ لما صحت عبادته؛ لأنها خالفت شرطًا من شروط العبادة الصحيحة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وجماع الدين" أصلان: " ألا نعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف:١١٠]، وذلك تحقيق " الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدا رسول الله، ففي الأولى أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية أن محمدا هو رسوله المبلغ عنه، فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره"[(٢)].

الشرط الثالث/ صحة الاعتقاد: "أن تكون العبادة مبنية على أساس عقدي صحيح"[(٣)]، فعمل العبد لا بد أن يكون مقرونا بالإيمان، والتصديق بما جاء عن الله وعن رسوله"؛ لأن الله ﷻ يقول:﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[النحل:٩٧]، فقيد سبحانه وتعالى العمل الصالح بالإيمان، وبمفهوم المخالفة إن كان غير مؤمن فلن يقبل منه العمل الصالح[(٤)].

فلا بدَّ من تحقق هذه الشروط في العبادة حتى تكون مقبولةً عند الله ﷻ.

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء االوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ (١/٦)، ح(١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢٣٤).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (٢/٤٤٠).

(٤) انظر: المصدر السابق (٢/٤٤٠).

ورود الدعوة إلى الله ﷻ وحده وعدم الإشراك به في الحزب الثاني من سورة البقرة:

تناولت سورة البقرة العديد من الشرائع التي تعد من أصول الدين، التي أمر الله بها كل الشرائع السماوية، والتي لا يتطرق اليها النسخ بأي حال؛ لاشتمالها على مصالح العباد، ولصلاحيتها لكل زمان ومكان(١)، ولقد جاءت جميع العقائد السماوية لتقرير عقيدة واحدة وهي العبوديّة المطلقة لله تعالى، وترك عبادة من سواه، كما وتميزت الشريعة الإسلامية بتنوع العبادات، وامتزاجها بجميع جوانب الحياة المختلفة؛ فالإحسان مع الناس يُعَدُّ من العِبادة.

قال ﷻ:﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[البقرة:٨٣]، قد تضمنت هذه الآية لونا فريدا من الإرشاد والتوجيه القرآني المحكم لبني إسرائيل الذي لو عملوا به لعظمت صلتهم مع الله وخلقه، لأنها ابتدأت بأمرهم بأعلى الحقوق وأوكدها وهو حق الله ﷻ عليهم، بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، ثم بينت حقوق الناس، ثم وجهتهم إلى العبادات التي تعينهم على توثيق صلتهم بالله وخلقه، وكان من الواجب على بني إسرائيل أن يمتثلوا بهذه الأوامر، ولكنهم تولوا عنها، فوبخهم الله ﷻ(٢) بقوله:﴿**ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[البقرة: ٨٣]، "وقد كان سبب ذلك التولي مع الإعراض أن الله أمرهم ألا يأخذوا الدين إلا من كتابه فاتخذوا أحبارهم أربابا من دون الله، يحلون برأيهم ويحرمون..."(٣).

يقول الزحيلي: "إن الأمور التي ذكّر الله ﷻ بها بني إسرائيل في هذه الآية، أمر بها جميع الخلق، ولذلك خلقهم، وهي تكوّن النظام الديني والأخلاقي والاجتماعي"(٤)، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾[الأنبياء: ٢٥].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص: ٥٧).

(٢) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١/١٨٩).

(٣) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (١/٣٠٦).

(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (١/٢١٠).

وفي الصحيح عن معاذ بن جبل ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: (يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ؟، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ)[١].

إذن "الأصل الأول لدين الله ﷻ على ألسنة جميع رسله هو أن يعبد الله وحده، ولا يشرك به عبادة أحد سواه من ملك ولا بشر ولا ما دونهما بدعاء ولا بغيره من أنواع العبادة"[٢].

المطلب الثاني: الدعوة إلى اتباع ملة إبراهيم عليه السلام

ملة إبراهيم عليه السلام هي الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله ﷻ لعباده، وهي الملة القائمة على التوحيد والإسلام الخالص لله ﷻ، التي عليها جميع الأنبياء، وهي طريق الهداية، قال ﷻ في محكم التنزيل:﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾[البقرة:١٢٠]، فهدى الله ﷻ: "هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل"[٣]، " الذي يهدي إلى الإسلام وهو الهدى الحق، والذي يصلح أن يسمى هدى، وهو الهدى كله ليس وراءه هدى، وما يدعون إلى اتباعه ما هو بهدى إنما هو هوى"[٤]، وفي الآية "تهديد شديد ووعيد للأمة في اتباع طرائق اليهود والنصارى، بعدما علموا من القرآن والسنّة"[٥].

إذن هدى الله ﷻ هو الإسلام الواجب علينا اتباعه، أما غيره من الملل الأخرى فهو مبني على الهوى والضلال، لذلك حذر الله ﷻ النبي ﷺ وأمته من بعده من اتباع أهواء أهل الكتاب.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (١١٤/٩)،ح(٧٣٧٣).

(٢) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (٣٠٣/١).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢٠٤/١).

(٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي (٢٩/٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤٠٣/١).

الرد على أهل الكتاب الداعين إلى اتباع دينهم، والزاعمين أنهم وحدهم على الدين الحق:

١. أن الملة الصحيحة الواجبة الاتباع هي ملة إبراهيم ﷺ، قال تعالى في الرد على اليهود والنصارى الداعين إلى اتباع ملتهم:﴿**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[البقرة: ١٣٥] قال طنطاوي: "وقد تضمن هذا القول إبطال ما ادعاه كل من اليهود والنصارى...، وقوله تعالى: (بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) دعوة لليهود إلى اتباع ملة إبراهيم لاستقامتها، ولبعدها عن الشرك، وفي ذلك تعريض بأن ملتهم ليست مستقيمة، بل هي معوجة، وبأن دعواهم اتباع إبراهيم لا أساس لها من الصحة لأنهم أشركوا مع الله آلهة أخرى، ونسبوا إلى الله تعالى ما لا يليق به"[١].

٢. أن الله ﷻ أعلن للمؤمنين جميعًا وحدة الدين الإسلامي الكبرى، ووحدة العقيدة والتشريع، من لدن أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ إلى النبي محمد ﷺ، يقول طنطاوي: "أرشد الله ﷻ المؤمنين إلى جواب جامع وكلمة سواء تفيد نبذ التعصب جانبًا وتدعو إلى اتباع الوحى الإلهي الذي أرسل الله به الرسل مبشرين ومنذرين بدون تفرقة بين أحد منهم، وهو يتضمن دعوة أهل الكتاب إلى الطريق الحق فقال تعالى:﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[البقرة:١٣٦]"[٢].

٣. أن الله ﷻ وجه النبي ﷺ وأرشده إلى دفع مخاصمة المشركين بقوله: ﴿**قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ**﴾[البقرة:١٣٩]، أتناظروننا وتجادلوننا في توحيد الله ﷻ والإخلاص له والانقياد والاستسلام لأمره، واجتناب نواهيه وهو ربنا وربكم إله واحد متصرف فينا وفيكم، مستحق لإخلاص العبودية له وحده لا شريك له![٣].

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٢٨٢).

(٢) المصدر السابق (١/٢٨٣).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/٤٥١).

فمن أين لكم ادّعاء الهداية واحتكارها على أنفسكم دون غيركم، والله رب الجميع، لا فرق بيننا وبينكم في العبودية له ﷻ، فهو خالق الجميع، ومالك أمر الجميع، ولكل منهم عمله، والله سيجازي كل إنسان بعمله، فالتفاضل بين الناس لا يكون إلا بالتقوى والعمل الصالح[(١)].

٤. أن الله ﷻ أنكر على اليهود والنصارى قولهم إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا على دين اليهود أو النصارى، بقوله ﷻ:﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطَ كانُوا هُوداً أَوْ نَصارى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:١٤٠] فأخبر ﷻ أنهم لم يكونوا على دين اليهود أو النصارى بل كانوا حنفاء مسلمين:﴿ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرانِيًّا* وَلكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران: ٦٧]، ولا أحد أظلم منكم حين تفترون الكذب على الله ﷻ وحين تخفون الشهادة الحقة الثابتة عندكم، وتختلقون خلافها، وما الله بغافل عما تفترون، بل سيجازيكم على أعمالكم.

٥. ملة إبراهيم عليه السلام هي العقيدة الجوهرية القائمة على العبودية المطلقة لله ﷻ دون سواه:

"إن ملة إبراهيم، القائمة على توحيد الله، وإفراده بالألوهية والربوبية دون سواه، كانت ولا تزال وستظل دائمًا هي الملة الوحيدة التي بعث الله بها كافة الأنبياء والرسل، والعقيدة الجوهرية التي أوحى الله بها إلى الناس، وطالبهم بالإيمان بها في كتبه المنزلة، تعريفًا للخلق بخالقهم بديع السموات والأرض"[(٢)] ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[البقرة: ١٣٠].

يقول الله ﷻ ردًا على من أشرك به، وخالف ملة إبراهيم عليه السلام، بأن إبراهيم عليه السلام كان مخلصًا مستقيمًا موحدًا لله ﷻ، فلم يدع معه آلهة أخرى، وتبرأ من كل معبود سواه، وخالف في ذلك جميع قومه، حتى أنه قد تبرأ من أبيه[(٣)]، فقال ﷻ حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (١/٣٣٠).
(٢) التيسير في أحاديث التفسير، محمد الناصري (١/٨١).
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/٤٤٥).

﴿الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: ٧٨-٧٩]، وقَالَ ﷻ:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ* إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾[الزُّخْرُف: ٢٦- ٢٧]، فلهذا قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[البقرة: ١٣٠]، وهذا "إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة إبراهيم"[(١)]، ومن يرغب عن ملة ومنهج وطريق إبراهيم عليه السلام إلا من ظلم نفسه بسفهه وجهله وسوء فهمه وتدبيره، ببعده عن طريق الاستقامة والهداية والرشاد، وبمخالفته طريق من اصطفاه الله ﷻ في الدنيا، إلى أن اتخذه الله خليلًا وهو في الآخرة من الصالحين السعداء[(٢)].

وهذا إعلام من الله ﷻ لخلقه بأن من خالف ما جاء به محمد ﷺ فهو لملة إبراهيم عليه السلام مخالف؛ وذلك أن الله ﷻ اصطفاه خليلا له، وأكرمه بالإمامة على الناس، وأخبر أن الحنيفية المسلمة هي ملته، ففي هذا بيان واضح من الله ﷻ عن أن من خالفه فهو عدو لله، لمخالفته للإمام الذي نصبه الله ﷻ لعباده[(٣)].

٦. أن الله ﷻ أمر المؤمنين أيضًا أن يعلنوا أن ما هم عليه هو صبغته ﷻ فقال: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[البقرة: ١٣٥]، وهذه الآية "استمرار للرد على دعاة اليهودية والنصرانية ومزاعمهم أن الهدى عندهم، أمرنا الله ﷻ أن نعلن أن الهداية في ملة إبراهيم ونحن عليها، وأمرنا أن نعلن إيماننا بكل وحي أنزله، وأمرنا أن نعلن أن ما نحن عليه هو صبغة الله، وأنه لا أحسن من ذلك، وأننا مخلصون له العبادة فمن اجتمع له ذلك فهو على الهداية الكاملة، لا من زعم أن الهداية عنده بلا دليل"[(٤)]، "صبغة الله هنا حديثا عن أثر الإيمان الذى أمر به المسلمون في الآية قولوا آمنا... فالإيمان الصحيح الشامل يطهر النفوس، فتصبح هذه الأنفس بالإيمان ذات لون رباني"[(٥)]، "وتختتم الآية بهذه العبارة اللطيفة (وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) أي أن الله هدانا بهدايته، وأرشدنا الى حجته، ونحن لا نخضع

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (١٨٩/١).
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ابن كثير (٤٤٥/١).
(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٩١/٣).
(٤) الأساس في التفسير، حوى (٢٨٢/١).
(٥) المصدر السابق (٢٨٢/١).

إلا لله، ولا نتبع إلا ما هدانا وأرشدنا اليه، فلا نتخذ الأحبار والرهبان أربابا يزيدون في ديننا وينقصون"(١)، فالدين روحه التوحيد، وأساسه الإخلاص، وهذا ما دعا إليه سائر الأنبياء، من لدن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ، أما الدعاوي والافتراءات والأكاذيب التي صدرت من اليهود والنصارى، فكلها باطلة دحضها القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾[البقرة:١٣٩]، وقوله:﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾[البقرة: ١٤٠]، وقوله:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾[البقرة:١٤٠](٢).

ملة إبراهيم عليه السلام هي الدين الإسلامي الخالد الذي توارثه سائر الأنبياء والرسل:

بعث الله ﷻ سائر الرسل الكرام لدعوة الناس لعبادته وتوحيده وإخلاص العمل له وحده، فكانوا أول العابدين المنقادين المستسلمين له، يقول ﷻ حكاية عن دعوته لإبراهيم عليه السلام:﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:١٣١] وهذا يدل على سرعة مبادرة وامتثال إبراهيم عليه السلام لربه بقوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مستسلمًا، منقادًا، مخلصًا، وموحدًا، ومحبًا، ومنيبًا إليه.

و" لما كان من شأن أهل الحق والحكمة أن يكونوا حريصين على صلاح أنفسهم وصلاح أمتهم كان من مكملات ذلك أن يحرصوا على دوام الحق في الناس..؛ فكان من سننهم التوصية لمن يظنونهم خلفا عنهم في الناس؛ بأن لا يحيدوا عن طريق الحق ولا يفرطوا فيما حصل لهم منه، فإن حصوله بمجاهدة نفوس ومرور أزمان، فكان لذلك أمرًا نفيسًا يجدر أن يحتفظ به"(٣)، لذلك لم يكن إسلام إبراهيم عليه السلام مقتصرًا على نفسه، بل وصى بهذه الملة بنيه من بعده، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[الزخرف: ٢٨] أي في ذريته، فورثوها عنه جيلًا بعد جيل، حتى وصلت إلى نبي الله يعقوب عليه السلام، فوصى بها بنيه من بعده، قال تعالى:﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٢].

وهذه الآية شروعٌ في بيان تكميل إبراهيم عليه السلام لذريته من بعده إثرَ بيانِ كماله في نفسه، وفيها توكيدٌ لوجوب الرغبة والالتزام بملة ومنهج ومسلك إبراهيم عليه السلام(٤).

---

(١) تيسير التفسير، القطان (٧١/١).

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (٣٣٢/١).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٧٢٧/١).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١٦٣/١).

"والتوصيةُ التقدمُ إلى الغير بما فيه خيرٌ وصلاح للمسلمين من فعلٍ أو قولٍ"[١]، قال ابن عاشور: "والإيصاء أمر أو نهي يتعلق بصلاح المخاطب خصوصا أو عموما، وفي فوته ضر، فالوصية أبلغ من مطلق أمر ونهي فلا تطلق إلا في حيث يخاف الفوات، إما بالنسبة لِلْمُوصِي ولذلك كثر الإيصاء عند توقع الموت، كما قال ﷻ:﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٣]...، وإما بالنسبة إلى الْمُوصَى كالوصية عند السفر، فوصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام إما عند الموت، كما تشعر به الآية الآتية: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ) وإما في مظان خشية الفوات"[٢].

إن المتأمل في وصية إبراهيم ﷺ يجد أنها قد اشتملت على عدة لطائف وأمور ترغب في قبول الدين الحنيف، ومن هذه اللطائف:

أولًا: تصدرت الآية الكريمة بلفظ الوصية، دون لفظ الأمر، فلم يقل ﷻ وأمر بها إبراهيم بنيه، بل قال (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ)، ولفظ الوصية آكد من لفظ الأمر، لأن الوصية نتيجة الخوف من الموت، فيكون ارتباط الإنسان بدينه أشد وأتم، فإذا عرف أن إبراهيم ﷺ كان مشددا على هذا الأمر حال موته، كان قبوله أقرب.

ثانيًا: تخصيص إبراهيم ﷺ جميع بنيه بتلك الوصية دون غيرهم؛ لأن الأبوة تقتضي شفقة وخوف الرجل على أبنائه أكثر من شفقته على غيرهم، فلما خصهم بذلك عند قرب أجله، تبين أن اهتمامه بذلك كان أشد من عنايته بغيره.

ثالثًا: أن إبراهيم ﷺ جعل الوصية مطلقة غير مقيدة بزمان أو مكان، وزجرهم أشد الزجر من أن يموتوا غير مسلمين، لبيان شدة عنايته بهذا الأمر.

رابعًا: أن إبراهيم ﷺ أفرد هذه الوصية لأهميتها، ولم يقرنها بوصايا أُخر، ليدل الدلالة الواضحة على شدة تمسكه واهتمامه بهذا الأمر.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١/١٦٣).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/٧٢٧).

خامسًا: عناية إبراهيم عليه السلام بهذا الأمر، مع فضله، وحسن منهجه، وكمال سيرته، يدل على أن هذا الأمر أولى وأجدر الأمور بالاهتمام وحسن الرعاية والعناية، فهذا سبب تخصيص بنيه بهذه الوصية، وإلا فمن المعلوم أن إبراهيم عليه السلام كان يدعو الناس كافة إلى الدين الإسلامي[١].

(أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي) إنه لمشهد عظيم في لحظة موت واحتضار، ميت يحتضر، فما هي القضية التي تشغله وهو في سكرات الموت؟ وما الذي يريد أن يطمئن عليه قبل وفاته؟ ما هي التركة التي يريد أن يوصي بها لأبنائه؟ إنها العقيدة هي التركة، وهي الأمر الجلل وهي القضية الكبرى، وهي الشغل الشاغل، الذي لا تشغل عنه سكرات الموت وشدته[٢].

ابتلاء إبراهيم عليه السلام وتكليفه بمنصب الإمامة:

لما كان إبراهيم عليه السلام نموذجا للمسلم الكامل، كان قدوة لجميع المسلمين، يقول سبحانه وتعالى منبهًا على عظم وشرف خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[البقرة:١٢٤] ابتلاه الله عز وجل بالإمامة، "والإمامة وإن تكن نعمة وفضلًا من الله، فهي ابتلاء، لما لها من أعباء، لا يقدر على حملها والوفاء بها على وجهها إلا أولو العزم من النّاس، وقد كان إبراهيم قدوة للناس في قيامه على هذه الإمامة، فنوّه الله به في أكثر من موضع في القرآن الكريم، فقال:﴿**وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ**﴾[النجم:٣٧] أي وفّى الأمانة التي أداها على وجهها كاملة"[٣]، فلما وفّى إبراهيم عليه السلام بما أمره الله عز وجل جعله إمامًا وقدوة للناس في العبادة والشريعة، وهذا دليل على أن درجة الأخيار والأئمة الأبرار لا يبلغها الإنسان إلا بالصبر ومجاهدة النفس، فلما أكرمه الله عز وجل بالإمامة[٤]، طلبها لذريته، لرغبته في علو درجتهم تبعًا لدرجته، وهذا من موجبات إمامته، وحبه ونصحه لذريته،

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي (٤/٦٤).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (١/٣٢١).

(٣) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب (١/١٣٩).

(٤) انظر: بحر العلوم، السمرقندي (١/٩١).

فجاءه الرد من الله ﷻ الذي يقرر القاعدة الأساس في الإمامة بأن الإمامة لا تكون إلا لمن استحقها بإيمانه وعمله وصلاحه وأخلاقه وخضوعه وإنابته لله ﷻ[1].

إمامة الكعبة واختصاصها بشرف عظيم

ثم لما كانت القبلة مرتكزا من مرتكزات العبادة، هيأ الله ﷻ لإبراهيم عليه السلام بها طريق الهداية والإرشاد فذكرها وجعلها "نموذجًا باقيًا دالًا على إمامة إبراهيم، وهو هذا البيت الحرام الذي جعل قصده، ركنا من أركان الإسلام، حاطا للذنوب والآثام، وفيه من آثار الخليل وذريته، ما عرف به إمامته، وتذكرت به حالته "[2] فقال:﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾[البقرة: ١٢٥].

ذَكَّر الله ﷻ الناس في هذه الآيات بنعم كثيرة أنعمها عليهم، منها:

١. جعل الكعبة مثابة للناس: مرجعا وملجأ ومآبا للناس، يقصدونه ويثوبون إليه للعبادة وقت الحج وغيره، وفي ذلك تنشيط لحركة الاقتصاد.

٢. جعله مأمنا يأمنون إليه: يطمئنون فيه من المخاوف، فمن دخله كان آمنا.

٣. جعل مقام إبراهيم محلًا للعبادة، أمر الله ﷻ المسلمين أن يتخذوا من مقامه مصلّى، بأن يقدموه على غيره في الصلاة، لفضله وشرفه بقيام إبراهيم عليه السلام فيه، وفي الصحيح عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **(وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)**[3].

٤. طهارة البيت: فالبيت طاهر مطهر، وصى الله ﷻ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بتطهيره من الأوثان وعبادة الأصنام التي كان عليها مشركو العرب قبل أن يصبح في قبضة إبراهيم عليه السلام، وتطهيره من الأرجاس والأدناس الحسية والمعنوية، لجميع أصناف العابدين فيه للطائفين والعاكفين والراكعين الساجدين[4]، وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال:

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٣١٦/١).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص: ٦٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة، ومن لم ير الإعادة على من سها، فصلى إلى غير القبلة (٨٩/١)، ح(٤٠٢).

(٤) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (٣٠٥/١).

(دخل النبي ﷺ مكة، وحول الكعبة ثلاث مائة وستون نصبا، فجعل يطعنها بعود في يده، وجعل يقول: ﴿جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً﴾[الإسراء:٨١])(١).

دعوات ورغبات إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يبنيان البيت الحرام

إن عبادة الدعاء تُعد من أعظم وأهم العبادات؛ لأنها تجمع بين الكثير من العبادات الدالة على إخلاص العبد بإيمانه لله ﷻ، والتي تتمثل في استسلام العبد وخضوعه لله، وذله بين يديه وافتقاره إليه، فهو من أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه، لما فيه من الفضل والأجر والبركة والفلاح في الدنيا والآخرة، الذي لو علمه المسلم وأدركه لواظب عليه ولجأ إليه في السراء والضراء وفي الشدة والرخاء، إيمانًا ويقينًا منه باستجابة الله ﷻ، وهذا اليقين بتحقيق وعد الله ﷻ بالاستجابة لمن دعاه هو أثمن وأعظم ما في هذه العبادة قال تعالى:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[سورة البقرة:١٨٦]، فالدعاء هو الدليل القاطع على الإيمان بالله ﷻ، والبرهان الساطع على توحيد العبد لله ﷻ، والشاهد العظيم على خضوع وذل العبد لله ﷻ، وإقراره بعظمة الخالق ﷻ.

والدعاء يُعد من الوسائل الناجعة الناجحة المثمرة في التربية؛ فهو وسيلة من وسائل تربية النفس، والذرية، والأمة، وقد دعانا الله ﷻ إلى الدعاء وعدم الاستكبار عن هذه العبادة العظيمة، فقال ﷻ:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠]، فلو اقتفينا سيرة النبي ﷺ لوجدناها مليئة بالدروس والمواعظ ذات الأثر العظيم في صلاح أمته، واستقامة سلوكها، وكذلك لو تدبرنا الكثير من الآيات القرآنية لوجدناها مليئة بنماذج من الدعوات التي تضرع بها الأنبياء السابقون لله ﷻ، وبما أننا في سياق الحديث عن ملة إبراهيم عليه السلام، والبيت الحرام، سأعرض نماذج من الدعوات التي تضرع بها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى ربهما، من خلال محورين في سورة البقرة:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر، أو تخرق الزقاق، فإن كسر صنما، أو صليبا، أو طنبورا، أو ما لا ينتفع بخشبه (١٣٦/٣)، ح(٢٤٧٨).

المحور الأول: دعوة إبراهيم ﷺ لأهل مكة

وبعد أن جعل الله ﷻ الكعبة مثابة للناس وأمنا، وبعد أن جعل مقام إبراهيم مصلّى للمؤمنين، وبعد أن وصى إبراهيم وإسماعيل عليهما بتطهير البيت من الأرجاس والأدناس الحسية والمعنوية، حينها توجه إبراهيم ﷺ إلى الله ﷻ بدعوات طيبات لبلد هذا البيت وأهله، فقال: حكاية عن إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة: ١٢٦]، توجه إبراهيم ﷺ في هذه الآية إلى ربه بدعوتين:

الدعوة الأولى: أمن الحرم (وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً) اجعل البلد الذي جعلت فيه بيتك وأسكنته من ذريتي بَلَداً يأمن من يسكنه من الخوف، بلدًا يأنس الناس فيه، وقد أجاب الله ﷻ دعوة نبيه إبراهيم ﷺ فقال: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾[آل عمران: ٩٧] يقصد البلد الحرام، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ* أَفَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾[العنكبوت: ٦٧]، إلى غير ذلك من الآيات التي ذكرت استجابة دعوة الله لنبيه إبراهيم، ولم يقتصر ذلك على الآيات القرآنية بل إن هناك العديد من الأحاديث التي صحت بتحريم القتال في هذا البلد، ففي صحيح مسلم عن جابر، قال: (سمعت النبي ﷺ يقول: لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح)(١)، وقال أيضًا: (إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلاَ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا، فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ)(٢)، فهذه مكة منذ سنين وحتى هذه اللحظة من دخلها ملأ الله ﷻ قلبه أمنًا وأمانًا وسكينةً واطمئنانًا؛ ببركة دعاء إبراهيم ﷺ.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب النهي عن حمل السلاح بمكة بلا حاجة (٩٨٩/٢)، ح(١٣٥٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، ليبلغ العلم الشاهد الغائب (٣٢/١)، ح(١٠٤).

الدعوة الثانية: رزق أهله (وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) "وقد أجاب الله دعوة إبراهيم عليه السلام؛ فحملت الثمار من سائر الأقطار إلى الحرم؛ قبل أن يتذوقها زارعوها وحاملوها؛ وقد تجد بين أيديهم فاكهة الصيف في الشتاء؛ وفاكهة الشتاء في الصيف..."[(١)].

أدب إبراهيم عليه السلام في سؤاله الله عز وجل

حينما طلب إبراهيم عليه السلام من الله عز وجل الإمامة في ذريته، وعظه الله عز وجل وبين له بأنه لا ينال الإمامة في الدين من ظلم نفسه، فأدرك إبراهيم عليه السلام هذا الدرس من الله عز وجل، وتأدب وعمل به عند دعائه لأهل مكة بأن يرزقهم الله من الثمرات، احترس واستثنى وحدد منهم :(مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) إنه إبراهيم الأواه الحليم القانت الخاضع المستقيم، يتمثل كلام الله عز وجل في أقواله وأفعاله، ويتأدب بآدابه التي علمه إياها، فيراعيها في طلبه ودعائه، وعندئذ آتاه الرد المكمل والمبين للجزء الذي سكت عنه، جزء الذين لا يؤمنون، ومآلهم الأليم:(قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)[(٢)]، "وخص إبراهيم المؤمنين بطلب الرزق لهم حرصا على شيوع الإيمان بين سكان مكة، لأنهم إذا علموا أن دعوة إبراهيم إنما هي خاصة بالمؤمنين تجنبوا ما يبعدهم عن الإيمان، أو أنه خص المؤمنين بذلك تأدبا مع الله عز وجل"[(٣)].

ثانيًا: دعوات ورغبات إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يبنيان البيت الحرام

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يبنيان البيت دعوا الله عز وجل وتضرعا اليه، بعدة دعوات:

١. دعوة القبول: قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٢٧]، "وتصدير الدعاء بندائه سبحانه وتعالى باسم الرب المضاف إلى ضميرهما مظهر من مظاهر خضوعهما، وإجلالهما لمقامه، والخضوع له سبحانه وتعالى، وإجلال مقامه من أسنى الآداب التي تجعل الدعاء بمقربة من الاستجابة"[(٤)]، "وماذا في ثنايا الدعاء؟ إنه أدب النبوة، وإيمان النبوة، وشعور النبوة بقيمة العقيدة في هذا الوجود، وهو الأدب والإيمان والشعور الذي يريد القرآن أن يعلمه لورثة الأنبياء، وأن يعمقه في

(١) أوضح التفاسير، الخطيب (٢٣/١).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٣١٧/١).

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٢٧١/١).

(٤) المصدر السابق (٢٧٢/١).

قلوبهم ومشاعرهم بهذا الإيحاء: (رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)، إنه طلب القبول، هذه هي الغاية، فهو عمل خالص لله، الاتجاه به في قنوت وخشوع إلى الله، والغاية المرتجاة من ورائه هي الرضى والقبول"(١)، يقول طنطاوي: "وختما دعاءهما بذكر اسمين من أسمائه الحسنى، ليؤكدا أن رجاءهما في استجابة دعائهما وثيق، وأن ما عملاه ابتغاء مرضاته جدير بالقبول، لأن من كان سميعا عليما بنيات الداعين وصدق ضمائرهم، كان تفضله باستجابة دعاء المخلصين في طاعته غير بعيد"(٢).

عن ابن عباس ﷺ قصة إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام وهما يبنيان البيت: (قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولاَنِ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[البقرة:١٢٧])(٣).

٢. دعوة الهداية لهما: قال ﷻ:﴿رَبَّنا وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنا مَناسِكَنا وَتُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٢٨].

" فقال: (رَبَّنا وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ)، مسلمين من الإسلام، وهو الخضوع والإذعان، وقد كانا خاضعين لله مذعنين في كل حال، وإنما طلبا الثبات والدوام على ذلك، والإسلام الذي هو الخضوع لله بحق إنما يتحقق بعقيدة التوحيد، وتحري ما رسمه الشارع في العبادات والمعاملات، والإخلاص في أداء ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه"(٤)، فإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لم يطلبا من الله ﷻ لنفسهما عرضًا من أعراض الدنيا الزائلة، وإن كانت مباحة، ولكنهما قدما الآخرة على الدنيا، فكانا من الفائزين بالدنيا والآخرة.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٣١٨/١).

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (٢٧٢/١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥] (١٤٢/٤)، ح(٣٣٦٤).

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (٢٧٣/١).

٣. دعوة الهداية لذريتهما: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنا مَناسِكَنا﴾[البقرة:١٢٨]، هذا هو طابع الأمة المسلمة الخاضعة لله ﷻ، طابع التضامن الديني العقائدي، فهذه دعوة تكشف عن أولى اهتمامات القلب المؤمن، فالعقيدة هي قضيته الأولى، وهمه الأول، وهي شغله الشاغل، وشعور إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بعظمة نعمة الإيمان التي أسبغها الله عليهما، تدفعهما إلى الحرص الشديد على وجودها في ذريتهما، وإلى التضرع لله ﷻ أن يكرم وينعم على ذريتهما بهذا الإنعام الذي لا يكافئه إنعام.[١]، "وإنما خص الذرية بالدعاء لأنهم أحق بالشفقة، ولأنهم إذا صلحوا صلح بهم الأتباع ولأن صلاح الذرية مرغوب فيه طبعا، والدعاء لهم بالصلاح مرغب فيه شرعا"[٢].

٤. دعوة قبول التوبة: قال ﷻ: ﴿وَتُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٢٨]،" وإبراهيم وإسماعيل- عليهما السلام- قد طلبا قبول توبتهما صراحة في قولهما (وَتُبْ عَلَيْنا) ولوجًا إلى طلب الرحمة بذكر اسمه الرحيم، إذ الرحمة صفة من أثرها الإحسان، فكأنهما قالا: تب علينا وارحمنا، وهذا من أكمل آداب الدعاء وأرجاها للقبول عند الله تعالى"[٣].

٥. دعوة بعثة الرسولﷺ: قال ﷻ:﴿ رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة: ١٢٩]، "يقال: إنه لم يدع نبي إلا لنفسه ولأمته، إلا إبراهيم فإنه دعا مع دعائه لنفسه ولأمته ولهذه الامة"[٤]، "ولقد حقق الله تعالى دعوة هذين النبيين الكريمين، فأرسل في ذريتهما رسولًا منهما، وهو محمد ﷺ أرسله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا"[٥]، قال ﷻ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ﴾[البقرة:١١٩] والمعنى: إنا أرسلناك يا محمد

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٣١٩/١).
(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (٢٧٣/١).
(٣) المصدر السابق (٢٧٤/١).
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٢٦/٢).
(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (٢٧٥/١).

بالعقيدة الصحيحة المشتملة على الأحكام الصادقة، لتبشر بالثواب أهل الإيمان والصلاح، وتنذر بالعقاب أهل الكفر والعصيان[(١)].

المطلب الثالث: الإيمان كل لا يتجزأ

الإيمان في اللغة: (الْإِيمَان) "هُوَ مصدر آمن يُؤمن إِيمَانًا؛ فَهُوَ مُؤمن، وَاتفقَ أهل الْعلم من اللُّغويين أَن (الْإِيمَان) مَعْنَاهُ: التَّصْدِيق؛ قَالَ تعالى:﴿ **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾[الحجرات: ١٤]"[(٢)].

الإيمان في الاصطلاح: "التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به؛ والانقياد ظاهرا وباطنا، فهو تصديق القلب واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب وأعمال البدن، وذلك شامل للقيام بالدين كله،... وهو قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فهو يشمل عقائد الإيمان، وأخلاقه، وأعماله"[(٣)]، لا يثبت حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق"[(٤)].

ولقد بين النبي ﷺ حقيقة الإيمان في سؤال جبريل عليه السلام، في الصحيح عن أبي هريرة، قال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ)[(٥)].

وفي قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾[البقرة: ١٧٧] إخبار من الله ﷻ بحقيقة البر: هو الإيمان بالله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والعمل

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/٢٦١).

(٢) تهذيب اللغة، الأزهري (١٥/٣٦٨)، ومختار الصحاح، الرازي (٢٢).

(٣) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبد الرحمن سعدي (٤٢).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، أبي العز الحنفي (٢/٥١٣).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (١/١٩)،ح(٥٠).

بباقي أنواع البر الواردة في الآية كالصدقة.... فذكر ﷻ من أركان الإيمان: الإيمان بالكتاب، ولتقرير الإيمان بالكتب كلها أمر الله عباده المؤمنين أن يخاطبوا أهل الكتاب[١] بقوله تعالى:﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٦]، يقول ابن كثير:" أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصلا وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملا ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأنهم لا يفرقون بين أحد منهم، بل يؤمنون بهم كلهم، ولا يكونوا كمن قال الله فيهم"[٢]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا*أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[النساء: ١٥٠-١٥١]، فكفرهم واقع بهم؛ لأنهم لم يؤمنوا بحقيقة الإيمان الشرعي، ففرقوا في الإيمان بين الأنبياء، وفي صحيح البخاري (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: (آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا))[٣].

فهذا هو المعتقد الصحيح، هذا هو دين الله ﷻ الذي بلغه الأنبياء والرسل إلى الناس جميعا.. فمن فرق بالإيمان بين الرسل فآمن برسول من رسل الله ولم يؤمن بآخر، فليس من المؤمنين، ومن آمن بكتاب من كتب الله وكفر بآخر، فهو من الكافرين[٤]، إن الإيمان الذي دعا الله ﷻ إليه، وقامت عليه دعوة الرسل والأنبياء، واتبعه المسلمون واستقاموا عليه، هو الإيمان الشامل الكامل القائم على الإيمان بالله ورسله وكتبه وبكل ما أنزل الله ﷻ بدون تفريق، يقول الرازي: "اعلم أنه تعالى لمّا بيّن الطريق الواضح في الدين، وهو أن يعترف الإنسان بنبوة من قامت

---

(١) انظر: كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، (ص: ١٢٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٤٨/١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) [البقرة: ١٣٦]، (٢٠/٦)، ح(٤٤٨٥).

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب (١٤٦/١).

الدلالة على نبوته، وأن يحترز في ذلك عن المناقضة: رغبهم في مثل هذا الإيمان"(١) فقال تعالى:﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٣٧] "يقرر السياق الحقيقة الكبيرة، ويثبت عليها المؤمنين بهذه العقيدة حقيقة أن هذه العقيدة هي الهدى من اتبعها فقد اهتدى، ومن أعرض عنها فلن يستقر على أصل ثابت، ومن ثم يظل في شقاق مع الشيع المختلفة التي لا تلتقي على قرار"(٢).

وهذه الشهادة من الله ﷻ تلقي في قلب المؤمن الفخر والاعتزاز بهدايته إلى هذه العقيدة القويمة، ومن لا يؤمن بها فهو المحارب للحق المعادي لهدى الله تعالى، فليس على المؤمن من شقاقهم وكيدهم ومكرهم وجدالهم، فالله يتولاهم عنه، وهو سبحانه كافيه وحسبه(٣).

إذن من خلال ما تقدم تبين لنا أن الإيمان الحق يوجب التصديق والعمل بكل ما أنزل الله ﷻ.

العقاب الدنيوي والأخروي للمفرقين بين الرسل وتطبيق الأحكام:

إن التفريق بين الرسل والكتب، بالإيمان ببعضها دون البعض الآخر ليس بإيمان، وإنما هو الكفر بعينه، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[النساء:١٥٠-١٥٢]، وقد أنكر الله ﷻ على الذين يفرقون بين أحكامه التي شرعها لهم، فيؤمنون ببعضها ويكفرون ببعض، وتوعدهم بالذل والهوان والفضيحة والخزي في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة، فقال ﷻ في سياق الحديث عن بني إسرائيل ونقضهم للميثاق:﴿...أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٨٥]، "وفي الآية الكريمة دليل واضح على أن الذي يؤمن ببعض ما تقرر في الدين بالدليل القاطع ويكفر ببعضه، يدخل في زمرة الكافرين؛ لأن الإيمان كل لا يتجزأ"(٤)، "وتلك سنة الله في كل أمة لا تتمسك بدينها ولا تربط شئونها بأحكام شريعتها وآدابها، ولما كان

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (٧٣/٤).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (٣٢٢/١).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٣٢٢/١).

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١٩٣/١).

البعض قد يتوهم أن خزيهم في الدنيا قد يكون سببا في تخفيف العذاب عنهم في الأخرى، نفى ﷻ هذا التوهم، وبين أنهم يوم القيامة سيصيرون إلى ما هو أشد منه؛ لأن الله ﷻ ليس ساهيا عن أعمالهم حتى يترك مجازاتهم عليها، فالمراد من نفى الغفلة نفى ما يتسبب عنها من ترك المجازاة لهم على شرورهم، وفي ذلك دليل على أن الله ﷻ يعاقب الحائدين عن طريقه المستقيم، بعقوبات في الدنيا، وفي الآخرة، جزاء طغيانهم، وإصرارهم على السيئات"(١).

ثم بين ﷻ علة هذا الوعيد الشديد، وأخبر عن سبب خزيهم وضلالهم فقال تعالى:﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾[البقرة: ٨٦] "أي جعلوا حظوظهم من الحياة الدنيا بدلا من الآخرة بما فرطوا في جنب الله، وأهملوا من شريعته، حتى لم يتبعوا منها إلا ما يوافق أهواءهم، ولا يعارض شهواتهم...(فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ)؛ لأن علته ذاتية فيهم، وهي ظلمة أرواحهم وفساد أخلاقهم (وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ) بشفاعة شافع، أو ولاية ولي من دون الله"(٢)، "وهكذا كل أمة ذات دين، تؤدي بعض أحكامه كالصلاة والصوم والحج، وتخالف أحكامه الأخرى، فلم تؤد الزكاة وامتنع الأغنياء عن أداء حقوق الفقراء، وشاع فيها الربا والزنا والسرقة والرشوة والبغي والظلم، وأهملت الأسس التي يقوم عليها بنيان النظام الحكومي من العدل، والمساواة، والشورى، والجهاد في سبيل الله ونصرة المؤمنين المستضعفين، فإنها معرّضة للخزي (الهوان) في الدنيا، والعذاب في نار جهنم في الآخرة"(٣).

"وقد دل المعقول، وشهد الوجود بأنه ما من أمة فسقت عن أمر ربها، واعتدت حدود شريعتها، إلا وانتكث فتلها، وتفرق شملها، ونزل بها الذل والهوان، وهو الخزي المراد في القرآن، وهذه هي سنة الخليقة، ذكرها ليعتبر بها من صرفته الغفلة عنها"(٤).

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١/١٩٤).
(٢) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (١/٣١٠).
(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (١/٢١٦).
(٤) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (١/٣٠٩).

المطلب الرابع: الجزاء من جنس العمل

قال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[الزلزلة:٧-٨] الجزاء من جنس العمل، قاعدة شرعية، وسنة كونية، وقانونٌ إلهي وضعه الله ﷻ منذ أن خلق الخلق، لتكون لهم رادعًا وزاجرًا عن السيئات فهي سنة كلية شاملة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، فكما تدين تدان، فلا بد أن نضع هذه القاعدة نصب أعيننا، لتهدينا إلى صالح أعمالنا، وتزجرنا عن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، فلنحاسب أنفسنا بمقتضى هذه القاعدة التي هي صورة لأعمالنا، قال الله ﷻ:﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء:١٤]، فكفى بأنفسنا حسيبا علينا، تحصي علينا ما عملنا، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، فضمائرنا شاهدة لنا أو علينا، ثم قال تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء: ١٥]، وهذه الآية تؤكد على أن الجزاء من جنس العمل من خلال عدة حقائق:

الحقيقة الأولى: أن أعمال الإنسان عائدة عليه، إن اختار الهدى طريقا له فهدايته تعود عليه بالخير، وإن اختار الضلال طريقا له، فضلاله عائد عليه بالشر، فالله ﷻ قد رسم له طريق الحق والضلال على ألسنة أنبيائه، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾[يونس:١٠٨]. فالله ﷻ رسم للإنسان الهداية، ودعاه اليها، وخيره بينها وبين الضلال، وحمله نتيجة اختياره، فإذا ما اختار طريق الضلال فضلاله راجع إليه، وإذا اختار الهدى فهداه راجع إليه.

الحقيقة الثانية: أن الإنسان ليس له إلا ما سعى إليه وكسب، فهو غير مسؤول عن غيره، ولا يتحمل إلا وزره، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[فاطر: ١١٨]، وقد حذر الله ﷻ أهل الكتاب من اليهود والنصارى من ترك طاعته اتكالا على انتسابهم للأنبياء الصالحين السالفين فقال:﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَلا تُسْئَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[البقرة:١٣٤] وقد جاءت الآية الكريمة لتؤكد وتقرر أن دين الله ﷻ واحد، وهو دين الإسلام، الذي دعت إليه جميع الرسل، وروحُه التوحيد والاستسلام والذل والخضوع لله ﷻ والإذعان لدعوة الأنبياء، تلك أمة إبراهيم ويعقوب والصالحين من بنيهما، وهي جماعة قد مضت

لها ما فعلت في إسلامها من الاعتقادات وغيرها من الأعمال، ولكم ما فعلتم من الهدى أو الضلال، فهم لا يُسألون عن أعمالكم ولا أنتم تسألون عن أعمالهم، فأولئك لا ينفعهم إلا ما عملوه، وأنتم كذلك لا ينفعكم إلا ما عملتم إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، فهذه سنة الله بخلقه لا يحاسب أحد إلا بعمله[١].

الحقيقة الثالثة: أنه لا عذاب إلا بعد الإنذار، قال الله تعالى:﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**﴾[البقرة:١١٩] يقول الله ﷻ مخاطبا النبي ﷺ بأنك لم ترسل إلا مبشرا ونذيرا، ولن تسأل عن أصحاب الجحيم، فأنت لست ملزمًا ولا مجبرًا في دخولهم الإيمان، وانما بعثت معلماً وموجهًا ومرشدًا وهادياً للإسلام بالدعوة والأسوة الحسنة[٢]، وقال:﴿... **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾[فاطر:٢٤]، فما من أمة من الأمم السالفة إلا وقد أقيمت عليها الحجة بإرسال الرسل لتبليغها وإنذارها.

يقول قطب: "صورة كلية من كليات التصور الإسلامي، تنبع من فكرة كلية عن الكون والحياة والإنسان: إن الجزاء من جنس العمل، ووفق هذا العمل"[٣].

إذن إن تدبر هذه القاعدة يدفع بالإنسان المسلم إلى عمل الصالحات، والبعد عن الظلمات، يقينًا منه بأنه سيجازى بعمله إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، قال ﷻ: ﴿**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[البقرة:٨١-٨٢]، "من اجترح سيئة أو اقترف خطيئة اقترافا اشترك فيه قلبه ولسانه وجوارحه حتى كأن الخطيئة سور حوله فأولئك البعيدون في الضلال أصحاب النار الملازمون لها هم فيها خالدون...، ومن آمن وعمل صالحا... فأولئك الذين مس الدين شغاف قلوبهم وهم أصحاب الجنة هم فيها خالدون، وهذا وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين ليظهر الفرق جليا"[٤]، "والجمع بين الآيتين المذكورتين هو منهج القرآن الكريم في البيان، فإن الله سبحانه يقرن عادة بين الوعد والوعيد، ويذكر أهل الخير وأهل الشر، وأصحاب الجنة وأصحاب

---

(١) انظر: تيسير التفسير، القطان (٧٠/١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٦٢/١).

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب (٢٨١/١).

(٤) التفسير الواضح، الحجازي (٥٠/١).

النار، لما تقتضيه الحكمة، وإرشاد العباد، بالترغيب مرة والترهيب أخرى، والتبشير طورا والإنذار طورا آخر: إذ باللطف والقهر يرقى الإنسان إلى درجة الكمال"[1].

المفتاح الحقيقي لدخول الجنة التصديق القلبي والإحسان العملي:

قال الله ﷻ: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[البقرة:١١٢]، وفي الآية دليل على أن قبول الأعمال عند الله ﷻ متوقف على شرطين:

الشرط الأول: أن يكون العمل خالصا لله وحده.

الشرط الثاني: أن يكون موافقا للشريعة الإسلامية[2].

قال ابن عاشور: " وهو محسن جيء به جملة حالية لإظهار أنه لا يغني إسلام القلب وحده ولا العمل بدون إخلاص بل لا نجاة إلا بهما..."[3].

وقال الإمام ابن كثير: "فمتى كان خالصا ولم يكن صوابا لم يتقبل؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: (**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**)[4] فعمل الرهبان ومن شابههم وإن فرض أنهم مخلصون فيه لله فإنه لا يتقبل منهم، حتى يكون ذلك متابعا للرسول محمد ﷺ المبعوث إليهم وإلى الناس كافة...، وأما إن كان العمل موافقا للشريعة في الصورة الظاهرة، ولكن لم يخلص عامله القصد لله فهو أيضا مردود على فاعله وهذا حال المنافقين والمرائين"[5].

قال رسول الله ﷺ: (إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلاَمَهُ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا)[6]، والإحسان كما فسره النبي ﷺ في حديث جبريل الطويل هو : (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)[7].

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (٢٠٧/١).

(٢) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (٢٥٠/١).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٦٧٥/١).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (١٣٤٣/٣)، ح(١٧١٨).

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٨٥/١).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حسن إسلام المرء (١٧/١)، ح(٤٢).

(٧) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (١٩/١)، ح(٥٠).

"ذكر التوحيد والإيمان الخالص ولم يحمل عليه الوعد بالأجر عند الله ﷻ واستحقاق الكرامة في دار المقامة إلا بعد أن قيده بإحسان العمل، فقال: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ)..."[1] وذلك يدل على " أن الإيمان وحده لا يكفي، بل لا بدّ من إحسان العمل أيضا، وجرت سنة القرآن أن يقرن الإيمان بالعمل الصالح، مثل قوله تعالى:﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً**﴾ [النساء: ١٢٤]."[2]

"ولا يكون إسلام النفس إلا وهو معه الإحسان في الأعمال كلها، فمعنى وهو محسن أنه يكون محسنا للناس في معاملتهم فيمدهم بالعون عند موجبه، يعين الضعيف ويغيث الملهوف، ويحمل الكَلّ،... هذا كله يشمله معنى الإحسان وهو لا يحصى في خصائصه ومزاياه"[3].

"ولذا قال تعالى: (وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ) أي أنهم لَا يخافون حسابا ولا عقابا ولا يحزنون لأمر نالهم، بل إن إخلاصهم لله، وإحسانهم العمل لَا يجعل للعقاب سبيلا لهم، فهم في أمن من الله لأنهم أطاعوه، أما غيرهم فهم في غيهم وغرورهم يوم القيامة يخافون مما يستقبلهم ويحزنون على ما فاتهم."[4].

التوجيهات التربوية العقدية المستنبطة من هذا المبحث:

١- وعظ الناس وتذكيرهم بالله ﷻ من أعظم واجبات الدين، كما أنه ديدن الأنبياء عليهم السلام.

٢- وجوب عبادة الله وحده، والإحسان القولي والفعلي مع الوالدين، والأقارب واليتامى والمساكين، ولين الجانب مع الناس.

٣- اتفقت دعوة الرسل أجمعين على رسالة التوحيد؛ بدعوة أقوامهم لعبادة الله ﷻ وحده، ونبذ عبادة ما سواه.

٤- العبودية لله ﷻ تحرر الإنسان من مظاهر الشرك، فهي تحرره من العبودية لأهوائه وشهواته، كما وتحرره من العبودية للأشخاص.

---

(١) تفسير المنار، محمد رضا (٣٥١/١).

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهجي، الزحيلي (٢٧٦/١).

(٣) زهرة التفاسير، أبو زهرة (٣٦٧/١).

(٤) المصدر السابق (٣٦٧/١).

٥- تحقيق العبودية المطلقة لله ﷻ لا تتم إلا بتحقق عدة شروط منها: النية، وموافقة الشرع، وصحة الاعتقاد.

٦- لا تقتصر العبادة على الشعائر الدينية فقط، وإنما تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأفعال والأقوال الظاهرة والباطنة.

٧- مقتضى العبادةِ الخالصة لله ﷻ أن يسير الإنسان في حياته كافة وفق منهج الله ﷻ، بأن يجعل أقواله وأفعاله وتصرفاته وسلوكه وفقَ شرع الله، يفعلُ ذلك استسلاما وخضوعا وتذللا لله ﷻ: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾[الانعام :١٦٢- ١٦٣].

٨- الإسلام والخضوع والإذعان لله وحده؛ كان هو الرسالة الأولى، والأخيرة، هكذا اعتقد إبراهيم، وهكذا اعتقدت ذريته من بعده، وورثوها جيلا بعد جيل، فمن اتبع هذه العقيدة الصحيحة، وسار على نهجها واستقام عليها فهو وريثها، ووريث أزمانها وبشاراتها، ومن فسق عنها، فقد فسق عن عهد الله، وفقد وراثته لهذا العهد وبشاراته.

٩- الإخلاص في العبادة والحرص على أدائها بأكمل وجه من أهم المقومات في القدوة الصالحة للناس، قالﷻ:﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**﴾[البيّنة:٥]، لذلك ينبغي على المربي القدوة أن يتحلى بالإخلاص في عباداته وسائر أعماله، وما يقوم به من تذكير ووعظ وإرشاد وتوجيه وما يقدمه من خدمات لأمته ومجتمعه، فبقدر ما يملك من إخلاص في القول والعمل، بقدر ما ينال ثقة الناس وإيمانهم به وبعقيدته.

١٠- الإمامة في الدين منزلتها عظيمة، لا ينالها إلا المتقون الصابرون الصادقون السالكون سبيل المهتدين.

١١- الدعاء مظهر من مظاهر إيمان الانسان وعبوديته الخالصة لله ﷻ، وانقياده لأوامره، فمن دعاء إبراهيم عليه السلام نتعلم آداب التضرع إلى الله ﷻ بالدعاء، وحلاوة المناجاة، ولذة الخضوع والذل والانكسار بين يدي الله ﷻ، وصدق النية وعلو الهمة، فبالدعاء والمناجاة والانكسار بين يدي الله ﷻ تتحقق العبودية.

١٢- للدعاء للذرية أهمية كبيرة؛ فهو سبب في تهذيبهم وصلاحهم، لذلك يتوجب على الوالدين العناية بالدعاء للذرية، وأن يتخيرا في دعائهما أوقات الإجابة.

١٣- من آداب الدعاء أن يتوسل الإنسان المؤمن البصير بدينه إلى الله ﷻ بقبول دعوته.

١٤- يتوجب على المربين ترسيخ وتعميق العقيدة الصحيحة المبنية على العبودية الحقة في نفوس أبناء الأمة؛ لتعميق صلتهم بالله ﷻ.

١٥- بطلان دعاوى اليهود والنصارى في اصطفائهم واجتبائهم، بحجة أنهم أبناء إبراهيم عليه السلام وورثته! فقد سقطت عنهم الوراثة منذ انحرافهم عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، عقيدة التوحيد، ملة إبراهيم عليه السلام.

١٦- من رغب عن العقيدة الإسلامية، وتركها واتجه لغيرها من العقائد الباطلة فهو سفيه لا يعرف قدر نفسه.

١٧- نعمة المؤمن في الدنيا والآخرة موصولة لا تنقطع، بخلاف الكافر تنقطع عند الموت؛ فهو ينعم في الدنيا ويعذب بالآخرة.

١٨- في توصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام ذريتهما باتباع الملة الحنيفية قبل الموت، فتح الباب أمام المنحرفين عن العقيدة الإسلامية الصحيحة للعودة إلى الله ﷻ والاعتصام بدينه قبل الموت.

١٩- الشهادة أمرها عظيم، وكتمانها حرام، لا سيما إذا تعلقت بدين الله ﷻ.

٢٠- شعور المؤمن بالراحة والطمأنينة لعلمه بأن الله قد أنزل من الكتب ما يناسبه ويناسب طباعه وزمانه الذي هو فيه.

٢١- يتوجب شكر الله ﷻ على عنايته بخلقه؛ حيث أرسل لكل قوم نبيا وأنزل عليه كتابا ليبلغهم به، ويرشدهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

٢٢- التفريق بين الأنبياء في الإيمان موجب للكفر، فالكفر برسول الله كفر برسل الله جميعا.

٢٣- أن الإعراض عن تطبيق شرع الله ﷻ بالكلية، أو عن بعض ما أنزل الله ﷻ، يوجب على صاحبه الذل والهوان في الدنيا، والعذاب الشديد في نار الآخرة، وهذه سنة الله ﷻ في خلقه فالأمة البعيدة عن شرع الله وحدوده، قريبة من الفضيحة في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة.

٢٤- الجزاء من جنس العمل، فكما تدين تدان.

٢٥- دخول الجنة منوط بالإيمان والعمل الصالح.

٢٦- القيام بما أمر الله به من واجب الدعوة والتبليغ، يعفي من السؤال عن المقصرين من أهل المعاصي والذنوب.

٢٧- التحذير من خطر الذنوب صغيرها وكبيرها، والحث على الإسراع بتكفيرها بالتوبة والعمل الصالح قبل أن تحيط بالنفس فتمنعها من التوبة.

المبحث الثاني

توجيهات تربوية عقدية مستنبطة من النفسية اليهودية المنحرفة

حرص النبي ﷺ والمؤمنون أشد الحرص على دخول اليهود في الإسلام؛ لأن أصل الديانات السماوية واحد؛ قائم على توحيد لله ﷻ، وعلى الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور، ولكن الله ﷻ آيسهم من إيمانهم، وبين لهم حقيقة النفسية المنحرفة لهؤلاء اليهود التي صرفتهم عن الإيمان بالله ﷻ، والتي تقطع الأطماع والأمل بإيمانهم، من خلال كشف وفضح ادعاءاتهم وحججهم ومزاعمهم الباطلة، والرد عليها وتفنيدها.

المطلب الأول: جرأة اليهود في التحريف والاختلاق على الله ﷻ

بدأ الله ﷻ ببيان هذه النفسية المنحرفة بتقسيم اليهود إلى فريقين:

الفريق الأول: محرفون، علماء يتأولون كلام الله ﷻ على غير معناه، فيزورونه من بعد ما فهموه وعرفوه على حقيقته وهم يعلمون، ويقولون هو من عند الله؛ ليشتروا به عرضا قليلا من الدنيا، قال الله ﷻ:﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[البقرة: ٧٥]، وقد أضافوا إلى هذه الرذيلة من التحريف رذيلة النفاق والغش والخداع والتدليس؛ فتواصوا بكتمان ما عندهم من العلم بصحة وحقيقة البشارة ببعثة النبي ﷺ؛ لئلا يكون حجة عليهم يوم القيامة، فقال الله ﷻ: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: ٧٦]، فهذه الآية فيها بيان نوع آخر من نفسية اليهود المنحرفة التي تدعو إلى اليأس من إيمان أمثال هؤلاء، وتكشف النقاب عن ما كانوا يضمرونه من كذب وخداع وتدليس، يقول الرازي: "فإن المخالف إذا اعترف بصحة التوراة واعترف بشهادة التوراة على نبوة محمد ﷺ فلا حجة أقوى من ذلك، فلا جرم كان بعضهم يمنع بعضا من الاعتراف بذلك عند محمد ﷺ وأصحابه"[(١)].

الفريق الثاني: أميون، عوام، جهلاء لا يعرفون شيئا من كتابهم الذي أنزل عليهم، إلا أكاذيب وأوهام وظنون أخذوها من المحرفين، قال الله ﷻ عنهم: ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ**﴾[البقرة:٧٨].

---

(١) مفاتيح الغيب (٥٦٢/٣).

يقول القطان: "فمن ذا الذي يطمع في صلاح أمة جاهلها مضلَّل باسم الدين وعالمها مظلِّل يكتب من عنده ويقول هذا من عند الله!"[١].

قد جنى أحبار اليهود ثلاث جنايات:

١) تغيير صفة النبي ﷺ، وكتمان أمره.

٢) الكذب والافتراء على الله ﷻ.

٣) الكسب وأخذ الرشوة على التزوير[٢].

رد الله ﷻ على هؤلاء الأحبار بالتوبيخ والتهديد:

أولا: وبخهم الله ﷻ على جهلهم بحقيقة علمه فقال تعالى: ﴿**أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾[البقرة:٧٧]، "الآية الكريمة فيها توبيخ وتجهيل لليهود الذين عاتبوا المنافقين منهم على تحديث المؤمنين بما في توراتهم مما يؤيد صدق النبي ﷺ؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين إيماناً صادقاً بإحاطة علمه بسرهم وعلانيتهم ، لما نهوا إخوانهم عن تحديث المؤمنين بما فيها فإن ما فيها من صفات للنبي صلى الله عليه وسلم من الحقائق التي أمرهم الله ببيانها ونهاهم عن كتمانها"[٣].

ثانيا: هددهم الله ﷻ وتوعدهم على جناياتهم بسوء المصير والويل والثبور، فقال ﷻ:﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾[البقرة:٧٩] ورد في سبب نزولها عن ابن عباس قال: "نزلت في أحبار اليهود وجدوا صفة النبي ﷺ مكتوبة في التوراة: أكحل العين، ربعة، جعد الشعر، حسن الوجه، فمحوه حسدا وبغيا، وقالوا نجده طويلا أزرق سبط الشعر"[٤]، ففي الآية "عقوبة عظيمة لهم بسبب ما قاموا به من تحريف وتبديل لكلام الله، وخزي كبير لهم من أجل ما اكتسبوه من أموال بغير حق، فالآية الكريمة فيها تهديد شديد لأحبار اليهود الذين تجرءوا على كتاب الله بالتحريف والتبديل، وباعوا دينهم بدنياهم، وزعموا أن ما كتبوه هو من عند الله"[٥].

---

(١) تيسير التفسير (٢٧٨/١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤١/١).

(٣) التفسير الوسيط، طنطاوي (ص: ١٣٠).

(٤) لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي (ص: ١٧).

(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١٨٣/١).

المطلب الثاني: ادعاء اليهود أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة

قال الله ﷻ حكاية عن ادعاء بني إسرائيل: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٨٠].

قال ابن عباس: " قدم رسول الله المدينة ويهود تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الناس بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا في النار من أيام الآخرة، فإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب فأنزل الله في ذلك (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ)- إلى قوله-(هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)"(١).

يخبر الله ﷻ في هذه الآية عن اليهود فيما ادعوه من أن النار لن تمسهم إلا أيام معدودة، ثم ينجون منها، فيجيبهم الله ﷻ إذا كانت هذه دعواكم، فما دليلكم على ذلك؟ لماذا لم تصبكم النار رغم كل ما اقترفتموه! أتخذتم عند الله عهدًا، إن كان كذلك؛ فلن يخلف الله عهده، ولكنكم لم تتخذوا عهدا بذلك، وإنما تقولون على الله ما لا تعلمون، فما دفعكم إلى قول ذلك إلا غروركم وعنادكم وتكبركم، نتيجة لنفسيتكم المنحرفة عن قبول الحق.

ثم ينقض الله ﷻ دعواهم ببيان مخالفته للقانون الإلهي العام، فقال ﷻ:﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة: ٨١-٨٢]، بلى ستخلدون في النار حسب ما كسبتم من السيئات والخطايا، كيف لا؟! "وقد سن الله قانونًا عامًا شاملًا لكل الخلائق من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو: من اجترح سيئة أو اقترف خطيئة اقترافا اشترك فيه قلبه ولسانه وجوارحه حتى كأن الخطيئة سور حوله فأولئك البعيدون في الضلال أصحاب النار الملازمون لها هم فيها خالدون، ومنهم أنتم بل أنتم أولى من غيركم بالعذاب، ومن آمن وعمل صالحا من كل جنس ولون فأولئك الذين مس الدين شغاف قلوبهم وهم أصحاب الجنة هم فيها خالدون، وهذا وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين ليظهر الفرق جليا"(٢).

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي (ص: ١٧).

(٢) التفسير الواضح، حجازي (١/٥٠).

المطلب الثالث: نقض اليهود للعهود والمواثيق التي أخذها الله عليهم:

الميثاق: "العهد الشديد المؤكد، وهو قسمان: عهد خلقة وفطرة، وعهد نبوة ورسالة وهو المراد هنا، وهذا العهد أخذ عليهم على لسان موسى وغيره من أنبيائهم"[١]، وقد أخذ الله ﷻ على بني اسرائيل مجموعة من العهود والمواثيق:

أولا: المأمورات التي أخذ الله ﷻ الميثاق على بني إسرائيل بها

ذَكَّرَ الله ﷻ بني إسرائيل بما أخذ على أسلافهم من المواثيق، فقال ﷻ:﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[البقرة:٨٣]، وقد اشتمل هذا الميثاق على ثمانية أوامر:

الأمر الأول: عبادة الله وحده، **(لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ)**.

الأمر الثاني: الإحسان إلى الوالدين، **(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)**.

الأمر الثالث: الإحسان إلى ذي القربى، **(وَذِي الْقُرْبَى)**.

الأمر الرابع: الإحسان إلى اليتامى، **(وَالْيَتَامَى)**.

الأمر الخامس: الإحسان إلى المساكين، **(وَالْمَسَاكِينِ)**.

الأمر السادس: لين الجانب مع الناس، **(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)**.

الأمر السابع: إقامة الصلاة **(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)**.

الأمر الثامن: إيتاء الزكاة، **(وَآتُوا الزَّكَاةَ)**.

ثم بين ﷻ موقف بني إسرائيل من هذه الأوامر التي أخذت عليهم في هذا الميثاق فقال تعالى:**(ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ)** يقول الرازي: "واعلم أنه تعالى لما شرح أنه أخذ الميثاق عليهم في هذه التكاليف الثمانية، بين أنه مع إنعامه عليهم بأخذ الميثاق عليهم بكل ذلك ليقبلوا فتحصل لهم المنزلة العظمى عند ربهم، تولوا وأساءوا إلى أنفسهم ولم يتلقوا نعم ربهم بالقبول مع توكيد الدلائل والمواثيق عليهم، وذلك يزيد في قبح ما هم عليه من الإعراض

(١) تفسير المراغي، المراغي (١/١٥٥).

والتولي، لأن الإقدام على مخالفة الله تعالى بعد أن بلغ الغاية في البيان والتوثق يكون أعظم من المخالفة مع الجهالة"(١).

ثانيًا: المنهيات التي أخذ الله ﷻ الميثاق على بني إسرائيل باجتنابها

قال الله ﷻ:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ* ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[البقرة: ٨٤-٨٦].

وملخص هذا الميثاق الذي ذكرته الآيات الكريمة، النهي عن أمرين:

الأمر الأول: النهي عن سفك الدماء، (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ).

الأمر الثاني: النهي عن الإخراج من الديار، (وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ).

يقول محمد رشيد رضا: "وقد أورد النهي عن سفك بعضهم دم بعض، وإخراج بعضهم بعضا من ديارهم وأوطانهم بعبارة تؤكد معنى وحدة الأمة، وتحدث في النفس أثرا شريفا يبعثها على الامتثال إن كان هناك قلب يشعر، ووجدان يتأثر، فقال: (لَاتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ) فجعل دم كل فرد من أفراد الأمة كأنه دم الآخر عينه، حتى إذا سفكه كان كأنه بخع نفسه وانتحر بيده، وقال: (وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) على هذا النسق، وهذا التعبير المعجز ببلاغته خاص بالقرآن"(٢).

وقوله تعالى:﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ "تسجيل عليهم بأنهم قد قبلوا العمل بالميثاق والتزموا به، إذ المعنى: ثم اعترفتم بهذا الميثاق- أيها اليهود- ولم تنكروه، فكان من الواجب عليكم أن تفوا به، فماذا كان موقفهم بعد هذا الإقرار والإشهاد؟.."(٣)، إنهم نقضوا هذه العهود التي أقروا بها، وقتلوا إخوانهم وأخرجوهم من ديارهم، ثم بعد قتلهم واخراجهم إذا جاءوهم أسارى

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (٥٩٠/٣).
(٢) تفسير المنار (٣٠٨/١).
(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١٩٢/١).

فادوهم، والحقيقة أن قتلهم واخراجهم محرم عليكم، فلما تتبعون حكم التوارة في الفداء ولا تتبعونها بعدم القتل والإخراج، إذ أن الواجب عليكم اتباع حكم التوارة في كل ما أمرتم به، وفي كل ما نهيتم عنه.

يقول سبحانه وتعالى مخبرا عن نقضهم للميثاق: (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ...) "هذا التناقض هو الذي يواجههم به القرآن وهو يسألهم في استنكار: أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ؟ وهذا هو نقض الميثاق الذي يهددهم عليه بالخزي في الحياة الدنيا، والعذاب الأشد في الآخرة، مع التهديد الخفي بأن الله ليس غافلا عنه ولا متجاوزا :(فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[(١)]، " وقد دل المعقول، وشهد الوجود بأنه ما من أمة فسقت عن أمر ربها، واعتدت حدود شريعتها، إلا وانتكث فتلها، وتفرق شملها، ونزل بها الذل والهوان، وهو الخزي المراد في القرآن، وهذه هي سنة الخليقة، ذكرها ليعتبر بها من صرفته الغفلة عنها"[(٢)].

ثم يعلن الله ﷻ حقيقة هذه النفسية اليهودية المنحرفة، وحقيقة أعمالهم، فقال تعالى:(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) إنهم آثروا الحياة الدنيا ونعيمها الزائل، على الآخرة ونعيمها المقيم، فهم باعوا الآخرة بالدنيا، بتقديم حظوظ الدنيا العاجلة الفانية على حظوظ الآخرة الدائمة الخالدة، وبترك ما أمروا به، فلا يخفف عنهم العذاب الآخروي، ولا هم ينصرون في الدنيا والآخرة، فلا شفيع لهم،، ولا ولي يدفع عنهم العذاب في الآخرة، لأن سيئاتهم كثيرة، قد أحاطت بهم كالسور ، فحجبتهم عن رحمة الله ومغفرته[(٣)].

ما أقبح حال بني إسرائيل في نقضهم للعهود!! فكلما عاهدوا عهدا طرح ذلك العهد فريق منهم، ونقضوه، فتراهم يبرمون العهد اليوم وينقضونه غدًا، بل أكثرهم لا يصدقون بما جاء به نبي الله ورسوله محمد ﷺ.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٨٤/١).

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٣٠٩/١).

(٣) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (٢١٦/١).

وقد بين الله ﷻ في موضع آخر في سورة البقرة قبح وشنيعة حال اليهود عند أخذ العهود والمواثيق، فكلما عاهدوا عهدا، نبذ فريق منهم هذا العهد، ونقضوه، بل إن أكثرهم لا يصدقون ما جاء به النبي محمد ﷺ من عند الله، قال الله تعالى: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ* وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٠-١٠١].

"كلما عاهدوا النبي والمسلمين عهدا نقضه فريق منهم، لأن معظمهم لا يؤمنون بحرمة عهد ولا بقداسة ميثاق، وهذا ليس بغريب؛ فهو من صلب تعاليم تلموذهم، وأساسُ ما وضعه أحبارهم أن كل من عاداهم ليس له حرمة، ولا ذمة، ولا يجوز أن يُبْرَم معه عهد، كذلك لا يرجى إيمان أكثرهم؛ لأن الضلال قد استحوذ عليهم، كما أن غرورهم بأنفسهم وتجبرّهم قد جعلاهم في طغيانهم يعمهون"[١].

يقول ابن كثير: "فالقوم ذمهم الله بنبذهم العهود التي تقدم الله إليهم في التمسك بها والقيام بحقها، ولهذا أعقبهم ذلك التكذيب بالرسول المبعوث إليهم وإلى الناس كافة، الذي في كتبهم نعته وصفته وأخباره، وقد أمروا فيها باتباعه ومؤازرته ومناصرته"[٢].

المطلب الرابع: نفسية اليهود المنحرفة تجاه الرسل والكتب والملائكة

من أقبح جنايات اليهود الدالة على نفسيتهم المنحرفة غير السوية، تكذيبهم الرسل وقتلهم بغير وجه حق، وعداوتهم الشنيعة للأنبياء والملائكة، والتفريق بينهم، وعدم إيمانهم بالكتب المنزلة، وكفرهم بكل ما أنزل الله ﷻ على الرسل الآخرين، مع أنهم يعلمون صفاته في التوارة، وكانوا يستنصرونه قبل بعثته، فلما بعث كفروا به، وتنكروه[٣]، وهذا ما سنذكره في النقاط الآتية بإذن الله تعالى:

---

(١) تيسير التفسير، القطان (٥٢/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٤٥/١).

(٣) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي (٤٠/١).

أولًا: الاستكبار على الرسل وتكذيبهم، وقتلهم الأنبياء بغير وجه حق

يكشف الله ﷻ عن النفسية اليهودية المنحرفة من خلال بيان مواقفهم مع أنبيائهم المرسلين إليهم، وما كان من سوء معاملتهم معهم كلما جاءوهم بالحق البين، الذي لا يوافق أهواءهم، فيقول الله ﷻ:﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾[البقرة: ٨٧].

يقول حوى: " ولقد كانت حجة بني إسرائيل في إعراضهم عن الإسلام، وإبائهم الدخول فيه، أن عندهم الكفاية من تعاليم أنبيائهم، وأنهم ماضون على شريعتهم ووصاياهم، فهنا يفضحهم القرآن ويكشف عن حقيقة موقفهم من أنبيائهم وشرائعهم ووصاياهم، ويثبت أنهم هم كلما واجهوا الحق، الذي لا يخضع لأهوائهم"(١).

فقد أعطى الله ﷻ موسى التوراة، ثم أتبعه بالرسل ليعلموهم شرائع الله وأحكامه، وأعطى عيسى بن مريم المعجزات البينات وقواه بالوحي من عنده وهو جبريل، فلم يكن موقفهم منه بأفضل من موقفهم من سابقيه، ثم كشف الله ﷻ موقف بني اسرائيل من الرسل، وكيفية معاملتهم معهم، فقال: (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) أفكلّما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفكسم استكبرتم عليه، ولم تتبعوه، وأفسدتم في الأرض، ففريقا قتلتم، وفريقا كذبتم، فهكذا كان موقفهم وصنيعهم مع أنبيائهم، وبعد ذلك كله قالوا: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ**﴾[البقرة:٨٨] والمعنى: إن قلوبنا مغلقة مغشاة مغطاة لا تعي ولا تفقه شيئًا، ولا تنفذ إليها دعوة محمد ﷺ، فلا نكاد نفقه شيئاً مما يقول، وليس الأمر كما يقولون ويزعمون، بل قلوبهم مطبوعة بالغي والضلال، فهم ملعونون مطردون من رحمة الله؛ بسبب غيهم وضلالهم وجحودهم ونكرانهم، فهم بسبب ذلك (قليلاً ما يؤمنون) اي سبب هذا الطرد واللعن(٢).

"وقولهم هذا يدل على طبيعة متبجحة تتبجح بالكفر، وتفتخر بقساوة القلب، وما أكثر ما تجد هذا النوع من الناس (بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ) أي بل طردهم وأبعدهم بسبب كفرهم الذي اختاروه

(١) الأساس في التفسير (٢٨٤/١).

(٢) انظر: تيسير التفسير، القطان (٤٦/١).

لأنفسهم، هذا رد من الله عليهم أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك؛ لأنها خلقت على الفطرة، والتمكن من قبول الحق، وإنما طردهم بكفرهم وزيغهم (فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ) أي فإيمانا قليلا يؤمنون، وهو إيمانهم ببعض الكتاب، أو ببعض الوحي..."[1].

ثانيًا: عداوتهم للملائكة والرسل والتفريق بينهم

وهنا يخبرنا الله ﷻ عن صفة جديدة من صفات النفسية اليهودية المنحرفة، المعاندة الجاحدة المعادية لملائكة الله ورسله، قال الله تعالى:﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ*مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**﴾[البقرة:٩٧- ٩٨]، "فهاتان الآيتان تكشفان عن رذيلة غريبة حقا من رذائل اليهود وهي عداوتهم لملك من ملائكة الله، لا يأكل مما يأكلون، ولا يشرب مما يشربون وإنما هو من الملائكة المقربين، الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وإذا فليس هناك مقتضى لعداوته، فلماذا هذا التصريح منهم ببغضه وكراهيته؟"[2] والإجابة عن ذلك تتضح من بيان سبب نزول هذه الآيات، وقد صح في سبب نزولها ما روي: "عن ابن عباس قال: أقبلت اليهود إلى رسول الله فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء إن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي فذكر الحديث وفيه أنهم سألوه عم حرم إسرائيل على نفسه وعن علامة النبي... إلى أن قالوا: فأخبرنا من صاحبك؟ قال: جبريل قالوا: جبريل ذاك ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان خيرا فنزلت"[3]، فيؤخذ من سبب النزول "أن اليهود في عهد النبي ﷺ كانوا يجاهرون بعداوتهم لجبريل عليه السلام، وأن هذه المجاهرة بالعداوة، قد تكررت منهم في مواقف متعددة بينهم وبين النبي ﷺ وأن الذي حملهم على ذلك هو حسدهم له، وغيظهم من جبريل، لأنه ينزل بالوحي عليه"[4].

يقول الشعراوي: " والآية الكريمة أثبتت وحدة الحق بين الله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل، ومن يعادي واحدا من هؤلاء يعاديهم جميعا وهو عدو الله ﷻ، واليهود أعداء الله لأنهم كفروا به، وأعداء الرسل لأنهم كذبوهم وقتلوا بعضهم، وهكذا فالحق ﷻ يريد أن يلفتنا إلى وحدة

---

(١) الأساس في التفسير، سعيد حوّى (١/١٨٥).

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١/٢١٦).

(٣) لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي (١٧).

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١/٢١٨).

الحق في الدين، مصدره هو الله ﷻ، ورسوله من الملائكة هو جبريل، ورسله من البشر هم الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله، وميكائيل ينزل بالخير والخصب لأن الإيمان أصل وجود الحياة، فمن كان عدوا للملائكة والرسل وجبريل وميكائيل فهو كافر"[١].

وفي قول الله ﷻ: (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ) "الآية وعيد وذم لمعادي جبريل عليه السلام، وإعلام أن عداوة البعض تقتضي عداوة الله لهم، وعداوة العبد لله هي معصيته واجتناب طاعته ومعاداة أوليائه ، وعداوة الله للعبد تعذيبه وإظهار أثر العداوة عليه"[٢].

يقول ابن عاشور: "ومن عجيب تهافت اعتقادهم أنهم يثبتون أنه ملك مرسل من الله ويبغضونه وهذا من أحط دركات الانحطاط في العقل والعقيدة، ولا شك أن اضطراب العقيدة من أكبر مظاهر انحطاط الأمة؛ لأنه ينبيء عن تظاهر آرائهم على الخطأ والأوهام"[٣].

ثالثًا: كفرهم بالنبي والقرآن بغيًا وحسدًا وحرصًا على الرئاسة

وهنا يخبرنا القرآن الكريم عن العقلية اليهودية المنحرفة التي تأبى أن تعترف وتؤمن بكل ما أنزل الله ﷻ؛ بحجة أنها مكتفية بالإيمان بما أنزل عليها، ولا يضرها الكفر بغيرها، وهذا ما دونته لنا الآيات الكريمة، قال الله ﷻ: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ* بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾[البقرة:٨٩-٩٠].

روي في سبب نزول الآية الأولى من هاتين الآيتين آثار متعددة منها:

قال السدى: "كانت العرب تمر بيهود فتلقى اليهود منهم أذى، وكانت اليهود تجد نعت محمد في التوراة أن يبعثه الله فيقاتلون معه العرب، فلما جاءهم محمد ﷺ كفروا به حسدا، وقالوا: إنما كانت الرسل من بني إسرائيل، فما بال هذا من بني إسماعيل".[٤]

(١) تفسير الشعراوي– الخواطر (٤٨١/١).
(٢) المحرر الوجيز، لابن عطية (١٢٣/١).
(٣) التحرير والتنزير (٦٢١/١).
(٤) أسباب النزول، الواحدي (ص: ٢٨).

وعن ابن عباس قال: "كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هزمت يهود خيبر، فعاذت اليهود بهذا الدعاء وقالت: اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء، فهزموا غطفان، فلما بعث النبي ﷺ كفروا به"[(١)]، وعنه أيضًا أنه قال: إن "ابن صوريا قال للنبي ﷺ: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة فأنزل الله في ذلك ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [البقر:٩٩]"[(٢)].

وفي بيان مجمل لهذه الآيات أقول: لما أرسل النبي محمد ﷺ إلى اليهود، ومعه القرآن المصدق لبعثته ووصفه الوارد عندهم في التوراة، وكانوا قبل ذلك يستنصرون به على أعدائهم، فلما جاءهم النبي المنتظر ومعه القرآن المصدق لما معهم جحدوا نبوته، وأنكروا صفاته، وكذبوا كتابه، فلعنهم الله ﷻ بكفرهم، بئس ما باعوا به أنفسهم، الكفر بما أنزل الله ﷻ على النبي محمد ﷺ، وكفرهم هذا ليس نتيجة جهلهم به فهم يعرفون وصفه ونعته حق المعرفة، بل هذا حصيلة بغيهم وحسدهم وحقدهم وكراهيتهم للنبي محمد ﷺ العربي؛ فكيف ينزل الله ﷻ وحيه على واحد من العرب، اعتقادا منهم أنهم أولى بذلك، فلا أحد يستحق السيادة والنبوة غيرهم، فباءوا بسبب هذه النفسية الحقودة الحسودة، بغضب عظيم من الله ﷻ، (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) جزاء كفرهم وبغيهم وحقدهم وحسدهم للنبي ﷺ، فالله ﷻ ينزل فضله على من يشاء من عباده.

يقول طنطاوي: "ومعرفتهم بصدق الرسول ﷺ، وما أنزل عليه حاصلة بانطباق العلامات والصفات الواردة في التوراة عن النبي ﷺ فكان من الواجب عليهم أن يؤيدوا هذه المعرفة بالإيمان به، ولكن خوفهم على زوال رئاستهم وأموالهم، وفوات ما كانوا يحرصون عليه من أن يكون النبي المبعوث منهم لا من العرب، ملأ قلوبهم غيظا وحسدا، وأخذ هذا الغيظ والحسد يغالب تلك المعرفة حتى غلبها، وحال بينها وبين أن يكون لها أثر نافع لهم لعدم اقترانها بالقبول والتصديق"[(٣)].

---

(١) أسباب النزول، الواحدي (ص: ٢٨).

(٢) لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي (ص: ١٧).

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/١٩٩).

ثم أكد الله ﷻ صدق رسالة النبي محمد ﷺ، وأن ما جاء به من آيات واضحة جلية بينة يعقلها من أراد الإيمان بها، ولكن الذين يريدون الخروج عن طاعة الله ﷻ بالكفر والشرك أو غيرها، هم هؤلاء الذين لا يؤمنون بها، فالآيات التي جاء بها الرسول ﷺ تدل على صدق رسالته ونبوته، قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾[البقرة:٩٩]، قال ابن عباس ﷺ: هذا جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله ﷺ: "يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك بها"؟ فأنزل الله هذه الآية"[١].

المطلب الخامس: اتباعهم املاءات الشياطين واختلاقاتهم على ملك سليمان

وهذه خصلة أخرى من خصال النفسية اليهودية المنحرفة التي كشفها لنا القرآن الكريم، يقول قطب: "ماذا بعد أن نبذوا كتاب الله المصدق لما معهم ألعلهم قد لاذوا بما هو خير منه؟ ألعلهم قد لجأوا إلى حق لا شبهة فيه؟ ألعلهم قد استمسكوا بكتابهم الذي جاء القرآن يصدقه؟ كلا؛ لا شيء من هذا كله، إنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ليجروا خلف أساطير غامضة لا تستند إلى حقيقة ثابتة"[٢]، قال الله ﷻ:﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ* وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٢-١٠٣].

وهذه الآيات حكاية لنوع آخر من تمردهم وقبحهم، بعد طرحهم لكتاب الله ﷻ، اتبعوا أقاويل الشياطين على ملك سليمان، بأنه ﵇ لم ينل الملك إلا نتيجة معرفته بالسحر، بالإضافة إلى أنهم نسبوا إليه الردة والكفر؛ لأسباب اختلقوها عليه كذبا وبهتانا، فأنزل الله ﷻ براءته، من هذه

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٣٩٨/٢).

(٢) في ظلال القرآن (٢٩٤/١).

الافتراءات التي ألصقوها به، فألصقها الله ﷻ بهم؛ لأنهم هم بالحقيقة من يتبعون الشياطين السحرة والمشعوذين الذين يذهبون بالعقول والأفهام.

إذن هذه الآية منطوية على عدة أمور، منها: "ذم اليهود في تحري السحر وإيثاره، وتبرئة لسليمان ﵇ مما نسبوه إليه.،. وذلك أنهم زعموا أن سليمان ﵇ ارتد في آخر عمره وعبد الأصنام، وبنى لها المعابد"[(١)]، وبيان حقيقة الملكين بأنهما كانا فتنة وابتلاء للناس لحكمة أرادها الله ﷻ، وأيضا بيان حقيقة ما يتعلمون، وما يفرقون به بين المرء وزوجه؛ أنه يرجع بالضرر والسوء عليهم فلا خير ولا نجاة فيه (وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ) "وهنا يبادر القرآن فيقرر كلية التصور الإسلامي الأساسية، وهي أنه لا يقع شيء في هذا الوجود إلا بإذن الله"[(٢)]،(وَما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) "وفي هذه الجملة الكريمة زيادة تنبيه على تفاهة عقول المشتغلين بالسحر للأذى ومبالغة في تجهيل المصدقين لهم، لأن الساحر مهما بلغت براعته فلن يستطيع أن يمنع شيئا أراده الله، ولا أن يأتي بشيء منعه الله مادام الأمر كذلك فالمشتغل به، والمصدق له كلاهما وقع في ضلال مبين"[(٣)].

ثم بين ﷻ مصير أولئك اليهود التاركين للإيمان الحق، والمتبعين لإملاءات الشياطين وأباطيلهم فقال ﷻ: (وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ) أكد ﷻ أنهم يعلمون الأضرار المترتبة على السحر، فاختيارهم للسحر لم يكن نتيجة جهلهم بل مالوا إليه قاصدين متعمدين، عالمين بعقوبة متبعه.

ثم بين الله ﷻ الخير الذي يعود عليهم لو اتبعوا الإيمان الصحيح، فقال تعالى:(وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) لو أنهم آمنوا بما جاءهم في التوراة من البشارة بنبوة النبي محمد ﷺ والأمر باتباعه، واتباع ما جاء به، واتقوا الله ﷻ فلم ينكروا ما جاءت به كتبهم من البشارات، لكان ثواب الله ﷻ لهم على هذا الإيمان الخالص والعمل الصالح خيرا لهم من السحر والشعوذة، ولو كانوا أصحاب عقول تعلم؛ لاستبدلوا السحر بالإيمان والتقوى.

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي (٣٦٤/١).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (٢٩٥/١).

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (٢٣٠/١).

المطلب السادس: ادّعاءات اليهود الباطلة، والرد عليها:

الادعاء الأول: قالت اليهود عندما دعوا إلى الإيمان بكل ما أنزل الله تعالى، إنهم مكلفون فقط بالإيمان بما أنزل عليهم، وهي التوراة التي جاءهم بها نبيهم موسى عليه السلام، فهم مكلفون بالإيمان بالكتاب الذي جاءهم به موسى دون غيره حسب زعمهم، فقال الله ﷻ مخبرا عن دعواهم الكاذبة الباطلة، رادا عليهم ومفندا لدعواهم:﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[البقرة:٩١].

الرد على هذا الادعاء من عدة وجوه، منها:

الأول: أن دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم باطلة؛ لأنها فقط قول باللسان، ولا عمل للجوارح والأركان بها، والدليل على ذلك قول الله ﷻ: (**وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ**) أي يكفرون بالقرآن الذي هو مصدق عندهم بالتوراة، ويكفرون بالنبي محمد ﷺ الذي هو موجود نعته وصفته في كتابهم، "فكيف يقولون بأنهم يؤمنون بما أنزل إليهم، وهم بالوقت ذاته لا يعترفون بما هو مقرر عندهم، وفيه رد لمقالتهم، وتسفيه لهم، وإقامة حجة عليهم، لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها فمن عرف الله وعرف كتابه؛ آمن بكل رسول له، وآمن بكل كتاب له أنزل أو ينزل وهذا رسول الله ﷺ خاتم الرسل بشرت به التوراة، والكتاب المنزل عليه يصدق ما في التوراة، فكيف يكفرون به!"(١).

الثاني: كتمان اليهود للحق المقرر في كتابهم، وكفرهم بما أنزل على النبي محمد ﷺ حسدا وجحودا، ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[البقرة:٨٩]، يقول الشعراوي: "أراد ﷻ أن يعطينا صورة أخرى لكفرهم بأنه أنزل كتابا مصدقا لما معهم ومع ذلك كفروا به، ولو كان هذا الكتاب مختلفا عن الذي معهم لقلنا إن المسألة فيها خلاف، ولكنهم كانوا قبل أن يأتي رسول الله ﷺ وينزل عليه القرآن كانوا يؤمنون بالرسول والكتاب الذي ذكر عندهم في

---

(١) الأساس في التفسير، حوى (١٨٦/١).

التوراة، وكانوا يقولون لأهل المدينة،... سنؤمن به ونتبعه ونقتلكم قتل عاد وإرم... فلما جاء رسول الله ﷺ كفروا به وبما أنزل عليه من القرآن"[١].

وليس الأمر متوقفًا عند هذا الحد، بل كفروا بالقرآن، وتمنى وأراد كثير منهم لو ارتد المؤمنون من بعد إيمانهم كفارا حسدا وحقدا من عند أنفسهم، وهذا كله من بعد ما تبين لهم الحق في التوراة التي يزعمون الإيمان بها، أن قول النبي ﷺ صدق، ودينه الحق، وهو النبي الذي كانوا يستنصرون به، وينتظرون مبعثه، قال الله ﷻ في وصفهم: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:١٠٩].

الثالث: عدم استجابتهم للحق وتبجحهم بالكفر وافتخارهم بقساوة قلوبهم، بقولهم إنها مغلفة مغطاة مغلقة لا تسمع الحق ولا تعيه، لا تسمع الدعوة ولا تعي الخطاب، قال الحق ﷻ:﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة: ٨٨]، فرد الله ﷻ عليهم ببيان السبب الحقيقي الذي دفعهم لهذا الموقف القبيح المشين، الذي كانوا فيه، بعد أن يقرر خسارة صفقتهم التي اختاروها لأنفسهم، والتي استحقوا بسببها الغضب والهوان، فقال ﷻ: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[البقرة:٩٠]، بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا ...فكان هذا الكفر هو الثمن الذي باعوا أنفسهم مقابله![٢]، فهم " كفروا به لمحض البغي الذي أثاره الحسد كراهة أن ينزل الله الوحي من فضله بمقتضى مشيئته، وأي بغي أقبح من بغي من يريد أن يحجر على فضل الله، ويقيد رحمته، فلا يرضى منه أن يجعل الوحي في آل إسماعيل كما جعله في آل أخيه إسحاق؟"[٣] يقول ابن كثير: " لما كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر، قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة"[٤].

(١) تفسير الشعراوي– الخواطر (٤٥٥/١).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٢٨٦/١).

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٣١٦/١).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣٢٨/١).

الرابع: "أن رسلهم توالت تترى، يقفو بعضهم بعضا وكان آخرهم عيسى ابن مريم، وقد آتاه الله المعجزات البينات، وأيده بروح القدس جبريل عليه السلام، فكيف كان استقبالهم لذلك الحشد من الرسل ولآخرهم عيسى عليه السلام؟ كان هذا الذي يستنكره عليهم والذي لا يملكون هم إنكاره، وكتبهم ذاتها تقرره وتشهد به"[1]، قال الله عز وجل:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة:٨٧]، يقول قطب: "ولقد كانت حجة بني إسرائيل في إعراضهم عن الإسلام، وإبائهم الدخول فيه، أن عندهم الكفاية من تعاليم أنبيائهم، وأنهم ماضون على شريعتهم ووصاياهم، فهنا يفضحهم القرآن ويكشف عن حقيقة موقفهم من أنبيائهم وشرائعهم ووصاياهم، ويثبت أنهم هم هم كلما واجهوا الحق، الذي لا يخضع لأهوائهم"[2]﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة:٨٧]، وقال تعالى:﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٩١]، "فلم قتلتم الأنبياء الذين جاءوكم بتصديق التوراة التي بأيديكم والحكم بها وعدم نسخها وأنتم تعلمون صدقهم؟ قتلتموهم بغيا، وعنادا، واستكبارا على رسل الله، فلستم تتبعون إلا مجرد الأهواء والآراء والتشهي، وهكذا أهل الباطل في كل زمن يفرون من الحق ويحتجون بما ليس حجة، بل بما به الحجة عليهم، فهم متناقضون...، فأقام الله عليهم الحجة بأنهم ليسوا مؤمنين بما أنزل عليهم، بدليل أنهم كانوا يقتلون أنبياءهم، وبدليل أنهم عبدوا العجل في زمن موسى مع كل الآيات التي رأوها"[3].

الخامس: جحود اليهود ونكرانهم لرسالة نبيهم موسى عليه السلام، واتخاذهم العجل إلها معبودا لهم من دون الله، كان ردا على دعواهم الباطلة، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ* وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٩٢-٩٣]، فإن الإيمان الصحيح يستوجب العمل بمقتضاه، فمن

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٢٨٥/١).

(٢) المصدر السابق (٢٣٤/١).

(٣) الأساس في التفسير، حوى (١٨٦/١).

آمن بكتاب، وجب عليه العمل بما فيه، ومن آمن بالتوراة كذلك، وجب عليه العمل بمقتضاها، والتزام كل تعاليمها وشرائعها وبشاراتها، وقد جاء القرآن الكريم مصدقا لما قبله من الكتب، ومن هذه الكتب التوراة التي يزعمون أنهم آمنوا بها، فمن موجبات إيمانهم بالتوراة إيمانهم بالقرآن الكريم المنزل على النبي محمد ﷺ كما هو مقرر عندهم في كتابهم، فمن كفر بالقرآن فقد كفر بالتوراة، فاليهود غريب أمرهم، يدّعون الإيمان بما أنزل إليهم، وهو الذي يوجههم ويرشدهم إلى عبادة الله وحده، ثم يتخذون العجل إلها لهم من دون الله، ويكفرون بآت الله، ويكذبون الأنبياء ويقتلون من يخالفهم منهم، ويكفرون برسالة النبي محمد ﷺ، وهذه أعظم قبائحهم، وذنوبهم، لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث للناس كافة، وهذا مقرر عندهم في كتابهم وكانوا ينتظرون بعثته، فكيف يدّعون الإيمان، وقد فعلوا خلافه، من كفر بآيات الله، وكفر بالنبي، ونقض للميثاق، واتخاذ للعجل إلها من دون الله؟[(١)].

الادّعاء الثاني: ادعاء أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن الآخرة خالصة لهم، وأن الجنة لن يدخلها إلا من كان على ملتهم، قال الله ﷻ: ﴿**وَقالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ**﴾[البقرة: ١١١]، "وهذه الدعوى تتضمن أن المؤمنين بمحمد ﷺ لا نصيب لهم في الآخرة، والهدف الأول هو زعزعة ثقتهم بدينهم وبوعود رسولهم ووعود القرآن لهم"[(٢)]، ولم تقف دعواهم عند هذا الحد، "بل صرح أحبار اليهود مرارا قائلين: ليست النصارى على شيء يذكر، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء يذكر، والحال أنهم أصحاب كتاب يدعون أنهم يتلونه ويؤمنون به"[(٣)]،﴿**وَقالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ وَقالَتِ النَّصارى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتابَ كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾[البقرة:١١٣].

---

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (١/٢٢٨).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (١/٢٨٨).

(٣) التفسير الواضح، الحجازي (١/٦٨).

الرد على هذا الادعاء من عدة وجوه:

الأول: تلك أكاذيب وشهوات وأماني تمنوها على الله ﷻ بغير حق، لا تستند على دليل صحيح من النقل أو العقل، وإلا فليأتوا ببرهانهم ودليلهم على قولهم إن كانوا صادقين[(١)]، يقول القشيري: "مجرد الحسبان دون تحقق البرهان لا يأتي بحاصل، ولا يجوز بطائل"[(٢)].

الثاني: "إذا كانت اليهود كفرت بعيسى وأنكرته وهو منهم، وهم ينتظرونه لإعادة مجدهم وتجديد عزهم، وإذا كانت النصارى قد رفضت التوراة وكفرت أهلها، وهي حجتهم على دينهم، فكيف يعتد بكفر هؤلاء وهؤلاء بمحمد ﷺ وهو من شعب غير شعبهم، وقد جاء بشريعة ناسخة لشرائعهم، وهم لا يفهمون من الدين إلا أنه جنسية دنيوية لهم؟!"[(٣)].

الثالث: أن الجنة ليست حكرا على أحد، بل يستحقها من استسلم لأوامر الله، وامتثل وانقاد في عباداته ومعاملاته واعتقاداته لله ﷻ، قال الله ﷻ:﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[البقرة:١١٢]، فالجنة ليست خاصة بهم، ولم يدخلها إلا من أخلص وأحسن في عبادته وعمله واعتقاده لله ﷻ، فهؤلاء أجرهم كبير عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

الرابع: إن كانوا صادقين بزعمهم أن الجنة لمن كان على ملتهم، وأن الآخرة خاصة بهم، خالصة لهم وحدهم لا يشاركهم فيها أحد، فالواجب عليهم أن يتمنوا الموت لاستعجال الآخرة ونعيمها المعد لهم كما يزعمون، فما داموا موقنين بأن الجنة أعدت لهم وحدهم، فلم البقاء في الدنيا الفانية إذن، ألا يحبون أن يتمنوا الموت، كما أحب المؤمنون الجنة فتمنوا الشهادة، لينالوها وليفوزوا بنعيمها المقيم[(٤)]، قال الله ﷻ: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ**

(١) انظر: التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود (٦٧/١).
(٢) لطائف الاشارات، القشيري (١٠٧/١).
(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا (٣٥٤/١).
(٤) انظر: تفسير الشعراوي الخواطر، الشعراوي (٤٧٠/١).

بِالظَّالِمِينَ﴾[البقرة:٩٤-٩٥]، "فلما نكلوا عن ذلك علم كل واحد أنهم ظالمون؛ لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه، لكانوا أقدموا على ذلك، فلما تأخروا علم كذبهم"(١).

وصور القرآن الكريم صفة أخرى من صفات اليهود ألا وهي: حرصهم الشديد على الحياة أيا كانت ذميمة، حقيرة ،مهانة، قال تعالى: **﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾**[البقرة:٩٦] "أية حياة، لا يهم أن تكون حياة كريمة ولا حياة مميزة على الإطلاق! حياة فقط! حياة بهذا التنكير والتحقير! حياة ديدان أو حشرات! حياة والسلام!"(٢)، **﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ﴾**[البقرة:٩٦]، فهم والمشركون في هذا سواء، بل هم أشد حرصا من المشركين، فالمشركون حريصون على الحياة المتطاولة؛ لاعتقادهم أن الدنيا هي الغاية الكبرى التي يتمنون تحقيقها، واليهود أشد حرصا منهم على الحياة؛ لأنهم يخافون الموت نتيجة لقبح اعتقاداتهم واعمالهم، فهم يعتقدون أنه كلما طالت الحياة سيبتعدون عن عذاب الآخرةِ وعقابها، فالحياة لا تعجل لهم بالعذاب، لذلك هم فرحون بها(٣).

الخامس: وكيف وعد الله ﷻ اليهود بالجنة وحدهم، وقد كتب رحمته للمؤمنين المتقين المتبعين النبي ﷺ والمؤمنين برسالته، وقد أبلغ الله ﷻ اليهود بذلك في كتبهم، قال الله ﷻ:**﴿واكتب لَنَا فِي هذه الدنيا حَسَنَةً وَفِي الآخرة إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عذابي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزكاة والذين هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الذين يَتَّبِعُونَ الرسول النبي الأمي الذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التوراة والإنجيل...﴾**[الأعراف:١٥٦- ١٥٧] إذا كانت الحقيقة موجودة في كتبهم، والله ﷻ يقول: **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخرة مِنَ الخاسرين﴾**[آل عمران: ٨٥]، فكيف يدعي هؤلاء اليهود ويزعمون أن الجنة خاصة لهم وحدهم، وأن الآخرة خالصة لهم؟ ولكن الله ﷻ كشف كذبهم وافتراءاتهم الباطلة، وأكد لنا أن ما يقولونه حجة عليهم لا لهم، فهم أول من يعرف إنه كذب(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٣٢/١).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (٢٨٩/١).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي- الخواطر، الشعراوي (٤٧٧/١).

(٤) انظر: المصدر السابق (٤٧٢/١).

الادعاء الثالث: نسبتهم الولد إلى الله ﷻ، لقد نسبت اليهود والنصارى ومشركوا العرب إلى الله الولد، قال الله ﷻ:﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ* بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[البقرة: ١١٦-١١٧]، والآية نزلت ردًّا على اليهود، فإنهم نسبوا الولد إلى الله ﷻ فقالوا: عزير ابن الله، وردا على نصارى نجران حيث قالوا: المسيح ابن الله، وردا على مشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله[(١)].

الرد على هذا الادعاء من عدة وجوه:

الأول: ينفي الله ﷻ هذا بقوله: "إن له كل ما السماوات والأرض، ومن كان هذا شأنه، وجميع ما في الكون مسخر لأمره، فهو أرفع من أن يحتاج إلى نسل أو يتخذ ولدا، وكيف يتخذ ولدا من أبدع هذا الكون العجيب بما فيه من سماوات وأرض ونجوم وكواكب، وقد أذعن كل ما فيه لإرادته، واذا أراد أمراً فإنما يقول له: كن فيكون؟؟"[(٢)].

الثاني: كيف يكون له ولد "وإنما له ملك السماوات والأرض، وهو المتصرف فيهم، وهو خالقهم ورازقهم، ومقدرهم ومسخرهم، ومسيرهم ومصرفهم، كما يشاء، والجميع عبد له وملك له، فكيف يكون له ولد منهم، والولد إنما يكون متولدا من شيئين متناسبين، وهو تبارك وتعالى ليس له نظير، ولا مشارك في عظمته وكبريائه ولا صاحبة له، فكيف يكون له ولد!"[(٣)] كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأَنْعَام: ١٠١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا* تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا* أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا* وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا* إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[مَرْيَمَ: ٨٨ -٩٥].

فالله ﷻ هو "السيد العظيم، الذي لا نظير له ولا شبيه له، وأن جميع الأشياء غيره مخلوقة له مربوبة، فكيف يكون له منها ولد!"[(٤)]، وفي الحديث القدسي: عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: قال الله تعالى: (كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ،

(١) انظر: أسباب نزول القرآن، النيسابوري (ص: ٤٢).
(٢) تيسير التفسير، القطان (٦١/١).
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٩٦/١).
(٤) المصدر السابق (٣٩٦/١).

فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لاَ أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا)(١).

الثالث: "أن الولد لا بد وأن يكون من جنس الوالد، فلو فرضنا له ولدا لكان مشاركا له من بعض الوجوه، وممتازا عنه من وجه آخر، وذلك يقتضي كون كل واحد منهما مركبا ومحدثا وذلك محال، فإذن المجانسة ممتنعة فالولدية ممتنعة"(٢).

الرابع: "أن الولد إنما يتخذ للحاجة إليه في الكبر ورجاء الانتفاع بمعونته حال عجز الأب عن أمور نفسه، فعلى هذا إيجاد الولد إنما يصح على من يصح عليه الفقر والعجز والحاجة، فإذا كان كل ذلك محال كان إيجاد الولد عليه سبحانه وتعالى محالا"(٣).

الادعاء الرابع: شبهة حول القرآن المعجز ونبوة النبي محمد ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ**﴾[البقرة: ١١٨]، حيث طلبت اليهود من النبي محمد ﷺ إقامة الحجة على صدق رسالته، بأن يكلمهم الله ﷻ مشافهة أو بواسطة الوحي، وتقرير هذه الشبهة كما يقول الإمام الرازي: "أن الحكيم إذا أراد تحصيل شيء فلا بد وأن يختار أقرب الطرق المفضية إليه وأبعدها عن الشكوك والشبهات، إذا ثبت هذا فنقول: إن الله تعالى يكلم الملائكة وكلم موسى وأنت تقول: يا محمد، إنه كلمك، فلم لا يكلمنا مشافهة ولا ينص على نبوتك حتى يتأكد الاعتقاد وتزول الشبهة، وأيضا فإن كان تعالى لا يفعل ذلك فلم لا يخصك بآية ومعجزة، وهذا منهم طعن في كون القرآن آية ومعجزة، لأنهم لو أقروا بكونه معجزة لاستحال أن يقولوا: هلا يأتينا بآية"(٤).

الرد على هذه الشبهة من عدة وجوه:

رد الله ﷻ هذه الشبهة بقوله:﴿**كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[البقرة:١١٨]، وحاصل هذا الرد أنا قد صدقنا قول محمد ﷺ وأيدناه

---

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه} (١٩/٦)، ح(٤٤٨٢).

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي (٢٣/٤).

(٣) المصدر السابق (٢٣/٤).

(٤) نفس المصدر (٢٧/٤).

بالمعجزات، وبينا صحة قوله بالآيات، وأوضح الدلالات، فكان طلب هذه الزوائد من باب التعنت والتكبر والجدال وإذا كانت نفسيتهم كذلك، كان السكوت أحق بهم، ولم يجب إجابتهم لعدة وجوه:

الأول: أن الدلالة الواضحة والصريحة تكفي لإثبات الحق، وفي طلب الزيادة عليها عناد ولجاج؛ فهنا تكون إجابتها ليست واجبة.

الثاني: لو علم الله ﷻ أن إيمانهم متوقف على إنزال الآية لأنزلها، ولكنه علم أنه لو أنزلها ما ازدادوا إلا عنادا ولجاجا، ولذلك قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[الأنفال: ٢٣].

الثالث: لقد صدر من اليهود مجموعة من الانحرافات التي ذكرتها الآيات السابقة، وربما أوجب نزول الآية التي طالبوا بها هلاكهم وتعذيبهم إن استمروا على هذه الانحرافات[١].

الرابع: "لم يتعرض ﷻ لرد قولهم (لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا الله) إيذاناً بأنه منهم أشبه شيء بكلام الأحمق وجواب الأحمق السكوت"[٢].

الرابع: في قوله ﷻ: ﴿**قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[البقرة:١١٨]، " تعليلٌ للإعراض عن جوابهم بأنهم غير أهل للجواب؛ لأن أهل الجواب هم القوم الذين يوقنون وقد بينت لهم آيات القرآن بما اشتملت عليه من الدلائل، وأما هؤلاء فليسوا أهلا للجواب لأنهم ليسوا بقوم يوقنون بل ديدنهم المكابرة"[٣].

الخامس: "ذكر ﷻ بعض آية موجزة مختصرة جامعة للآيات الدالة على صدقه ﷺ وصحة ما جاء به فقال: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**﴾[البقرة: ١١٩]. فهذا مشتمل على الآيات التي جاء بها، وهي ترجع إلى ثلاثة أمور: الأول: في نفس إرساله، والثاني: في سيرته وهديه..، والثالث: في معرفة ما جاء به من القرآن والسنة"[٤].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (٢٨/٤).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (٤٨٦/١).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٦٩٠/١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص: ٦٤).

خلاصة التوجيهات التربوية المستنبطة من النفسية اليهودية المنحرفة:

١. بيان النفسية اليهودية فهي تتوارث المكر والخداع والمعاندة، تأبى قبول الحق، والخضوع إليه، والإعراض عن الحق يتبعه إقبال على الباطل، فالحق واحد لا يتعدد.

٢. بيان عظم الحق، وقبح إنكاره ورده لعدم موافقته لهوى النفس، فإنكار الحقائق لا يطمس وجودها.

٣. ليس كل من يقرأ كتابًا يفهم معناه ويستنبط أسراره، وواقع المسلمين في هذا الزمان شاهد على ذلك، فكثير منهم يحفظ القرآن الكريم، ولكنه يجهل معناه، ولا يعمل بما فيه.

٤. التحذير الشديد من التبديل والتغيير والزيادة في شرع الله، كالفتاوى الباطلة التي تحرم ما أحل الله أو تحلل ما حرم ليتوصل بها صاحبها إلى غرض دنيوي زائل، فكل من ابتدع في دين الله ما ليس منه، فهو داخل تحت هذا الوعيد الشديد.

٥. "التحريف والتبديل لكلام الله أشد الحرام، سواء أكان بالتأويل الفاسد، أم بالتغيير والتبديل، وقد وقع النوعان من أحبار اليهود"[١].

٦. بيان خطر الذنوب، والدعوة إلى تكفيرها بالتوبة والاستغفار والأعمال الصالحة، قبل أن تحيط بالقلب كالسياج فتحجبه عن التوبة.

٧. دخول الجنة منوط بالإيمان والعمل الصالح معا، فلا غنى لأحدهما عن الآخر.

٨. التحذير من التقليد الأعمى للعقائد المنحرفة عن الدين الإسلامي، والتأكيد على بطلانها.

٩. من صفات المؤمنين الوفاء بالعهود والمواثيق، ومن صفات اليهود الإخلال بها، ومن أشد العهود والمواثيق الواجب التزامها والوفاء بها واحترامها عهد الله ﷻ، فمن نقضه وأخل به استحق التنكيل والعقاب من الله ﷻ.

١٠. تجزئة أحكام الله ﷻ بأخذ بعضها وترك بعضها الآخر، كفر بجميعها.

١١. ذم الحسد والبغي، وبيان عظم عاقبتهما.

١٢. وجوب أخذ أمور الشرع بالحزم والعزم والقوة، وعدم التكاسل في أدائها.

١٣. بيان حرص اليهود على الحياة المتطاولة، أيا كانت رخيصة، ذميمة، ذليلة.

١٤. وجوب معاداة الكافرين لمعاداتهم لله ولرسل الله تعالى.

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (١/٢٠٠).

١٥. بيان نقض اليهود للعهود والمواثيق، فهم لا يلتزمون بعهد، ولا يوفون بوعد، فهؤلاء لا يوثق في عهودهم أبدًا.

١٦. بيان أن الفسق قد يصل بالإنسان إلى أن ينكر ما أوجب الله عليه وما حرم، فيوصله للكفر بذلك.

١٧. ندد القرآن الكريم بأفعال اليهود وكذبهم وخداعهم؛ حيث استبدلوا الكفر بالإيمان، فليس من العقل السليم أن يؤثر الإنسان الشيء الفاني على الباقي، فدوام الخير أصون للمنفعة.

١٨. من مقتضيات الإيمان الصحيح، العمل بموجب أحكامه، بالتزام أوامره واجتناب نواهيه.

١٩. تقرير أن الله ﷻ خالق الخير والضر، ولا ضرر ولا نفع إلا بإذنه.

المبحث الثالث

توجيهات تربوية تعبدية

المطلب الأول: وجوب الالتجاء إلى الله ﷻ بالعبادة البدنية والمالية

كنت قد وضحت في المبحث الأول من هذا الفصل مفهوم العبادة لغة واصطلاحا، وذكرت تعريف الإمام ابن تيمية للعبادة بأنها: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة..."[١].

وبعد أن ذكرت تعريف ابن تيمية للعبادة، تطرقت إلى أنواع العبادات التي أمرنا الله ﷻ بالالتجاء إليه بها، وقلت بأنها على أربعة أنواع، وذكرت من هذه الأنواع العبادة البدنية والمالية التي نحن بصدد الحديث عنها في هذا المطلب، فماذا أقصد بالعبادة البدنية والمالية، وما هي الأدلة عليها من الحزب الثاني من سورة البقرة الذي أنا بصدد دراسته في هذه الرسالة؟.

العبادة البدنية: وهي العبادة التي يقوم بها الإنسان بجسده، أو ببدنه، مثل الصلاة والحج والعمرة والجهاد وصلة الأرحام، وغيرها.

العبادة المالية: وهي العبادة التي يقوم بها الإنسان بماله وممتلكاته، كالنفقة والزكاة والصدقة، وغيرها.

وتقسيم العبادات إلى بدنية أو مالية لا يعني أنهما متباينتان ولا علاقة بينهما، بل هناك صلة كبيرة بينهما، مثالا على ذلك الحج جمع بين العبادتين البدنية والمالية، فتكاليف الحج تحتاج إلى مال كثير بجانب الجهد البدني، وخاصة إذا كان الحاج من خارج مكة والمدينة.

وأيضا الجهاد في سبيل الله، إلى جانب الجهد البدني يحتاج إلى البذل المالي، وبخاصة إذا كان العدو يمتلك القوة والعدة الحربية، فيحتاج المجاهد هنا إلى المال كي يستطيع محاربة قوى العدو، والدفاع عن الإسلام.

أمرنا الله ﷻ وأرشدنا ووجهنا للعديد من التكاليف الشرعية الواجب علينا القيام بها، فمنها ما لا يستغرق وقتا كالشهادتين فهي مرة واحدة في العمر لا تستهلك وقتا، والحج مرة واحدة بالعمر لمن استطاع اليه سبيلا، وكلفنا أيضا بصيام شهر رمضان شهر واحد فقط من كل عام، فهذه

---

(١) العبودية (ص:٤٤).

العبادات تتطلب القليل من الوقت والقليل من الفعل، ولكن هناك من العبادات ما تتكرر كل يوم، بل وفي اليوم عدة مرات، لتعطي المؤمن شحنات من الإيمان، وتقربه من الله ﷻ أكثر، فمن هذه العبادات الصلاة، فهي تتكرر في اليوم خمس مرات، وهذه العبادة أول ما يسئل عنه المؤمن يوم القيامة، فهي عبادة لا تسقط أبدا، في جميع حالات الإنسان في الصحة والسقم؛ لذلك كانت هذه أول عبادة ذكرها الله ﷻ في قوله تعالى:﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[البقرة: ١١٠][١].

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) كاملة بأوقاتها وأركانها وشروطها، (وَآتُوا الزَّكَاةَ) لمصارفها ومستحقيها.

يقول طنطاوي: " فقد أمرهم ﷻ في هذه الآية بالمواظبة على عمودي الإسلام وهما العبادة البدنية التي تؤكد حسن صلة العبد بخالقه وهي الصلاة، والعبادة المالية التي تؤلف بين قلوب الموسرين والمعسرين وهي الزكاة، وجاءت جملة (وَما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ) بعد ذلك، لترغبهم في فعل الخير على وجه عام، ولتحثهم على التزود من الأعمال الصالحة سواء أكانت فرضا أم نفلا"[٢].

يقول محمد رشيد رضا: " وقد مضت سنة القرآن بقرن الزكاة بالصلاة؛ لأن الصلاة لإصلاح نفوس الأفراد، والزكاة لإصلاح شئون الاجتماع، ثم إن فيها من معنى العبادة ما في الصلاة، فإن المال شقيق الروح، فمن جاد به ابتغاء مرضاة الله ﷻ كان بذله مزيدا في إيمانه، فهي إصلاح روحي أيضا"[٣].

وعد الله ﷻ المؤمنين بالنصر على الأعداء وبين أن من وسائل النصر " أداء الصلاة كاملة الأركان، تامة الأوصاف، وأداء الزكاة للفقراء، ففي الصلاة تتوطد دعائم الإيمان، وتتقوى الصلة بالله والثقة به، وتتوثق روابط الأخوة بالاجتماع في المساجد، وفي الزكاة تتحقق سعادة المجتمع بإغناء الفقراء، وتتجلى وحدة الأمة بتكافل أبنائها، وتعاضد فئاتها"[٤].

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي– الخواطر، الشعراوي (١/٥٢٦).
(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٢٤٦).
(٣) تفسير المنار (١/٣٤٨).
(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (١/٢٧٠).

وفي الصحيح عن ابن عمر، أن رسول ﷺ قال: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)(١).

ثم لم يكن التكليف بالعبادات البدنية والمالية خاصًا بالمؤمنين فقط، بل أخذ الله ﷻ على بني إسرائيل الميثاق بهذا فقال ﷻ: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[البقرة: ٨٣]، يقول المراغي: "وبعد أن أمرهم ﷻ بعبادته وحده على سبيل الإجمال، فصّل بعضا من ذلك مما لا يهتدى إليه إلا بهدى إلهى ووحي سماوي فقال: (وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) لأن الصلاة هي التي تصلح النفوس وتنقيها من أدران الرذائل، وتحليها بأنواع الفضائل، وروحها هو الإخلاص لله والخشوع لعظمته وسلطانه... ثم الزكاة لما فيها من إصلاح شئون المجتمع"(٢)، وما كان منهم إلا أن تولوا وأعرضوا عن أمر الله ﷻ كما هو معهود من نفسيتهم المنحرفة التي لا تقيم أوامر الله، ولا تقبل الحق.

المطلب الثاني: وجوب التسليم المطلق لله ﷻ في أحكامه وشرائعه

إن التسليم المطلق لأوامر الله ﷻ وأحكامه وشرائعه واجب على كل مكلف، بل هو جوهر الإسلام ولب الإيمان ودليل الإحسان، ومن يستسلم لأمر الله ﷻ ويخضع له، ويرضى به، ينل خيري الدنيا والآخرة، ويشعر بالسكينة والاطمئنان، وينعم بالراحة والأمان، قال الله تعالى:﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُّبِينًا**﴾[الأحزاب:٣٦]، إن التسليم لأمر الله ﷻ هو الاستسلام والخضوع والتذلل بين يدي الله ﷻ، بأن ينتهج المؤمن أحكام الله ﷻ فيتبع ما أمر به، ويجتنب ما نهي عنه، ويتجنب أهواء النفس وشهواتها، ومن موجبات التسليم لأمر الله ﷻ الرضا واليقين بكل ما

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم} [التوبة: ٥] (١٤/١)، ح(٢٥).

(٢) تفسير المراغي (١٥٨/١).

شرع الله، وليُحَقّق المؤمن التسليم المطلق لله ﷻ لابد أن يُحسِن الظن بالله ﷻ، ويعلم أن أقدار الله ﷻ كلها خير، فيتبع ما أمره الله ﷻ، ويهتدي بسيرة النبي ﷺ، يقول الله تعالى:﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾[النساء:٦٥]، إذن التسليم المطلق لأوامر الله وأحكامه هو الجوهر واللبنة الأساسية التي يبنى عليها الإيمان، ومن توافرت فيه صفات المؤمنين وسمات المنقادين الطائعين لله ﷻ، المستقيمين على أوامره، نال في الدنيا الحياة الطيبة، وفاز في الآخرة بالنعيم المقيم الذي لا ينفذ. قال الله تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[البقرة:١١٢]، "وإسلام الوجه لله هو تسليم الذات لأوامر الله تعالى أي شدة الامتثال؛ لأن أسلم بمعنى ألقى السلاح وترك المقاومة، قال الله تعالى: ﴿ **فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾[آل عمران: ٢٠]"[(١)]، وهو إخلاص النفس لله ﷻ بحيث لا يشرك به شيئا، "عبّر عنها بالوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء ومجمعُ المشاعرِ وموضعُ السجود ومظهَرُ آثارِ الخضوعِ الذي هو من أخص خصائِص الإخلاص"[(٢)]، يقول قطب: "هنا تبرز سمة الإسلام الأولى: إسلام الوجه... ولفظ أسلم يعني الاستسلام والتسليم، الاستسلام المعنوي والتسليم العمل، ومع هذا فلا بد من الدليل الظاهر على هذا الاستسلام:﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾"[(٣)]، "والحالُ أنه مُحسنٌ في جميع أعمالِه التي من جملتها الإسلامُ المذكورُ وحقيقةُ الإحسانِ الإتيانُ بالعمل على الوجه اللائقِ وهو حُسنُه الوصفيُّ التابعُ لحسنه الذاتي وقد فسره ﷺ بقولِه: (أَنْ تعبدَ الله كأنَّك تراهُ فإنْ لم تكنْ تراهُ فإنَّه يراكَ)[(٤)][(٥)]، "فسمة الإسلام هي الوحدة بين الشعور والسلوك، بين العقيدة والعمل، بين الإيمان القلبي والإحسان العملي، بذلك تستحيل العقيدة منهجا

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٦٧٤/١).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١٤٧/١).

(٣) في ظلال القرآن (٣٠٤/١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ (١٩/١)، ح(٥٠).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١٤٧/١).

للحياة كلها، وبذلك تتوحد الشخصية الإنسانية بكل نشاطها واتجاهاتها وبذلك يستحق المؤمن هذا العطاء كله: (فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)، الأجر المضمون لا يضيع عند ربهم والأمن الموفور لا يساوره خوف، والسرور الفائض لا يمسه حزن، وتلك هي القاعدة العامة التي يستوي عندها الناس جميعا، فلا محسوبية عند الله سبحانه ولا محاباة!"[(١)].

وحينما أراد اليهود زعزعة العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين أخذوا يشككون في مصدر الأوامر والتكاليف التي أمرهم الله ﷻ بها في كتابه، وليس ذلك إلا حسدا منهم، وأخذوا يقولون إن محمدا يأمر بشيء ثم ينهى عنه، فما كان هذا القرآن إلا من كلامه، ولهذا يناقض بعضه بعضا، فأخذوا يقولون للمسلمين: لو كانت من عند الله ﷻ ما نسخت ولا استبدلت بأوامر جديدة، "فوجهوا المعول إلى أساس العقيدة في نفوس المسلمين... ويبدو أن هذه الحملة الخبيثة الماكرة آتت ثمرتها الكريهة في بعض نفوس المسلمين، فأخذوا يسألون الرسول ﷺ في قلق وزعزعة ويطلبون البراهين والأدلة، الأمر الذي لا يتفق مع الطمأنينة المطلقة إلى القيادة، والثقة المطلقة بمصدر العقيدة، فنزل القرآن يبين لهم أن نسخ بعض الأوامر والآيات يتبع حكمة الله الذي يختار الأحسن لعباده ويعلم ما يصلح لهم في كل موقف"[(٢)]، قال الله تعالى:﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[البقرة: ١٠٦] لذا وجب على كل المسلمين الاستسلام والخضوع والانقياد لشرع الله ﷻ حيث أمر وحيث نهى.

المطلب الثالث: الحث على تذكر نعم الله ﷻ الدينية والدنيوية، والتيقظ ليوم القيامة وأهواله

أنعم الله ﷻ على عباده بالكثير من النعم الدينية والدنيوية، فهم يتقلبون في نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وقد امتن الله ﷻ عليهم بها فقال الله تعالى: ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾[إبراهيم: ٣٤]، وأخبرنا ﷺ أننا سنسأل عن هذه النعم في الآخرة، فقال الله تعالى:﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾ [التكاثر: ٨]، فكان من حق الله على سائر عباده تأمل تلك النعم التي منحهم إياها وشكره عليها؛ لذلك أرشد الله ﷻ المؤمنين وأمرهم بذلك فقال تعالى:﴿

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٣٠٤/١).

(٢) المصدر السابق (٢٩٩/١).

وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[المائدة:٧]، وكما أمر الله ﷻ المؤمنين وأخذ عليهم الميثاق بذلك، أرشد بني إسرائيل وأمرهم بتذكر نعمه التي أنعمها عليهم، وذكرهم بالعهود والمواثيق التي أخذها عليهم من متابعة النبي محمد ﷺ، وتصديقه والانقياد والاستسلام لشرعه، فقال الله تعالىﷻ:﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ*وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[البقرة:٤٠-٤١]، وهذه النعمة التي يذكر الله ﷻ بها بني إسرائيل، هي نعمة جعل النبوة فيهم مدة طويلة، لذلك أطلقها الله ﷻ بالذكر؛ لأهميتها وعظم شأنها، ولذلك كانوا يسمون في كتبهم (شعب الله المختار)، وفي القرآن أن الله ﷻ فضلهم على العالمين فقال:﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة: ٤٧]، ومما لا شك فيه أن هذه الميزة نعمة عظيمة من الله ﷻ منحهم إياها بكرمه وفضله ورحمته فكانوا بها مكرّمين مفضلين على العالمين، وكان من الواجب على بني إسرائيل أن يكونوا من أكثر الناس وأشدهم شكرا لله ﷻ على نعمه[١]، ونعم الله ﷻ عليهم كثيرة، لا تعد ولا تحصى، فقد فضلهم الله ﷻ على عالمي زمانهم، وأنجاهم من فرعون، وظللهم بالغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، وغير ذلك من النعم الكثيرة، فكان من الواجب عليهم مقابلة تلك النعم بشكر الله ﷻ واتباع أوامره واجتناب نواهيه، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ والإيفاء بعهده الذي عاهدهم عليه من الإيمان بالله ﷻ، والإيمان برسله دون التفريق بينهم، وبخاصة النبي محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين[٢]، وفي المقابل (أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) والمعنى : "أوفِ بما عاهدتكم عليه من التمكين في الأرض في الدنيا والسعادة في الآخرة"[٣].

وقد تكرر نظير هذه الآية في سورة البقرة مرة أخرى، قال ﷻ: ﴿ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة: ١٢٢]، للتأكيد والتذكير بالنعم التي أنعمها الله على اليهود، لتجديد الإيمان في نفوسهم، ورفع همتهم وثقتهم ونشاطهم وتوجيههم

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا،(١/٢٤١).
(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (١/١٥٠).
(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١/١٠٦).

وإرشادهم لاتباع النبي الأمي محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي يجدون نعته ووصفه في كتبهم[(١)]، يقول ابن كثير: "قد تقدم نظير هذه الآية في صدر السورة، وكررت هاهنا للتأكيد والحث على اتباع الرسول النبي الأمي الذي يجدون صفته في كتبهم ونعته واسمه وأمره وأمته، فحذرهم من كتمان هذا، وكتمان ما أنعم به عليهم، وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم، من النعم الدنيوية والدينية، ولا يحسدوا بني عمهم من العرب على ما رزقهم الله من إرسال الرسول الخاتم منهم، ولا يحملهم ذلك الحسد على مخالفته وتكذيبه، والحيدة عن موافقته، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين"[(٢)].

ويؤخذ من هذه الآيات، أن تذكير الناس بالنعم مطلب مهم لابد منه؛ لأن الإنسان كثير الغفلة والنسيان، لا يشعر بالنعمة إلا حال فقدها، لذلك يحتاج إلى التذكير بها في كل وقت وحين، ليشكر الله ﷻ عليها، فنعم الله ﷻ إذا لم يتم ذكرها وشكرها يتم سلبها، فليحافظ الإنسان عليها بالشكر والذكر الدائم، فقد وعد الله ﷻ عباده الشاكرين له على النعم بالزيادة، فقال الله ﷻ: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[إبراهيم: ٧]، فشكر النعم يوجب زيادتها، وجحدها يوجب سلبها، وشكر الله ﷻ على نعمه يتم بطاعته، واتباع أوامره واجتناب نواهيه، وجحدها يتم بنكرانها، وبترك شكره عليها، ومخالفة أوامره ونواهيه.

وبعد أن ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة نعمه التي لا تعد ولا تحصى على بني إسرائيل، وبين في آيات أخرى كيف كانوا يقابلون تلك النعم بالجحود والنكران، والكفر والعناد، وبين نفسيتهم المنحرفة التي جاءت بمنكرات من الأقوال والأفعال، التي تطرقنا للحديث عنها في المبحث الثاني من هذا الفصل، ختم الحديث معهم بإنذار شديد بالغ، وتذكير بيوم عظيم لا يغني فيه أحد عن أحد شيئا[(٣)]، فقال الله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾[البقرة: ١٢٣].

وفي الآية تحذير من الله ﷻ لليهود من عذاب اليوم الآخر، وأهوال يوم الحساب، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾[غافر: ٥٢]، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾[الانفطار:١٩]، بسبب تحريفهم

---

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (١/٢٩٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/٤٠٥).

(٣) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١/٢٦٤).

للكتاب الذي أنزل عليهم (التوراة)، وعدم تصديقهم بالنبي محمد ﷺ، وبالقرآن الذي جاء به، ذلك اليوم الذي لا تقضي فيه نفس عن نفس شيئا من التكاليف التي أمرت بها، ومن الحقوق التي لزمتها، فلا تؤاخذ نفس بذنب نفس أخرى، ولا تدفع عنها شيئا من العذاب، ولا يؤخذ منها فدية تنجو بها من عذاب النار، ولا تنفعها شفاعة أحد، ولا يوجد لها ناصر ينصرها من الله، فيمنع عنها العذاب[1].

التوجيهات التربوية التعبدية المستنبطة من آيات هذا المبحث:

١. وجوب التقرب إلى الله ﷻ بجميع أنواع العبادات التي شرعها لعباده، كالعبادة البدنية(الصلاة) والمالية(الزكاة).

٢. وجوب الاستشعار بمراقبة الله ﷻ في السر والعلن، ليقوى إيمان العبد بالله تعالى، وليصلح نيته، وقوله، وفعله.

٣. بيان أن العقيدة الإسلامية الصحيحة تقوم على أسس ثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان، وأعلاها مرتبة الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

٤. بيان مشروعية وعظ الناس وتوجيههم، وتذكيرهم بنعم الله ﷻ وشكره عليها، بالإيمان به وبرسله دون التفريق بينهم، وباتباع أوامره واجتناب نواهيه.

٥. بيان أن شكر الله ﷻ على النعم يقابلها الزيادة في النعم، وأن الجحود بنعم الله ﷻ ونكرانها والكفر بها يقابلها سلب النعم.

٦. وجوب العمل الصالح لوجه الله ﷻ، لاتقاء يوم الحساب، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا، يوم لا ينفع فيه أحد أحدًا، يوم لا يقبل فيه شفاعة ولا فدية، يوم لا يوجد ناصر من عذاب الله تعالى.

٧. بيان أن من مات على الشرك، لا يقبل منه الفداء، ولا تنفعه شفاعة الشافعين، فلا يخرج من النار، ولا يخفف عنه العذاب.

---

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (٣٠٠/١).

المبحث الرابع

توجيهات تربوية أخلاقية

المطلب الأول: الأمر بالإحسان الفعلي والقولي

جعل الشارع الحكيم الإيمان على مراتب ومقامات عدة، وجعل أعلى هذه المراتب، مرتبة الإحسان، مرتبة مراقبة الله ﷻ في السر والعلن، فإذا وصل الإنسان المؤمن إلى هذه المرتبة العظيمة من الإيمان، بحيث يعبد الله وكأنه يراه ويراقبه في ظاهره وباطنه، في سائر حركاته وسكناته؛ فيكون بذلك قد ارتقى إلى أعلى المراتب، إلى مرتبة ومنزلة عظيمة رفيعة لا يعادلها منزلة، ألا وهي مرتبة الإحسان، فما هو الإحسان، وما هي صوره؟!

الإحسان في اللغة: "ضدُّ الإساءة، وَرَجُلٌ مُحْسِن ومِحسان؛.. وَيُقَالُ: أَحْسِنْ يَا هَذَا فإنك مِحْسانٌ أَي لَا تَزَالُ مُحْسِناً"[(١)]، وقيل "فعل ما ينبغي أن يفعل من الخير"[(٢)]، "وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَحسَنْتُ بفلانٍ وأَسأْتُ بفلانٍ أَي أَحسنت إِلَيْهِ وأَسأْت إِلَيْهِ، وَتَقُولُ: أَحْسِنْ بِنَا أَي أَحسِنْ إِلَيْنَا وَلَا تُسِئْ بِنَا؛..."[(٣)]، والفرق بين الإحسان والإنعام "أن الإحسان يكون لنفس الإنسان وغيره، والإنعام لا يكون إلا لغيره"[(٤)]، وقال الراغب: "الإحسان هو تحري العدالة والزيادة عليها"[(٥)]، ومعنى قوله تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**﴾[البقرة:٨٣]، "أَي قَوْلًا ذَا حُسْنٍ والخِطاب لِلْيَهُودِ أَي اصْدُقوا فِي صِفَةِ مُحَمَّدٍ، ﷺ،... وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ**﴾[التوبة:١٠٠]؛ أَي باسْتِقَامَةٍ وسُلوك الطَّرِيقِ الَّذِي درَج السَّابِقُونَ عَلَيْهِ،...وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً**﴾[العنكبوت:٨]؛ أَي يَفْعَلُ بِهِمَا مَا يَحْسُنُ حُسْناً"[(٦)]،"وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿**هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ**﴾[الرحمن:٦٠]؛ أَي مَا جزاءُ مَنْ أَحْسَن فِي الدُّنيا إلا أَن يُحْسَنَ إليه فِي الْآخِرَةِ"[(٧)].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (١١٧/١٣).
(٢) التعريفات، الجرجاني (ص: ١٢).
(٣) لسان العرب، ابن منظور (١١٥/١٣).
(٤) تاج العروس، المرتضى (٤٢١/٣٤).
(٥) تفسير الراغب الأصفهاني (٤١١/١).
(٦) لسان العرب، ابن منظور (١١٦/١٣).
(٧) المصدر السابق (١١٧/١٣).

ومن خلال التعريفات السابقة يتبين أن الإحسان في اللغة: ضد القبح والإساءة، وهو فعل ما يتوجب من أنواع الخير فضلا وحبا.

الإحسان في الاصطلاح: " إسلام ظاهر يقيمه إيمان باطن يكمله إحسان شهودي"[(١)]، وقد عرف النبي ﷺ الإحسان في حديث جبريل الطويل، حينما سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان وعلم الساعة، فقال: الإحسان (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)[(٢)]؛ لذلك قيل: "الإحسانُ تحري الْحسنى فِي الْإِيمَان، وَالْإِسْلَام"[(٣)]، قال ابن الأثير: "أراد بالإحسان الإخلاص، وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام معا، وذلك أن من تلفظ بالكلمة وجاء بالعمل من غير نية إخلاص لم يكن محسنا، ولا كان إيمانه صحيحا، وقيل: أراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة، فإن من راقب الله أحسن عمله، وقد أشار إليه في الحديث بقوله: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)"[(٤)].

من خلال التعريفات السابقة يتبين أن الإحسان في الاصطلاح: هو التفاني والإتقان والإخلاص في العمل، استشعارا بمراقبة الله ﷻ في السر والعلن، في كل الأعمال والأحوال والحركات والسكنات.

والله ﷻ قد كتب الإحسان على كل شيء، كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)[(٥)].

صور الإحسان:

تتنوع صور الإحسان بحسب طبيعة الأمور التي يقوم بها الإنسان، من عبادات ومعاملات وأفعال وأقوال، وفيما يأتي تفصيل لبعض هذه الصور:

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص: ٤٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (١٩/١)، ح(٥٠).

(٣) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي (ص: ٢٠٩).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٨٧/١).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة (١٥٤٨/٣)، ح(١٩٥٥).

١. **الإحسان في العبادة:** وإحسان العبادة يكون باستشعار مراقبة الله ﷻ، في كل ما كلف به الإنسان من العبادات كالصلاة والزكاة والصيام وغيرها، بأن تؤدى الصلاة مثلا بأوقاتها، وشروطها، وأركانها، كما قال النبي ﷺ: **(أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)**(١)، ومن أعظم ذلك الإحسان في التوحيد بإخلاص العبادة لله وحده، كما قال الله تعالى:﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[البقرة:١١٢]، وإسلام الوجه لله ﷻ يكون بالاستسلام والخضوع والتذلل لله ﷻ، وإخلاص العبادة له وحده، وإحسانه يكون باستشعار مراقبة الله ﷻ بالنيات والأفعال والأقوال.

٢. **الإحسان إلى الوالدين:** والإحسان إليهم يكون ببرهما، والحرص على رضاهما، والبعد عن عقوقهما، وطاعتهما في غير معصية الله، وامتثال أوامرهما ومعاشرتهما في الدنيا بالمعروف، والرأفة بهما عند كبرهما، وصلة أهل ودهما، والدعوة لهما عند مماتهما، فالإحسان إلى الوالدين من أعظم العبادات عند الله ﷻ؛ لذلك قرنهما الله ﷻ بذكر الأمر بعبادته وتوحيده، فقال ﷻ في سياق الحديث عن الميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل :﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[البقرة: ٨٣]، كما وقرن ﷻ شكرهما على تربيتهما بشكره على نعمه، فقال تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾[لقمان:١٤](٢)، وفي الصحيح أن النبي ﷺ سئل: (أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)(٣)، فأخبره النبي ﷺ أن بر الوالدين يأتي في الأعمال المحببة إلى الله ﷻ في المرتبة الثانية بعد الصلاة، التي هي عمود الدين، والتي هي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة؛ وهذا دليل على عظم وأهمية بر الوالدين عند الله ﷻ.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (١٩/١)، ح(٥٠).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٣/٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها (١١٢/١)، ح(٥٢٧).

٣. **الإحسان إلى الأقارب:** أو ما يسمى بصلة الرحم، حيث أمرنا الله ﷻ بالإحسان إليهم في قوله:﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[البقرة: ٨٣]، والإحسان إليهم يكون بزيارتهم وتبادل الهدايا معهم ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم، ومساندتهم حال شدتهم، وتقديم ما هو خير لهم، ودفع الشر عنهم قدر المستطاع، والتصدق على فقيرهم ومسكينهم، وعيادة مريضهم، واتباع جنازتهم، وقبول دعوتهم.

٤. **الإحسان إلى اليتامى:** أمرنا الله ﷻ بالإحسان إليهم في الآية السابقة الذكر بقوله:﴿والْيَتَامَى﴾، والإحسان إلى اليتامى يكون بالعطف عليهم، وحفظ مالهم، وكفالتهم، لذلك يعد كافل اليتيم شديد القرب من النبي ﷺ في الجنة، كما أخبرنا النبي ﷺ في الحديث الصحيح حيث قال: (أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا)[(١)]، وكافل اليتيم هو القائم بأمره ومصالحه وحافظ أمواله[(٢)]، كما وحذرنا النبي ﷺ من أكل مال اليتيم ظلما وتعديا، فقال: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ)[(٣)].

٥. **الإحسان إلى المساكين:** أمرنا الله ﷻ بالإحسان إليهم في الآية السابقة الذكر بقوله(وَالْمَسَاكِينِ)، والمساكين هم الضعفاء المتعففون أهل الحاجات، الذين أسكنتهم الحاجة وأذلهم الفقر، وساروا في حاجة من يسندهم ويواسيهم[(٤)]، والمساكين هم أكثر أهل الجنة كما قال ﷺ: (قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ،...)[(٥)]، والإحسان إليهم يكون بمواساتهم بالعناية بهم والصدقة عليهم، وتفقد أحوالهم، وتقديم ما يحتاجونه من

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان (٥٣/٧)، ح(٥٣٠٤).

(٢) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (١٠٤/٢٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما، إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا} [النساء: ١٠]، (١٠/٤)، ح(٢٧٦٦).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٥/٢).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (١١٣/٨)، ح(٦٥٤٧).

حاجات وضرورات، كما وبين النبي ﷺ أجر الساعي على نفقة المسكين، فقال: (السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ... وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ)[١].

٦. **الإحسان إلى سائر الناس بالقول:** أمرنا الله ﷻ بالإحسان إليهم في الآية السابقة الذكر بقوله: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)، وإحسان القول مع الناس يكون بلين القول والتلطف فيه، وطيب الحديث، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والمجازاة بإحسان.

وينبغي أن يعلم أن لين القول مع الناس لا يقتصر على الإنسان المسلم، بل يشمل جميع الناس من السني والبدعي، والبر والفاجر، والدليل على ذلك أن الله ﷻ أمر موسى وهارون بلين القول مع فرعون الطاغية المتكبر[٢]، قال تعالى: ﴿**اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى* فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى**﴾[طه:٤٣-٤٤]، فإذا كان الإنسان مأمورا بلين القول مع الطغاة فمن باب أولى أن يلين القول مع إخوانه من المسلمين فلا يسب ولا يشتم، ولا يطعن في عرض هذا وعرض هذا، فليتأدب بآداب الشرع.

يقول ابن كثير: "وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسنا، بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل، فجمع بين طرفي الإحسان الفعلي والقولي"[٣].

المطلب الثاني: التحرر من اتباع الأهواء ووجوب ضبطها وفق شرع الله

الأهواء في اللغة: جمع هوى، و"(هوي) الهاء والواو والياء: أصل صحيح يدل على خلو وسقوط، أصله الهواء بين الأرض والسماء، سمي لخلوه، قالوا: وكل خال هواء، قال الله تعالى:﴿**وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾[إبراهيم: ٤٣]، أي خالية لا تعي شيئا...، ويقال هوى الشيء يهوي: سقط، وهاوية: جهنم؛ لأن الكافر يهوي فيها، والهَوى: هوى النَّفْس"[٤]، "إنما سُمّي هوى؛ لأنه يهوى بصاحبه في النار"[٥].

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم (٢٢٨٦/٤)،ح (٢٩٨٢).
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٦/٢).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٣١٧/١).
(٤) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (١٦/٦)
(٥) غريب الحديث، ابن قتيبة (١٨١/١).

الهوى في الاصطلاح: عرفه ابن الجوزي بأنه: "ميل الطبع إلى ما يلائمه وهذا الميل قد خلق في الإنسان لضرورة بقائه فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل، وإلى المشرب ما شرب، وإلى المنكح ما نكح وكذلك كل ما يشتهيه، فالهوى مستجلب له ما يفيد كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذي فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، وإنما يذم المفرط من ذلك وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار، ولما كان الغالب من موافق الهوى أنه لا يقف منه على حد المنتفع أطلق ذم الهوى والشهوات لعموم غلبة الضر"(١).

"وقد يطلق الهوى بمعنى المحبة والميل مطلقا، فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره، وربما استعمل بمعنى محبة الحق خاصة والانقياد إليه"(٢) ومثاله: قول أم المؤمنين عائشة ﵂ للنبي ﷺ: (وَاللَّهِ، مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ)(٣)، وقول عمر﵁ حينما استشاره النبي ﷺ هو وأبو بكر ﵁ في أسرى بدر، فأشار أبو بكر﵁ بالفدية، وأشار عمر﵁ بقتلهم، فقال عمر: "فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت"(٤).

إذن الإنسان إما أن يكون متبعا للحق، وإما أن يكون متبعا لأهوائه وشهواته، يقول الشاطبي: "العقل إذا لم يكن متبعا للشرع، لم يبق له إلا الهوى والشهوة، وأنت تعلم ما في اتباع الهوى وأنه ضلال مبين، ... قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾[القصص: ٥٠]،... تأملوا هذه الآية؛ فإنها صريحة في أن من لم يتبع هدى الله في هوى نفسه، فلا أحد أضل منه، وهذا شأن المبتدع، فإنه اتبع هواه بغير هدى من الله، وهدى الله هو القرآن"(٥).

الأمر باتباع الصراط المستقيم، وتجنب اتباع السبل الضالة:

أمر الله ﷻ العباد بطاعته وطاعة نبيه محمد ﷺ، فقال ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[التغابن:١٢]. وأوصاهم باتباع الصراط المستقيم، وتجنب اتباع السبل الضالة المنحرفة عن الحق، فقال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ

(١) ذم الهوى، ابن الجوزي (ص: ١٢).
(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، الحنبلي (٢/٣٩٩).
(٣) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها (٢/١٠٨٥)، ح(١٤٦٤).
(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (٣/١٣٨٣)، ح(١٧٦٣).
(٥) الاعتصام (١/٦٧).

﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام: ١٥٣]، والصراط المستقيم هو القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والشرع الحكيم، كما وأمر الله ﷻ النبي ﷺ بالقول الصريح الموجه باتباع الشريعة الإسلامية الحقة، والبعد عن اتباع الأهواء والشهوات، فقال ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الجاثية: ١٨]، أي: وضحنا لك الطريق الصحيح فاتبعه ولا تتجاوزه، ولا تميل عنه إلى الطرق الأخرى الضالة.

قال أبو العالية: "تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم؛ فإنه الإسلام ولا تحرفوا الإسلام يمينا وشمالا، وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء"[(١)].

خطورة اتباع الأهواء والشهوات الضالة:

قال ذو النون المصري: "إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء، الأول: ضعف النية بعمل الآخرة، والثاني: صارت أبدانهم مهيئة لشهواتهم، والثالث: غلبهم طول الأمل مع قصر الأجل، والرابع: آثروا رضاء المخلوقين على رضاء الله، والخامس: اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم ﷺ، والسادس: جعلوا زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا أكثر مناقبهم"[(٢)].

إن النهي عن اتباع الأهواء والشهوات شامل لكل أصحاب المعتقدات والتوجهات الخارجة عن الدين الإسلامي الحنيف، كالنهي عن اتباع الأمم السابقة المنحرفة عن الحق، والنهي عن اتباع الآباء والأجداد في معتقداتهم المنحرفة، وكالنهي عن اتباع أهل البدع في مختلف الأزمان، والنهي عن مداهنتهم على المخالفات والمنكرات التي يقومون بها، قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[البقرة: ١٢٠]، وفي الآية تهديد ووعيد شديد لأهل العلم الحاملين لحجج الله ﷻ وبراهينه، القائمين على توضيح شريعته وتبليغها، ترك المداهنة لأهل البدع والأهواء المذبذبين في العقيدة، البعيدين عن الكتاب والسنة، المؤثرين

(١) الاستقامة، ابن تيمية (٢٥٤/١).
(٢) الاعتصام، الشاطبي (١٢١/١).

آرائهم عليها، فإن وافقت أهوائهم قبلوها، وإن تعارضت معها تركوها، فلا يرضيهم إلا اتباع أهوائهم وبدعتهم، فإن اتبع العالم بالكتاب والسنة الأهواء والبدع بعد أن وضح الله ﷻ له الطريق المستقيم في كتابه وفي سنة نبيه، فهو حينئذ ماله من الله من ولي ولا نصير، ومن كان كذلك فهو هالك ضال، لا محالة.[(١)]، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران: ١٠٥]

أرسل الله ﷻ إلى بني إسرائيل الكثير من الرسل على فترات متفاوتة ما بين موسى وعيسى ، ليذكروهم بشرع الله ﷻ، وليوقظوهم من غفلتهم، وليعدلوا مسير حياتهم، ولكنهم كانوا يقابلونهم بالاستكبار والقتل والتكذيب، وينحرفون عن الدين أكثر، ويخالفون ما به من أوامر ونواهي، ويرتكبون المنكرات والمعاصي، يقول ابن كثير: "وما ذاك إلا لأنهم كانوا يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم وبإلزامهم بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها، فلهذا كان يشق ذلك عليهم، فيكذبونهم، وربما قتلوا بعضهم"[(٢)]، فيرسل الله ﷻ لهم من جديد رسلا ليضبطوهم بميزان الشرع، وليجنبوهم اتباع الأهواء، وليزيلوا عنهم الباطل، ولكنهم كانوا يعودون في كل مرة إلى الكفر والعناد؛ استكبارا وحسدا وبغيا منهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧].

فهكذا كان حظ الرسل من بني إسرائيل، فكلما جاءهم رسول جديد بشرع من عند الله ﷻ يخالف هوى نفوسهم، قابلوه بالاستكبار والعناد والتكذيب والقتل، بحجة أن قلوبهم مغلفة لا تنفذ إليها دعوة جديدة كما يزعمون ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة:٨٨]، ولكن قلوبهم في الحقيقة لم تكن مغلفة ولكنهم آثروا أهواءهم الضالة على هدى الله ﷻ، لذلك استحقوا الطرد واللعنة من الله ﷻ[(٣)].

---

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني (١٥٨/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٢١/١).

(٣) انظر: تيسير التفسير، القطان (٤٦/١).

وجوب التحرر من كل مظاهر التبعية لليهود:

نهى الله ﷻ المؤمنين عن كل مظاهر التبعية لليهود، فقال ﷻ: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [البقرة:١٠٤]، وراعنا بلسان العرب: بمعنى أرعنا سمعك، وهي بلسان اليهود السب القبيح، كانت العرب في الجاهلية تتكلم بهذه الكلمة، فلما سمعهم سفهاء اليهود يقولونها للنبي ﷺ أعجبهم ذلك، لأنهم كانوا يتحرجون من سب النبي ﷺ جهرا، فكانوا يسبونه سرًا، وبكلمة راعنا احتالوا على سب النبي ﷺ جهرا؛ بحجة أنها من كلام العرب، فكانوا يأتون مجالس النبي ﷺ فيقولون له: يا محمد راعنا ويضحكون ويتهامزون فيما بينهم، فسمعها منهم رجل من الأنصار ففهم ما يقصدونه من سب النبي ﷺ؛ لأنه كان مدركا للغتهم، فلعنهم وأخذ يهدد بضرب عنق من يتلفظ بها في مجلس النبي ﷺ، فأخذو يحاجونه بأنها من كلام العرب، ويقولون أنتم تتلفظون بها، فأنزل الله ﷻ هذه الآية التي نهى بها المؤمنين عن التلفظ بهذه الكلمة[١].

فجاء النهي للمؤمنين عن التلفظ بهذه الكلمة التي قد يتخذها اليهود ذريعة لسب وشتم النبي ﷺ علنا، وأمروا أن يستبدلوا مكان هذه الكلمة كلمة أخرى تسد مكانها، وتؤدي المقصود منها، الذي لا يستطيع سفاء اليهود تحريفه وإمالته عن مقصوده الحقيقي، واستخدام اليهود لهذه الكلمة وإمالتها وتحريفها لمقصودهم الخبيث يوحي بمدى خبثهم وحسدهم وحقدهم وغيظهم من النبي ﷺ وصحابته، كما ويدل على النفسية اليهودية الخسيسة المنحرفة المنحطة في السلوك سيئة الأدب والخلق.

إذن من خلال ما تقدم في تفسير هذه الآية نخرج بأمرين:

الأمر الاول: توجيه المؤمنين لتخير جميل الألفاظ التي لَا يمكن تحريفها أو إخراجها عن معناها الحقيقي الذي وجدت له.

الأمر الثاني: وجوب الأخذ بسد ذريعة فساد الفهم، مما قد يؤدي إلى اللمز والهمز بالقول وإخراج الكلام عن معناه ومقصده الحقيقي[٢].

فالنهي الوارد في هذه الآية يدل على مدى رعاية الله ﷻ العظيمة لأنبيائه، وأوليائه، تجاه خبث وكيد الأعداء الماكرين للإسلام والمسلمين[١].

---

(١) انظر: لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي (ص: ١٧).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة (١/٣٤٧).

ثم يكشف الله ﷻ للمؤمنين عن النفسية اليهودية الشريرة، وما تكنه لهم من الحسد والحقد والخبث والغيظ والعداء، بسبب ما اختص الله ﷻ به المؤمنين من الفضل والرحمة؛ ليأخذوا حذرهم من أعداء الدين، وليتمسكوا بالإيمان الذي يحسدهم عليه هؤلاء الأعداء الماكرين للإسلام والمسلمين، المتمسكين بما كان عليه آباؤهم من انحرافات عقدية فاسدة، فقال ﷻ: ﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[البقرة: ١٠٥]، وفي الآية بيان لما يضمره الكافرون من المشركين وأهل الكتاب للذين آمنوا مما يوقظ ويحرك مشاعر المؤمنين بالحذر والحرص الشديدين تجاه الكافرين. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ وليس هناك أعظم وأهم من هذه النعمة، نعمة الرسالة والنبوة، نعمة الإيمان وتبليغه للناس، وفي هذا إشارة إلى ما يحرك ويوقظ مشاعر المؤمنين بعظم عطاء الله ﷻ وفضله عليهم، وهذه المشاعر ضرورية لصد كل حملات التضليل والتشكيك والتحريف التي يقودها سفهاء اليهود وأحبارهم، للطعن في العقيدة الإسلامية الصحيحة وتوهينها في قلوب المؤمنين. **ومن الملاحظ في الآية الكريمة** أن الله ﷻ جمع بين أهل الكتاب والمشركين في الكفر، وكلاهما كافر برسالة النبي محمد ﷺ، وأيضًا كلاهما يضمر للمؤمنين العداء والكره، وأعظم ما يكرهونه للمؤمنين ويحسدونهم عليه هو أن الله ﷻ اختارهم لهذا الدين وفضلهم به على غيرهم. [٢]

المطلب الثالث: ذم الحسد والبغي وبيان سوء عاقبته

الحسد في اللغة: قال ابن منظور: " الْحَسَدُ: مَعْرُوفٌ، حَسَدَه يَحْسِدُه ويَحْسُدُه حَسَداً وحَسَّدَه إذا تَمَنَّى أَن تَتَحَوَّلَ إِليه نِعْمَتُهُ وَفَضِيلَتُهُ أَو يُسْلَبَهُمَا"[٣]، "وهو حاسِدٌ من حُسَّدٍ وحُسَّادٍ وحَسَدَةٍ، وحَسُودٌ من حُسُدٍ، وحَسَدَنِي اللهُ إن كنْتُ أَحْسُدُكَ، أي: عاقَبَنِي على الحَسَدِ، وتَحاسَدوا: حَسَدَ بعضُهم بعضاً"[٤].

(١) انظر في ظلال القرآن، سيد قطب (١/٣٠٠).
(٢) انظر: المصدر السابق (١/٣٠١).
(٣) لسان العرب (٣/١٤٥).
(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادى (١/٢٧٧).

الحسد في الاصطلاح: "إحساس نفساني مركب من استحسان نعمة في الغير مع تمني زوالها عنه لأجل غيرة على اختصاص الغير بتلك الحالة أو على مشاركته الحاسد فيها، وقد يطلق اسم الحسد على الغبطة مجازا"(١).

وقال الجرجاني: "الحسد: تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد"(٢).

والحسد منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم، كقوله ﷺ: (لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)(٣)، "قوله لا حسد إلا في اثنتين أي لا حسد محمود وغير مذموم إلا فيهما والحسد المحمود تمنى مثل ما تراه لغيرك وهذا يسمى الغبطة والمذموم أن تتمنى زواله عنه وانتقاله إليك وهو الحسد بالحقيقة"(٤).

ومن الحسد المذموم في القرآن الكريم حسد اليهود للمؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾[البقرة:٩٠]. فالذي حمل اليهود على الكفر بالقرآن، حسدهم للنبي ﷺ؛ لأن الله ﷻ اصطفاه واختاره لأن يحمل الرسالة التي لطالما انتظروها فيهم، وحقدهم أن ينزل الله ﷻ من نعمه وفضله على من يشاء من عباده، وكان هذا تجاوزا منهم لحدود الله ﷻ وظلما؛ فاستحقوا بهذا الظلم والبغي الغضب والعذاب الشديد من الله ﷻ(٥).

فاليهود قوم حسد تفيض نفوسهم المنحرفة بالحقد الدفين تجاه الإسلام والمسلمين، وهو ما يكشفه ويوضحه لنا القرآن الكريم لنعرفه، وليؤكد لنا بأنه السبب الكامن وراء الجهود المبذولة من اليهود لزعزة العقيد الإسلامية في قلوب ونفوس المؤمنين، لردهم من الإيمان إلى الكفر(٦)، قال الله تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٦٢٩/٣٠).

(٢) التعريفات (ص: ٣٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة (٢٥/١)، ح(٧٣).

(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، أبو الفضل (٢١١/١).

(٥) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٢٨٦/١).

(٦) انظر: المصدر السابق (٣٠٣/١).

قَدِيرٌ﴾[البقرة:١٠٩]، وفي الآية دليل على تحريم الحسد؛ لأن التشبه بأخلاق الكفار حرام شرعًا؛ لقول النبي ﷺ: (من تشبه بقوم فهو منهم)[١]؛ فالواجب على الإنسان إذا رأى النعمة على غيره، أن لا يكرهها له، ولا يتمنى زوالها عنه، ولكن يطلب من الله ﷻ أن ينعم عليه بمثلها، فالحاسد لا يزداد بحسده إلا حقدا وبغضا، فلا تهدأ نفسه، ولا يرتاح باله إلا عند زوال النعمة عن غيره، لذلك نجده عند ازدياد النعمة على غيره ازداد حسرة وحرقة، فهو مهما أنعم الله ﷻ عليه من النعم الظاهرة والباطنة لا يرى لله ﷻ فضلاً فيها؛ لأنه مشغول بالنعم التي أنعمها الله على غيره، فتصغر نعم الله ﷻ عليه في عينه فيحتقرها.[٢]

وقد علم اليهود والنصارى بأن الإسلام ميزة ومنقبة عظيمة وكبيرة لمتبعيه؛ لأن الإنسان لا يحسد إلا ما هو خير وذو فضل عظيم، قال الله ﷻ: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[البقرة:١٠٥]، "فالحسد أمره عظيم، وعاقبته وخيمة؛ والناس في خير، والحسود في شر: يتتبع نعم الله على العباد؛ وكلما رأى نعمة صارت جمرة في قلبه؛ ولو لم يكن من خُلُق الحسد إلا أنه من صفات اليهود لكان كافياً في النفور منه"[٣].

المطلب الرابع: النهي عن كثرة الأسئلة وطرحها على وجه التعنت والاقتراح

نهى الله ﷻ في القرآن الكريم عن كثرة الأسئلة التي لا تعود بالنفع على الإنسان، كما نهى الله عن كثرة الأسئلة عن الوقائع والأحداث قبل ثبوتها ونزولها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:(كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ " فأنزل الله فيهم هذه الآية)[٤]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ

---

(١) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، (٤/٤٤)،ح(٤٠٣١)، قال الألباني: حديث صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته (١٠٩٥)، ح(٦١٤٩).

(٢) انظر: تفسير الفاتحة والبقرة، العثيمين (٣٥٩/١).

(٣) المصدر السابق (٣٦٠/١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم} [المائدة: ١٠١]، (٥٤/٦)، ح(٤٦٢٢).

﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠١- ١٠٢]. أي وإن تسألوا عن هذه الوقائع والأحداث بعد نزولها تتضح لكم، ولا تسألوا عن الشيء قبل وقوعه؛ فلعله يشدد عليكم من أجل تلك المسألة، قال ﷺ: (إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ)[١]، وكتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إلي ما سمعت من رسول الله ﷺ ، ... وكتب إليه إنه (كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ وَوَأْدِ الْبَنَاتِ[٢] وَمَنْعٍ[٣] وَهَاتِ[٤])[٥].

كما ويوجه الله ﷻ أنظار العباد إلى سلوك اليهود مع رسلهم الذين أرسلوا إليهم، حتى يتجنبوا مثل هذا السلوك، قال الله تعالى:﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[البقرة: ١٠٨]، "والمراد أن الله ذم من سأل الرسول ﷺ عن شيء، على وجه التعنت والاقتراح، كما سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام، تعنتا وتكذيبا وعنادا"[٦]، و" فيه منعهم عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلائل والبراهين"[٧]، كقول الأميين من أهل الكتاب وغيرهم، لولا يكلمنا الله كما كلم الرسل من قبل، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[البقرة:١١٨]، ويقصدون بالآية في قولهم (أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ) مجموع الآيات التي كانوا يقترحونها بنفسيتهم المنحرفة عن العقيدة الصحيحة، حسدا وتعنتا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه (٩/٩٥)، ح(٧٢٨٩).

(٢) وأد البنات: دفن البنات أحياء كما كانوا عليه في الجاهلية، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد الكوراني، (٩/٣٩٩).

(٣) منع: منع ما يتوجب عليكم إعطاؤه، انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (١٢/٢٤٧).

(٤) هات: الطلب من الناس بغير وجه حق، انظر: المصدر السابق، (١٢/٢٤٧).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه (٩/٩٥)، ح(٧٢٩٢).

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/٣٨١).

(٧) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (١/١٥٤).

واستكبارا، كقولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[البقرة:٥٥]، وقولهم: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾[النساء:١٥٣]، وقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾[الإسراء:٩٠] فهم لا يطلبون الآيات للاسترشاد أو لبيان الحق، بل يطلبونها من رسلهم تعنتا واستكبارا، والدليل على ذلك أن الله ﷻ قد بين آياته لكل إنسان عرفه حق المعرفة، فأيقن بآياته وبراهينه، فاندفع بها عن الشك والريب(١).

التوجيهات التربوية الأخلاقية المستنبطة من هذا المبحث:

١. وجوب الإحسان إلى أهل الإحسان، وبيان أن أولى الناس بالإحسان إليهم هم الوالدان.

٢. وجوب التحدث مع النبي محمد ﷺ، بأدب وإجلال وإكبار، باختيار أعظم الألفاظ اللائقة لمكانته عند الله ﷻ، مع مراعاة حسن الاستماع والامتثال لأوامر النبي ﷺ ونواهيه.

٣. وجوب ضبط الأهواء والشهوات بميزان الشرع، بكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، مع الأمر بتجنب اتباع أهل الأهواء من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل البدع الذين يحرفون الكلم عن مواضعه.

٤. وجوب التحرر من كل مظاهر التبعية لليهود.

٥. الكشف عن نفسيات اليهود الحاقدة الماكرة للإسلام والمسلمين، بغيا وحسدا من عند أنفسهم، مع تحذير المؤمنين من كيدهم وشرورهم وحسدهم.

٦. التحذير الشديد من الحسد، وبيان أنه من أعظم صفات اليهود، والأمر بتجنبه، والابتعاد عنه.

٧. التحذير من المغالاة في الدين، وذم اقتراح الأسئلة تعنتا واستكبارا، لا استرشادا وبيانا.

٨. النهي عن كثرة الأسئلة التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

٩. بيان أن قلوب أهل الباطل متشابهة في كل زمان ومكان، لاتباعهم إملاءات الشياطين، وطاعتهم لهم.

١٠. أهل اليقين هم المنتفعون الوحيدون بآيات الله ﷻ؛ لسلامة قلوبهم، وصحة عقيدتهم.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (٦٤).

المبحث الخامس

توجيهات تربوية مستنبطة من آيات الأحكام

المطلب الاول: موقف الشريعة من السحر

السحر في اللغة: "السِّينُ وَالْحَاءُ وَالرَّاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ مُتَبَايِنَةٌ: أَحَدُهَا عُضْوٌ مِنَ الْأَعْضَاءِ، وَالْآخَرُ خَدْعٌ وَشِبْهُهُ، وَالثَّالِثُ وَقْتٌ مِنَ الْأَوْقَاتِ،... وَأَمَّا الثَّانِي فَالسِّحْرُ، قَالَ قَوْمٌ: هُوَ إِخْرَاجُ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَيُقَالُ هُوَ الْخَدِيعَةُ".(١)

وفي الأثر أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا)(٢)، "أَيْ مِنْهُ مَا يَصرف قُلُوبَ السَّامِعِينَ وَإِنْ كَانَ غيرَ حَقٍّ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ إِنَّ مِنَ البَيان مَا يكْتَسب بِهِ مِنَ الإِثْم مَا يكْتَسبه السَّاحِرُ بِسحْرِه، فَيَكُونُ فِي مَعْرِض الذَّم، ويجوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَعْرض المَدْح؛ لِأَنَّهُ يُسْتمالُ بِهِ القلوبُ، ويُتَرضى بِهِ السَّاخِطُ، ويُسْتنْزل بِهِ الصَّعْب، والسِّحْرُ فِي كَلَامِهِمْ: صَرفُ الشَّيْءِ عَنْ وجْهه"(٣).

من خلال التعريفات السابقة للسحر في اللغة تبين للباحثة أن السحر يدور حول عدة معان، منها: صرف الشيء عن معناه الحقيقي، التأثير بالباطل، الخداع، والتخييل.

السحر في الاصطلاح: هو ما يقوم به الساحر من الأعمال التمويهية والحيل والتخاييل للمسحور، فيخدعه بها، فيظنها المسحور أنها خلاف ما هي عليه، كأن يرى السراب من بعيد فيظنه ماء(٤) .

حكم السحر وحكم تعلمه وتعليمه:

إن فعل السحر وممارسته، وتعليمه وتعلمه حرام على الصحيح من أقوال العلماء، كما قال الإمام النووي: "ويحرم فعل السحر بالإجماع، ومن اعتقد إباحته فهو كافر،... وأما تعلم السحر وتعليمه؛ ففيه ثلاثة أوجه، الصحيح الذي قطع به الجمهور: أنهما حرامان"(٥)، والدليل على ذلك

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (١٣٨/٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الخُطبة (١٩/٧)، ح(٥١٤٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٣٤٦/٢).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٤٣/٢).

(٥) روضة الطالبين وعمدة المفتين (٣٤٦/٩).

من القرآن الكريم، قول الله تعالى:﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة:١٠٢].

ففي قوله: (فلا تكفر) "أبلغ إنذارا وأعظم تحذيرا: أي أن هذا ذنب يكون من فعله كافرا فلا تكفر، وفيه دليل على أن تعلم السحر كفر وظاهره عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد، وبين من تعلّمه ليكون ساحرا ومن تعلّمه ليقدر على دفعه"(١)، والدليل على حرمته من السنة النبوية، قول النبي ﷺ: (اجْتَنِبُوا المُوبِقَاتِ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ...)(٢).

حقيقة السحر وتأثيره على الإنسان:

اختلف الناس في حقيقة السحر وتأثيره على الإنسان على قولين؛ منهم من قال بأن للسحر حقيقة وتأثير، ومنهم من قال ليس للسحر حقيقة وتأثير بل هو مجرد أوهام تخيل للإنسان، ولكن الصحيح من قول العلماء بأن للسحر حقيقة وتأثير على الإنسان، كما نقل عن الإمام النووي أنه قال: "والصحيح أن له حقيقة، وبه قطع الجمهور، وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة"(٣).

الدليل من القرآن: قول الله ﷻ في سياق الحديث عن اليهود: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٢]، **ووجه الاستدلال من الآية على حقيقة السحر، أن الله** ﷻ قد أخبر فيها عن السحر، وذكر عالمه ومتعلمه، في قوله: (يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) وقوله: (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا)، وقوله: (وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ)، وحكم على متعلمه بالكفر فقال:

---

(١) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، القِنَّوجي (ص: ١٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الشرك والسحر من الموبقات (١٣٧/٧)، ح(٥٧٦٤).

(٣) روضة الطالبين وعمدة المفتين (٣٤٦/٩).

(حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) إذن هذه الأمور المذكورة في الآية تدل على أن السحر موجود، وله حقيقة وتأثير [١].

وقوله: (مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) " في إسناد التفريق إلى السحرة وجعل السحر سببا لذلك دليل على أن للسحر تأثيرا في القلوب بالحب والبغض، والجمع والفرقة، والقرب والبعد"[٢].

وذكر ابن قدامة في سياق الحديث عن السحر، أن للسحر حقيقة فمنه ما يقتل، ومنه ما يمرض، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه[٣]، فقوله: (وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) دليل على أن للسحر تأثير في نفسه، ولكنه لا يلحق ضررا بأحد إلا بإذن من الله ﷻ بتأثيره فيه[٤].

والدليل من السنة: قول عائشة ﵂: (سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي، أَتَانِي رَجُلاَنِ: فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِيمَا ذَا، قَالَ: فِي مُشُطٍ وَمُشَاقَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ)[٥]، فدل حديث عائشة رضي الله عنها، على تأثير السحر على الإنسان وحقيقته[٦].

المطلب الثاني: النسخ في القرآن الكريم

النسخ في اللغة: "النُّونُ وَالسِّينُ وَالْخَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، إِلَّا أَنَّهُ مُخْتَلَفٌ فِي قِيَاسِهِ، قَالَ قَوْمٌ: قِيَاسُهُ رَفْعُ شَيْءٍ وَإِثْبَاتُ غَيْرِهِ مَكَانَهُ، وَقَالَ آخَرُونَ: قِيَاسُهُ تَحْوِيلُ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، قَالُوا: النَّسْخُ: نَسْخُ الْكِتَابِ، وَالنَّسْخُ: أَمْرٌ كَانَ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ قَبْلُ ثُمَّ يُنْسَخُ بِحَادِثٍ غَيْرِهِ، كَالْآيَةِ يَنْزِلُ فِيهَا أَمْرٌ ثُمَّ تُنْسَخُ بِآيَةٍ أُخْرَى، وَكُلُّ شَيْءٍ خَلَفَ شَيْئًا فَقَدِ انْتَسَخَهُ..."[٧].

---

(١) انظر حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة، عواد المعتق (١/١٣).
(٢) فتح القدير، الشوكاني (١/١٤١).
(٣) انظر: المغني (٩/٢٨).
(٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني (١/١٤١).
(٥) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٤/١٢٢)، ح(٣٢٦٨).
(٦) انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية (٢/٢٢٧).
(٧) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٥/٤٢٤).

من خلال التعريفات السابقة تبين للباحثة أن النسخ في اللغة يدور حول المعاني التالية: الرفع، النقل، التحويل، التبديل، الإزالة.

النسخ في الشريعة: "هو بيان انتهاء الحكم الشرعي في حق صاحب الشرع، وكان انتهاؤه عند الله تعالى معلومًا إلا أن في علمنا كان استمراره ودوامه، وبالناسخ علمنا انتهاءه، وكان في حقنا تبديلًا وتغييرًا".[١]، وقيل هو: "رفع حكم شَرْعِي بِدَلِيل شَرْعِي"[٢].

النسخ في القرآن الكريم:

إن بعض الأحكام الشرعية نزلت لزمان ومكان وقوم معينين، ثم نسخت بأحكام جديدة وأبطلت، مراعاة لمصالح العباد، وانسجاما مع التطور والتغيير الذي يحدث في المجتمعات، وتذكيرا بفضل الله ﷻ ونعمه على عباده، حيث يقرر لهم من الأحكام ما يناسبهم، فينتقل بالتشريع من حكم إلى حكم آخر أنسب وأفضل لهم، متدرجا بالأحكام وفقا للظروف والأحوال، إذن فالنسخ لم يكن لجهل المشرع بالحكم الذي تم نسخه واستبداله،، وإنما كان ليعالج الأمور حسبما تقتضيه المصلحة الحاضرة والمستقبلية، والله ﷻ قادر على كل شيء، فيقرر حكما لفترة زمنية معينة، ثم يقرر حكما آخر لتهيئة المكلفين وإعدادهم لتحمّل التكليف بصورة تدريجية[٣].

قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[البقرة: ١٠٦-١٠٧]. خص الله ﷻ أمة محمد ﷺ بالخير والفضل العظيم، فأنزل عليهم الشريعة الأخيرة الناسخة لما قبلها، فأنكر الكافرون الذين لا يحبون الخير لهذه الأمة هذه الشريعة الناسخة لما قبلها، وبالتالي اعتبروا الإسلام باطلا، وباعتقادهم هذا حكموا على الله ﷻ بالعجز، ألم يعلموا بأن الله ﷻ قد أحاط بكل شيء علما؟! فأنزل الله ﷻ هاتين الآيتين لترد عليهم وتثبت قدرته وإحاطة ملكه، كما وتوجه الأمة المحمدية للاعتراف بفضل الله ﷻ عليهم،

(١) التعريفات، الجرجاني (ص: ٢٤٠).
(٢) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، السنيكي (ص:٨٠).
(٣) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي (٤٩/١).

باتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وترشدهم أيضا إلى شكر الله ﷻ على نعمه وفضله وكرمه عليهم[١].

فلما توجه المسلمون إلى الكعبة بأمر من الله ﷻ، حسدهم المشركون على ذلك، وطعنوا في الإسلام والمسلمين، وقالوا إن محمدًا متناقض في أحكامه، يأمر أصحابه بشيء ثم ينهاهم عنه، فأخذوا يشككون في القرآن الكريم وأنه من تلقاء نفس النبي ﷺ، ولهذا يناقض بعضه بعضا، فأنزل الله ﷻ ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾[النحل: ١٠١][٢].

ثم أرشدهم الله ﷻ ووجههم إلى تذكر قدرته وإحاطة ملكه فقال تعالى:﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير*أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[البقرة: ١٠٦-١٠٧] فالله ﷻ هو المتصرف في هذا الكون، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، قدره نافذ في سائر عباده صالحهم وطالحهم، فلا يخرج شيء عن قدرته وإرادته، فإذا أراد شيئا لم يمنعه أحد، فالأمر والخلق كله بيديه، يسعد من يشاء، ويشقي من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، يحلل ما يشاء، ويحرم ما يشاء، يأمر بما يشاء، وينهى عما يشاء، وبذلك يختبر عباده ليميز بين المطيعين لأمره بالنسخ، وبين الخارجين عن طاعته، فهو ﷻ يأمر عباده بما يعلمه مصلحة لهم في زمن ما، ثم ينهاهم عن الشيء الذي أمرهم به في زمن آخر مراعاة لمصالحهم فما يصلح في زمن ما، قد لا يصلح في زمن آخر، فالطاعة كل الطاعة في امتثال أوامره واجتناب نواهيه، واتباع رسله في تصديق ما جاءوا به، وهذا دليل على مرونة الإسلام، وصلاحيته لكل زمان ومكان، وهنا أعظم رد، وأبلغ بيان لكفر اليهود الجاحدين، ودرء وتزييف زعمهم باستحالة النسخ[٣]، فإذا كان الله ﷻ قد أحاط بكل شيء علما وملكا، فلاشك أنه لا يعجزه نسخ بعض الأحكام، (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) والمعنى أن الله ﷻ وحده هو وليكم وناصركم، فلا تبالوا بأحد أنكر النسخ أو شكك به، ولا ينبغي أن يميلكم ذلك

(١) انظر: الأساس في التفسير، حوى (٢٠٧/١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٦١/٢).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٧٨/١).

التشكيك والإنكار عن العقيدة الإسلامية الحقة، إذ ليس بمقدور أحد أن يضركم أو ينفعكم، لأنه ﷻ هو مولاكم وناصركم[(١)].

المطلب الثالث: حرمة الاعتداء على المساجد، وصحة الصلاة في أي مكان من الأرض

إن المساجد من أحب الأماكن إلى الله ﷻ، فلها في الإسلام الدور الكبير والأهمية العظمى، فهي أولى مؤسسات المجتمع المسلم، وأول ما قام به النبي ﷺ عند وصوله المدينة، بنى المسجد، وجعله محلا للعبادة والصلاة، وتعليم المسلمين أمور دينهم ودنياهم، بالإضافة إلى أنها كانت محلا لاجتماعات المسلمين، ومركزا لقيادتهم، فمنها تنطلق البعثات الدعوية، والجيوش الاسلامية، وقد نبه الله ﷻ على الدور العظيم البارز للمساجد، وبين مكانتها، والجزاء العظيم للقائمين على عمارتها، فقال:﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾[النور:٣٦]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾[التوبة:١٨].

ومن يتصدى لمساجد الله ﷻ، فيعطلها عن القيام بدورها في المجتمع من تبليغ الرسالة، وتعليم الناس أمور دينهم ودنياتهم، فهو يسعى لتهميشها والتقليل من شأنها وبالتالي خرابها، قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[البقرة: ١١٤]، ففي الآية "انذار كبير وتحذير مخيف لكل من يمنع أحدا من عبادة الله أو يصد الناس عن دخول المساجد لأداء عباداتهم ، أو من يسعى في خرابها"[(٢)]، فلا أحد أشد ظلما واعتداء وجرما ممن سعى إلى تخريبها وتعطيلها وشل حركتها؛ والسعي على تخريبها، ليس مقتصرا على نوع واحد من أنواع التخريب، وإنا يشمل كل أنواع التخريب والتعطيل الحسي من الهدم والتلويث والتدنيس، وتمزيق المصاحف، والتعطيل المعنوي من صد روادها عن ذكر الله ﷻ فيها، ومنع إقامة شعائر الله ﷻ فيها، كمنع العبادة والصلاة فيها، ومنع التعليم الديني فيها.

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٣٤٢/١).

(٢) تيسير التفسير، القطان (٥٩/١).

ودلت الآية على أهمية الصلاة وعظمتها، فلما كانت أهم الأعمال وأفضلها عند الله ﷻ، وأعظمها أجرا كان منعها أشد ظلما، وأعظم إثما[١]، ودلت أيضا على أن تدمير المساجد، والصد عن ذكر الله ﷻ من أعظم الظلم وأبشع الجرم، لا يرتكبه إلا من انتزع الإيمان من قلبه، وعادى شريعة ربه، باتباع أهوائه وشهواته[٢].

وقوله تعالى: (أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ) أي لا تمكنوا المعتدين على بيوت الله ﷻ المخربين لها من دخولها إن استطعتم ذلك، إلا تحت الهدنة والجزية[٣]؛ ولذا لما فتحت مكة، أمر النبي ﷺ في سنة تسع للهجرة من العام القابل أن يؤذن فيها وينادى بـ (لاَ يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ)[٤].

وختم الله ﷻ الآية الكريمة ببيان عاقبة القائمين على تخريب بيوت الله سواء حسيا أو معنويا فقال:(لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ) والمعنى أن لهم في الدنيا الذل والهوان والصغار، وهو القتل والسبي للحربي، والجزية إن لم يكن حربياً[٥]؛ بسبب ما قاموا به من الظلم والبغي على بيوت الله ﷻ، ولهم في الآخرة العذاب المقيم، "وهذا إنذار عام يصدُق على كفار قريش حين منعوا النبي ﷺ وأصحابه من دخول مكة وتأدية العمرة عام الحديبية، كما يصدق على كل من عمل على تعطيل مسجد أو حالَ دون أداء شعائر الله فيه"[٦].

صحة الصلاة في أي مكان من الأرض:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ١١٥]، قيل إن هذه الآية أنزلت بالمشركين الذين أخرجوا النبي ﷺ وأصحابه من مكة، وصدوهم عن المسجد الحرام ومنعوهم من الصلاة فيه[٧]، والمعنى: إذا حيل بين المصلين وبين مساجدهم، فلهم أن

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢/٧٨).

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (١/٢٨١).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/٣٨٩).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ما يستر من العورة (١/٨٢)، ح(٣٦٩).

(٥) انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢/٧٩).

(٦) تيسير التفسير، القطان (١/٥٩).

(٧) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (١/٣٧٨).

يصلوا في أي مكان من الأرض؛ لأن الأرض كلها ملك لله ﷻ، فأينما توجهوا في سفرهم وترحالهم فثم قبلة الله ﷻ التي ارتضاها لهم، والتي تبرأ ذمتهم باستقبالها، والصلاة إلى أي اتجاه من الأرض خاص بصلاة النافلة صلاة التطوع في حال السفر، والدليل (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتِهِ نَحْوَ المَشْرِقِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ المَكْتُوبَةَ نَزَلَ، فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ)(١)، وصلاة التطوع والمكتوبة في حال مسايفة(٢) العدو(٣).

قال القرطبي: "جهة القبلة تبيح الضرورة تركها في المسايفة، وتبيحها أيضا الرخصة حالة السفر،... ولا خلاف بين العلماء في جواز النافلة على الراحلة...، ولا يجوز لأحد أن يدع القبلة عامدا بوجه من الوجوه إلا في شدة الخوف، وأجمعوا على أنه لا يجوز لأحد صحيح أن يصلي فريضة إلا بالأرض إلا في الخوف الشديد خاصة"(٤).

والآية تشير إلى أن سعي المعتدين الظالمين في تخريب بيوت الله ﷻ بشتى أنواع التخريب، لا يقف مانعا أمام إقامة شعائر الله ﷻ، فشعائر الله ﷻ ليست خاصة بالمساجد فقط، وإنما هي تقام في أي مكان من الأرض، فالأرض كلها لله ﷻ ، له المشرق والمغرب وما بينهما من الجهات والمخلوقات، فأينما تحرى الإنسان قبلة الله ﷻ توجه إليها، فالأرض كلها جعلت للإنسان مسجدا وطهورا(٥)، روي أن النبي ﷺ قال: (وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ)(٦).

وقوله: (إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ) إشارة إلى واسع ملك الله ﷻ، وأنه لا يتحدد ولا ينحصر في مكان أو جهة، وواسع علمه بمن يتجه إليه بجسده وقلبه(٧).

التوجيهات التربوية المستنبطة من آيات الأحكام:

١. عمل السحر وتعلمه وتعليمه حرام شرعا، لأنه يؤدي إلى الكفر.

---

(١) صحيح البخاري، أبواب تقصير الصلاة، باب ينزل للمكتوبة (٢/٤٥)، ح(١٠٩٩)..

(٢) المسايفة: المقاتلة والمضاربة بالسيف، انظر: الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي، ابن المبرد (٢/٢٨٢).

(٣) انظر: تيسير التفسير، القطان (١/٦٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢/٨٠).

(٥) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١/٢٥٥).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا" (١/٩٥)، ح(٤٣٨).

(٧) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (١/٢٨١).

٢. لا يتضرر المسحور بالسحر، إلا إذا كان ذلك مقدرا له من عند الله ﷻ.

٣. تعلم السحر سواء كان لاستعماله، أو لغير استعماله يضر ولا ينفع.

٤. وقع النسخ في الأحكام الشرعية مراعاة لمصالح العباد الدينية والدنيوية، وهذا إنما جاء رأفة من الله على عباده، وتيسيرا لهم.

٥. عظم جرم وظلم المعتدين على بيوت الله ﷻ بالتخريب والتعطيل بكل أنواعه حسيا كان أو معنويا.

٦. وجوب حماية مساجد الله ﷻ من دخول الكافرين إلا أن يدخلوها بإذن المسلمين وهم أذلاء مهانون صاغرون.

٧. إذا منع الناس من الصلاة في مساجد الله ﷻ، فليصلوا في أي بقاع الأرض شاءوا، لأن الأرض كلها لله، فقد جعلت كلها مسجدا وطهورا.

٨. تصح صلاة التطوع على أي اتجاه من الأرض حال السفر، وكذا الصلاة المكتوبة حال مسايفة العدو.

٩. بيان واسع علم الله ﷻ، وإحاطة ملكه، فعلمه وملكه لا يحده مكان أو زمان.

المبحث السادس

توجيهات تربوية علمية

المطلب الأول: عقل الكلام موجب لفهمه وتدبره واعتقاده والعمل

اعتنى القرآن الكريم بالعقل الإنساني، وكرمه، واحترم إرادته وفكره، فقال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ١٥٦]، والمعنى: أن الدين الإسلامي واضح بأدلته وبراهينه لا غرر فيه، لا يحتاج أن يجبر أحد على الدخول فيه؛ طريقه واضح بين، من اتبعه فقد اهتدى، ومن أعرض عنه فقد ضل(١)، حذر الله ﷻ النبي ﷺ وأمته من اتباع أهواء اليهود والنصارى، وبين أن طريق الهداية والإرشاد في هدى الله ﷻ وحده، فقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[البقرة:١٢٠]، لذا يعد القرآن الكريم من أرقى وأقوى نماذج السلوك الإنساني؛ فهو يضبط سلوك الإنسان وفكره وعقله ومعتقده وسلوكه، قال تعالى:﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[البقرة:١٢١]، فالعقل مناط التفكير والعلم والوعي والإدراك، وهو مرتبط بالإيمان أشد الارتباط؛ لذلك اتجه القرآن الكريم إلى العقل في ترسيخ العقيدة الإسلامية، وتمكينها في قلوب المؤمنين.

الإدراك العقلي يوجب الايمان العملي:

الإدراك العقلي للإيمان لا يكفي وحده، كما نبهنا القرآن الكريم لذلك، إذ لا بد من اقترانه بالعمل، فلا فائدة من إدراك واعتقاد بدون عمل، فاليهود مثلا كانوا يدركون الدعوة الإسلامية كل الإدراك، ولكنهم سرعان ما يحرفون كلام الله ﷻ عند سماعه وفهمه وإدراكه، لذلك آيس الله ﷻ النبي ﷺ وأمته من إيمان أمثال هؤلاء، فقال تعالى:﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/٦٨٢).

﴿يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٧٥]، والمعنى: أن يهود المدينة كانوا قد سمعوا كلام الله ﷻ عيانا، وفهموه وأدركوه، ورغم كل ذلك حرفوه، فكيف يطمع بإيمان مثل هؤلاء، قال القشيري: "ومن لم يَبقَ على الإيمان بعد العيان فكيف يؤمن بالبرهان، والذي لم يصلح للحق لا يصلح لكم"(١)، "وقوله: (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أي يعلمون أنهم يحرفون كلام الله ﷻ عنادا وكذبا، وفي الآية ينبهنا الله ﷻ لأمر مهم، وهو أنه قد يكون العناد وغلبة الشهوة سببًا يمنع الإنسان من الاعتراف بالإيمان، وليس الجهل به فقط(٢)، فالعالم بالحق المعاند له بعيد كل البعد عن الهداية والرشاد، لأنه علم الحق، وعلم ما أعده الله ﷻ للمعاندين المخالفين له، ومع ذلك لم ينته عن انكاره وعناده(٣).

قال الطنطاوي: "وقوله تعالى: (ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) زيادة تشنيع عليهم، حيث إنهم حرفوا كلام الله بعد فهمهم له عن تعمد وسوء نية، وارتكبوا هذا الفعل الشنيع، رغم علمهم بما يستحقه مرتكبه من عقوبة دنيوية وأخروية، ففي هذين القيدين من النعي عليهم ما لا مزيد عليه، حيث أبطل بهما عذر الجهل والنسيان، وسجل عليهم تعمد الفسوق والعصيان"(٤).

ذم التقليد الأعمى للأتباع على غير علم وهدى:

لما أخبرنا الله ﷻ بالتحريف الذي قامت به طائفة من علماء اليهود، مع علمهم وإدراكهم واستيقانهم للحق، أخبرنا ﷻ بالطائفة الأخرى منهم وهم الأميون الذين يقلدونهم في ضلالهم، ونبهنا ﷻ أنهم لا يختلفون عنهم، بل هم في الضلال سواء؛ لأن من علم الحقيقة وجب عليه العمل بها، وليس الانصياع وراء الظن والتقليد الأعمى، وهو متيقن من علمه، فقال تعالى:﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ إِلاَّ أَمانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾[البقرة:٧٨](٥)، والمعنى أن من اليهود فريق آخر أميون جهلاء لا يقرؤون ولا

---

(١) لطائف الاشارات (٧٨/١).
(٢) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، الأصفهاني (٢٣٦/١).
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣/٢).
(٤) التفسير: الوسيط للقرآن الكريم (١٨٠/١).
(٥) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (٣٣٧/١).

يكتبون، ومع ذلك يدعون الإقرار بالتوراة، وهم في الحقيقة لا يعلمون ما شرعه الله ﷻ لهم في كتابه من الحدود والأحكام والفرائض، وإنما هم يشكون بأن التوراة من عند الله، ويكذبون، ويتقولون على الله ﷻ بهتانا وزورا، فهؤلاء غاية جهدهم الظن والتقليد الأعمى.[1].

وفي قوله تعالى: (وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) زيادة في التجهيل لهم، لأن أمانيهم هذه من باب الأوهام والتخيلات التي لا دليل عليها، أو من باب الظنون التي لا تغني من الحق شيئا، ولا تكفي في معرفة أصول الدين الموصلة إلى حقيقة الإيمان[2]،قال أبو زهرة: "إن علمهم ظن، وليس بيقين له مقدمات يقينية ينتج علما يقينيا، وإنما تنتج ظنا، وإن الظن لَا يغني من الحق شيئا، فعلمهم أوهام في أوهام، وهل تنتج الأهواء التي تنبعث من الأماني يقينا أو علما صادقا؟"[3]، والتعبير بالمضارع في قوله: (يَظُنُّونَ) " للإشارة إلى أن ظنهم يتجدد ويستمرون في أكاذيب يبتدعونها، وظنونًا يختلقونها أو يختلقها لهم أحبارهم"[4].

ففي مجمل الآية توجيه وإرشاد إلى عامة الناس بتعلم العلم وفهمه وتدبره والعمل بما فيه، حتى لا يحتاج الإنسان إلى تقليد الغير واتباعهم فيما يقولون ويكتبون عن جهل، وعن غير علم بحقيقة ما يدعونه[5].

خطورة الاختلاق على الله ﷻ بغير علم:

لما كشف الله ﷻ عن حال هذه الطائفة الأمية التي لا تعي ما في الكتاب، والتي قصارى جهدها اتباع الظن والتقليد الأعمى، عقب بكشف وبيان حال علمائهم الذين كانوا سببا في ايقاعهم بدائرة الكذب والاختلاق على الله باتباعهم وتقليدهم، وهم الضالون المضلون عن الطريق المستقيم، الذين باعوا آخرتهم بدنياهم، فافتروا الكذب على الله ﷻ، فتوعدهم ﷻ بقوله[6]:﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾[البقرة:٧٩]، إن

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٢/٢٦٢).
(٢) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١/١٨٣).
(٣) زهرة التفاسير، أبو زهرة (١/٢٨٢).
(٤) المصدر السابق (١/٢٨٢).
(٥) انظر: التفسير البسيط، الواحدي (٣/٩٠).
(٦) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (١/٣٣٩).

كتابة الكتب المحرفة والتأويلات الباطلة بقصد الإضلال بها من المنكرات، والكذب على الله ﷻ من أعظم المنكرات[(١)]؛ لأن مجرد إقرارهم أنه من عند الله ﷻ يقتضي التزام عهوده ومواثيقه، إجلالا وإكبارا لمنزله وموحيه، ودعوى الناس إلى كافة أحكامه وشرائعه، ولكن لم يصدر ذلك منهم، أخذوا يحرفون الكلام عن مواضعه ليشتروا به ثمنًا قليلًا، فنبه ﷻ بالآية أن ما حرفوه وأثبتوه من التأويلات الباطلة، التي يتبعها الجهلة، هو اكتساب إثم يكتسبونه حالا بعد حال، فهم يتحملون وزرهم ووزر من أضلوهم بقولهم وفعلهم، كما أن الدعاة إلى الله ﷻ يثابون على عملهم ودعوتهم وهديهم، وعمل من اهتدى بدعوتهم وهديهم، واقتفى علمهم، فكذلك الذين يضلون غيرهم[(٢)].

والمقصود بالثمن في الآية إما أن يكون إرضاؤهم للعامة بتحريف أحكام الله ﷻ وتبديلها بما يناسب أهواءهم، أو انتحالهم للعلم مع كونهم جهلة، فأخذوا يلفقون الأحكام، ويجمعون موضوعات وقصصًا تافهة ليتصدروا بها في مجامع العلم، لأنهم لما كانت عقولهم قاصرة عن الوصول إلى العلم الصحيح، وهم يرغبون ويطمعون في التصدر للرياسة، لفقوا القصص والموضوعات المختلقة، ثم نشروها بين العامة ونسبوها إلى الله ﷻ، وهذا ديدن الجهلة المتطلعين إلى العلو والرياسة، وهم لا يمتلكون الأهلية لها، ليظهروا في صورة العلماء أمام أنظار العامة[(٣)].

فقوله تعالى:(لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) يدل على أمرين:

الأمر الأول: يدل على منتهى شقاوتهم؛ لأن العاقل يجب أن لا يرضى بالوزر القليل في الآخرة لأجل الأجر العظيم في الدنيا.

الأمر الثاني: يدل على أنهم ما حرفوا كلام الله ﷻ ديانة، بل حبا وطلبا للمال والرياسة، وأخذ المال على باطل حرام، وإن كان بالتراضي[(٤)].

(١) انظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي (٥٦٥/٣).
(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (٣٣٩/١).
(٣) انظر: التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٥٧٧/١).
(٤) انظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي (٥٦٥/٣).

قال تعالى في سياق الحديث عن السحر وعالمه ومتعلمه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٢] قال الطنطاوي: "أثبت الله ﷻ لهم العلم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ ثم نفاه عنهم في قوله تعالى: ﴿لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ جريا على الأسلوب المعروف في فنون البلاغة من أن العالم بالشيء إذا لم يعمل بموجب علمه نزل منزلة الجاهل ونفى عنه العلم كما ينفى عن الجاهلين".[١]

إذن من خلال ما تقدم تبين أن العالم المعاند، والعامي المقلد في الضلال سواء؛ لأن العالم يجب أن يعمل بمقتضى علمه، والعامي عليه أن لا يرضى بالتقليد واتباع الظن، وهو متمكن من علمه؛ فالدين ليس بالأماني والظنون، فالذين اتبعوا التقليد الخالص، واغتروا بالظنون الباطلة والتخمينات المبهمة لا نصيب لهم من كتبهم الا قراءتها دون إدراك حقيقتها ومعانيها وأسرارها، وللأسف الشديد هذا حال غالبية أهل زماننا من مدعي الإسلام، فالمدعي والظان المتمني عاقبتهم الضلال والخسران المبين[٢].

كما ويخبرنا الله ﷻ عن إحدى افتراءات اليهود وادعاءاتهم التي ادعوها لأنفسهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٨٠]، قالوا إن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة قليلة زائلة، ثم يخرجون منها، فرد الله ﷻ عليهم بقوله: (قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا) أي: فهل اتخذتم عند الله ﷻ عهدًا بذلك، فإن اتخذتم ذلك فالله ﷻ لا يخلف عهده ووعده، ولكن هذا ما كان ولا جرى، بل أنتم تتقولون على الله ﷻ ما لا تعلمون كذبا وافتراء[٣].

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (٢٣١/١).

(٢) انظر: روح البيان، الخلوتي الحنفي (١٦٨/١).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣١٣/١).

المطلب الثاني: تلقي العلم يلزمه تهذيب النفس وتزكيتها

إن أصول الفساد الأخلاقي والخلل الإيماني المنتشر في المجتمعات هذه الأيام، ليس سببه ضعف علمي أو ثقافي، وإنما مصدر ذلك الخلل والفساد من أنفسنا، قال تعالى:﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[آل عمران: ١٦٥]، وقال تعالى:﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[الرعد:١١]، وقال تعالى في سياق الحديث عن الذين ينفقون أموالهم:﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾[البقرة:٢٦٥]، والمعنى "إن النفس وإن كانت مجبولة على حب المال واستثقال الطاعات البدنية إلا أنها ما عودتها تتعود،... فمتى أهملتها فقد تمرنت واعتادت الكسل والبطالة والبخل وإمساك المال عن صرفه إلى وجوه الطاعات ومقتضيات الإيمان، وحيث كلفتها وحملتها على مشاق العبادات البدنية والمالية تنقاد لك وتتزكى عن عاداتها الجبلية"[(١)].

وأدرك الإمام البوصيري أصول التربية المتمثلة في ضرورة تطهير النفس وتهذيبها وتربيتها على الأخلاق والفضائل الحميدة منذ الصغر وكسر شهوتها ونزوتها حيثُ قال:

"والنَّفسُ كَالطِّفلِ إنْ تُهمِلْهُ شَبَّ عَلَى ... حُبِّ الرّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنفَطِمِ"[(٢)]

فشبه النفس بالطفل الذي يحتاج إلى عناية وتربية ورعاية كاملة منذ الصغر، فالنفس كالطفل، إن أهملتها وتركتها بدون إرشاد وعناية وتوجيه صحيح منذ الصغر، تنشأ وتكبر فاسدة، فلابدّ من توجيهها وإرشادها وإصلاحها ورعايتها منذ الصغر[(٣)].

فالنفس هي الموجه والمحرك والمسئول الأول عن سلوكيات الإنسان ومعتقداته، وأخلاقه، وتوجهاته، وكافة انفعالاته، قال تعالى:﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسّاهَا**﴾[الشمس: ٧-١٠].

---

(١) تفسير روح البيان، الخلوتي الحنفي (٤٢٤/١).

(٢) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، المهدي (٣٦٥/٢).

(٣) انظر: موسوعة الشعر الإسلامي، الشحود (١٧/٥٥١).

إذن فكيف السبيل إلى ضبط النفس وإصلاحها وتهذيبها؟!

إن السبيل لتربية النفس وإصلاحها وتهذيبها وضبطها يبدأ من التزكية؛ فما المقصود بالتزكية؟

التزكية: هي "نماء النفس بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم، وأصل التزكية نفي ما يستقبح قولا أو فعلا وحقيقتها الإخبار عما ينطوي عليه الإنسان"[(١)].

وقال الإمام ابن تيمية: "التزكي هو التطهر والتبرك بترك السيئات الموجب زكاة النفس، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[الشمس:٩]، ولهذا تفسر الزكاة تارة بالنماء والزيادة وتارة بالنظافة والإماطة، والتحقيق أن الزكاة تجمع بين الأمرين إزالة الشر وزيادة الخير، هذا هو العمل الصالح وهو الإحسان، وذلك لا ينفع إلا بالإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له الذي هو أصل الإيمان"[(٢)].

أهمية التزكية:

إن التزكية من إحدى الوظائف التي أرسل من أجلها الأنبياء، لدعوة الناس لعبادة الله ﷻ، فكانت دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:﴿رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة:١٢٩]، أدرك إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن تلاوة القرآن والسنة وتعليم الكتاب والحكمة لا يكفي في تربية الأمم وإصلاحها وتهذيبها وتطهيرها من النقائص والرذائل، لذلك كان لابد أن يقرن التعليم بالأعمال الصالحة الخالصة لوجه الله ﷻ، ولابد أن يقرن أيضا بالتطهير والتهذيب والتربية على الفضائل والأخلاق الحميدة التي تحصننا من النقائص والرذائل، (وَيُزَكِّيهِمْ) أي يهذب نفوسهم ويطهرها من رذائل الأخلاق، ومن سوء العادات، ويعودها على الأعمال الصالحة التي ترسخ في النفوس أعمال الخير، وتبعد عنها أعمال الشر[(٣)]، قال الإمام الرازي: "واعلم أن كمال حال الإنسان في أمرين. أحدهما: أن يعرف الحق لذاته، والثاني: أن يعرف الخير لأجل العمل به، فإن أخل

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص:١٧٤).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١/١٩٨).

(٣) انظر: تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (١/٣٨٩).

بشيء من هذين الأمرين لم يكن طاهرا عن الرذائل والنقائص، ولم يكن زكيا عنها، فلما ذكر صفات الفضل والكمال أردفها بذكر التزكية عن الرذائل والنقائص، فقال: ويزكيهم"[١].

ثم ختما الدعاء بالثناء على الله ﷻ فقالا: (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، أي: العزيز القوي الذي لا يغلب، الذي ذلت أمام عزته الصعاب، ولانت أمام قوته الشدائد العظام، والحكيم: واسع المعرفة الذي يضع الأشياء في مواضعها ومنازلها المناسبة لها، ويتقن العمل، ويحسن الصنع، والسر في ذكر هذين الوصفين (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) هنا إزالة ما يلتبس على العقل، من أن هذه الأمور التي دعا بها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للعرب منافية لعاداتهم التي جبلوا عليها أنفسهم، بعيدة كل البعد عن أحوالهم وطبائعهم، فهم ألفوا البداوة والغلظة والخشونة، وهم أعداء العلم والعلماء، والحكم والحكماء، خصماء اللياقة الفكرية والتربوية، لا يخضعون لنظام، ولا يؤخذون بالأحكام، ولا استعداد فيهم للرقي والمدنية والحضارة، التي هي أثر لتعليم الكتاب والحكمة، وتزكية سائر أفراد الأمة، فكان يتوقع أن يقال: من يستطيع أن يغير طباع وعادات أمة معروفة بالغلظة والخشونة، فيجعلها من أهل الرقي والعلم والحكمة، كما يقولون بأن الطبع غلب التطبع؟ لولا أن علم أن المسئول عن ذلك كله هو العزيز القوي الذي لا يغلب، والحكيم الذي يضع الأوامر مواضعها المناسبة لها، فلا معقب لحكمه[٢].

قال طنطاوي: "وقد جاءت ترتيب هذه الجمل في أسمى درجات البلاغة والحكمة؛ لأن أول تبليغ الرسالة يكون بتلاوة القرآن ثم بتعليم معانيه، ثم بتعليم العلم النافع الذي تحصل به التزكية والتطهير من كل ما لا يليق التلبس به في الظاهر، أو الباطن"[٣].

وقد استجاب الله ﷻ دعوة نبيه إبراهيم عليه السلام، فبعث فينا رسولنا محمدًا ﷺ ليقوم بهذه الوظيفة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[الجمعة:٢]، فكان النبي ﷺ متمما لمكارم الأخلاق، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤]، و "عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ، قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي (٤/٥٩).
(٢) انظر: تفسير القرآن الحكيم، محمد رضا (١/٣٨٩).
(٣) التفسير الوسيط، طنطاوي (ص:٢٠٩).

يزعم أنه نبي، يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق الأخ حتى قدمه، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاما ما هو بالشعر..."[1]، فكانت مجالس النبي ﷺ تزخر بالكثير من الآداب والأخلاق الحسنة، وتعزيز اللياقة الذهنية للمجتمع من خلال تبني العادات الحسنة التي تعمل على التقريب والتأليف بين النفوس والقلوب، وذلك كله من حكمته ﷺ، وقد قيل: إن ساعة في مجلس النبي ﷺ تكفي أو تغني عن فقه سنين، وإن عمل النبي ﷺ بعد تلاوة القرآن وتعليمه تزكية النفوس وتهذيبها وتنميتها وتطهيرها من العيوب، فقال تعالى: (وَيُزَكِّيهِمْ) أي يطهرهم من رجس الجاهلية وأدرانها وينمي فيهم الخلق الحسن والدين القويم، مما يكون سببا في زيادة عددهم وشيوع دعوة الإسلام فيهم، وبقائه قائمًا خالدًا فيهم إلى يوم القيامة[2].

لطيفة: لما كان ظاهر دعوة إبراهيم عليه السلام أن البعث سيكون في أمة مسلمة، كانوا إلى تعليم الكتاب والحكمة أحوج منهم إلى التزكية؛ لأن أصل التزكية موجود عندهم بمجرد إسلامهم، فأخر قوله: (وَيُزَكِّيهِمْ) أي يطهر وينقي ويهذب قلوبهم بما أوتي من دقائق الكتاب والعلم والحكمة، فترتقي بصفائها ونقائها، ولطفها من قمة الدين إلى محل يؤتمن عليها فيه أن ترتد على أدبارها وتميل عن كتابها كما فعل أسلافها،... ولما ذكر سبحانه وتعالى في سورة الجمعة استجابة دعوة نبيه إبراهيم عليه السلام، ذكر بعث النبي ﷺ في الأميين عامة فهنا اقتضى المقام تقديم التزكية بالبراءة من الشرك الأكبر، ليقبلوا ما جاءهم من الكتاب والحكمة[3].

المطلب الثالث: العلم بالله وأسمائه وصفاته موجب التسليم لأمره

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ* أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة:٧٦-٧٧]، وهذا وصف للمنافقين أخبرنا الله عز وجل به في مطلع السورة في قوله

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (٥/٤٧)، ح(٣٨١٦).
(٢) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة (١/٤١٠).
(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (٢/١٦٢).

تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:٨]، وهذه الآية التي نحن بصدد الحديث عنها تتحدث عن أمر خاص باليهود الذين عاصروا النبي ﷺ، وهي أنهم لشدة تكبرهم وغرورهم يحسبون أن الله ﷻ لا يعلم ما يخفون من كفر بالنبي ﷺ، فإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بالنبي محمد ﷺ، وصدقنا به، وعلمنا أنه الحق، وهم في قرارة أنفسهم يخفون كفرهم وتكذيبهم وكيدهم للنبي ﷺ، ولكنهم يظهرون خلاف ما يبطنون ظنا منهم بأنهم قد نجوا من الملامة، ولكن إخوانهم الذين على ملتهم وجحودهم لم يرضوا بالظهور بهذا المظهر، فلاموهم ووبخوهم على قولهم خشية أن يكون ما أظهروه حجة عليهم يوم القيامة، واعترافهم بذلك واقرارهم حجة ظاهرة، وهم بذلك يزعمون أمرين كلاهما باطل:

الأمر الأول: ظنهم أن الله ﷻ يحتاج لمعرفة ما هم عليه إلى اقرارهم واعترافهم، والحقيقة أن الله ﷻ واسع العلم والمعرفة، عالم الغيب والشهادة، يعلم ما يسرون وما يعلنون.

الأمر الثاني: يظنون أن النبي ﷺ والمؤمنين لا يعلمون ما عند اليهود إلا بإقرارهم أمام النبي ﷺ، والحقيقة أن المؤمنين يعرفون كل ما بُشر به هؤلاء في كتبهم من بعث النبي ﷺ ومواصفاته، وهم أنفسهم كانوا يستنصرون به على الذين كفروا، ولما جاءهم كفروا به.

وقد بين الله ﷻ بطلان ما يقولون وبعده عن العقول، فقال تعالى: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) وفي هذا الاستفهام دعوة من الله ﷻ إلى تفكر وتدبر وادارك ما يكون نتيجة كلامهم، البعيد عن المعقول، فهم يتصورون أن الله ﷻ لَا يعلم ما هم عليه من كفر وخداع وتكذيب، وما أخذ عليهم من عهود ومواثيق، وما وضع من بشارات بالنبي ﷺ في كتبهم، ويظنون أن المؤمنين يحاجونهم عند الله بهذا الاعتراف الذي أظهروه كذبًا وخداعًا، ولا يعرفون أن الله ﷻ يعلم سرهم ونجواهم[١]، فهؤلاء قوم ليس عندهم مبدأ متذبذبون في معتقداتهم، نتيجة ضعف الإرادة والعلم فيهم، ولو كانوا أصحاب إرادة قوية لثبتوا على ما يعتقدونه ظاهرًا وباطنًا، ولم يجاملوا مخالفيهم من أهل الملل الأخرى، وقد وبخهم الله ﷻ على جهلهم بحقيقة علمه وأنكر عليهم هذا الخداع والدهان في الدين، ولقاء كل فريق بوجه يظهرون له ما يبطنون من أمر الآخر، فقال تعالى: (أَوَلَا يَعْلَمُونَ

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة (١/٢٧٩-٢٨٠).

أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) والمعنى: أولا يعلم هؤلاء المنافقون أن الله ﷻ يعلم ما يخفون من كفر وكيد وخداع، وما يظهرون من إيمان وود وتقرب لأهل الإيمان، فإن كانوا مؤمنين بإحاطة علمه ﷻ بكل شيء، فلم لا يحفلون باطلاعه على ظواهرهم المتصنعة، وإحاطته بما يجول في ضمائرهم، وبما يترتب على إحاطة علمه من خزي الدنيا وعذاب الآخرة[١]، قال أبو زهرة: "وفي بيان ذلك العلم تهديد بالجزاء الذي ينتظرهم، فهو سبحانه يعلم ما يفعلون، وما يخالفون به مواثيقهم وعهودهم، وما ينكثون به في أيمانهم، ومُؤاخذهم به"[٢]، وقال الراغب: "هذا تبكيت لهم، وإنكار لما يتعاطونه، مع علمهم بأن الله لا يخفى عليه خافية"[٣].

واسع قدرة الله ﷻ وإحاطة علمه، ووجوب التسليم لـأمره:

لمّا أنكرت اليهود النسخ لبعض آيات الله ﷻ، ردّ عليهم سبحانه بقوله: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾[البقرة:١٠٦-١٠٧]، والمعنى: "لا تحسبن أن تغييري الحكم حالاً فحالاً وإن لم آت بالثاني في الابتداء هو العجز، فإن من علم قدرته على كل شي لا يظن ذلك، وإنما يعتبر ذلك لا يرجع إلى مصلحة العباد، وبدأ الأليق بهم في الوقت المتقدم الحكم المتقدم وفى الوقت المتأخر الحكم المتأخر"[٤].

والدليل على إحاطة قدرته ﷻ بكل شيء، قوله: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ) فهو يملك جميع أموركم وشئونكم يديرها ويدبرها، وهو أعلم بما يأتيكم به من ناسخ أو منسوخ، (وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ) يتولى أموركم (وَلا نَصِيرٍ) ينصركم فيحميكم من العذاب، وقضيّة علم الله ﷻ في هذه الأمور فيها من الجزم والحزم والإيقان بأن الله ﷻ لا يأتيهم بأمر من أمور الدنيا أو الآخرة إلّا بما فيه خير ومصلحة لهم، والعمل بموجب هذه الأوامر من الثقة به سبحانه، والتوكّل عليه، وتفويض الأمر كله إليه، من غير استماع إلى افتراءات اليهود وتشكيكاتهم التي من جملتها نكران أمر النسخ في أحكام التوراة، وجحود نبوة عيسى ومحمد

---

(١) انظر: تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (٢٩٧/١).

(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة (٢٨٠/١).

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني (٢٣٨/١).

(٤) انظر: المصدر السابق (٢٨٦/١).

عليهما الصلاة والسلام، لمجيئهما بما جاء به من عند الله بتغيير ما غيّر الله من حكم التوراة، فأخبرهم الله ﷻ أنّ له ملك السموات والأرض وما بينهما، وأنّ الخلق خلقه وأهل مملكته وطاعته، فعليهم الانقياد لحكمه، والسمع والطاعة لأوامره ونواهيه، وأنّ له ﷻ أمرهم ونهيهم بما شاء، ونسخ وإقرار ما يشاء[(١)].

المطلب الرابع: اليقين أعلى وأبلغ مراتب العلم وأوكده

اليقين في اللغة: "العلم وزوالُ الشك، يقال منه: يَقِنْتُ الأمر يَقْنا، وأيْقَنْتُ، واسْتَيْقَنْتُ، وتَيَقَّنْتُ، كلُّه، بمعنًى. وأنا على يَقين منه"[(٢)].

وفي اللسان: اليَقِينُ: "العِلْم وَإِزَاحَةُ الشَّكِّ وتحقيقُ الأَمر، وَقَدْ أَيْقَنَ يُوقِنُ إِيقَانًا، فَهُوَ مُوقِنٌ، ويَقِنَ يَيْقَن يَقَناً، فَهُوَ يَقِنٌ. واليَقِين: نَقيض الشَّكِّ، وَالْعِلْمُ نقيضُ الْجَهْلِ، تَقُولُ عَلِمْتُه يَقيناً. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿**وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ**﴾[الحاقة:٥١]؛ أَضاف الْحَقَّ إِلَى الْيَقِينِ وَلَيْسَ هُوَ مِنْ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ، لأَن الْحَقَّ هُوَ غَيْرُ الْيَقِينِ، إِنَّمَا هُوَ خالصُه وأَصَحُّه، فَجَرَى مَجْرَى إِضَافَةِ الْبَعْضِ إِلَى الْكُلِّ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾[الحجر:٩٩]؛ أَي حَتَّى يأْتيك الموتُ"[(٣)].

اليقين في الاصطلاح: "الِاعْتِقَاد الْجَازِم الثَّابِت المطابق للْوَاقِع، وَقيل: عبارَة عَن الْعلم المستقر فِي الْقلب لثُبُوته من سَبَب مُتَعَيّن لَهُ بِحَيْثُ لَا يقبل الانهدام، من (يقن المَاء فِي الْحَوْض) إِذا اسْتَقر ودام"[(٤)]، لذا قال الإمام الشعراوي: " اليقين استقرار القضية في القلب استقراراً لا يحتمل شكا ولا زلزلة، ولا يمكن أن تخرج القضية مرة أخرى إلى العقل، لتناقش من جديد لأنه أصبح يقينا".[(٥)]، وقال الراغب: "اليقين أبلغ علم وأوكده، وهو أن يكون عالم بالشيء،

---

(١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (٣٧٢/١)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (١٤٤/١).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (٢٢١٩/٦).

(٣) لسان العرب، ابن منظور (٤٥٧/١٣).

(٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي (ص:٩٧٩).

(٥) تفسير الشعراوي (ص:٣٣٣).

وعالماً بأنك تعلمه غير شاك ولا متهيئ للشك، ولذلك قيل: هو المعلوم الذي زالت عنه المعارضة على مرور الأوقات"[١].

درجات اليقين:

قال الراغب: "اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها، يقال: علم يقين، ولا يقال: معرفة يقين، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم، وقال: ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾[التكاثر:٥]، و﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾[التكاثر:٧]، و﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة:٩٥]، وبينها فروق مذكورة"[٢].

من خلال قول الراغب تبين أن درجات اليقين هي:

١. **علم اليقين:** "مرتبة البرهان"[٣]، وهو "العلم الذي لا يشك فيه"[٤].
٢. **عين اليقين:** "المشاهدة والعيان"[٥]، "أن يرى المعلوم عيانا فليس الخبر كالمعاينة"[٦]، وقيل هي" الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته"[٧].
٣. **حق اليقين:** "وهو أن يصير العالم والمعلوم والعلم واحدا"[٨].

وقد مثل ابن القيم لهذه الدرجات الثلاثة بقوله: "من أخبرك أن عنده عسلا، وأنت لا تشك في صدقه، ثم أراك إياه، فازددت يقينا، ثم ذقت منه، فالأول: علم اليقين، والثاني: عين اليقين، والثالث: حق اليقين"[٩].

وقال الإمام الشعراوي: "اليقين علم إذا جاء عن إخبار من تثق به، وعين يقين إذا كان الأمر قد شوهد مشاهدة العين، وحق يقين هو أن تدخل في حقيقة الشيء"[١٠].

من أين يأتي اليقين:

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (١/٣٠٣).
(٢) المصدر السابق (ص:٨٩٢).
(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري (٦/٢٤٧).
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي (٢/٥٠٩).
(٥) النكت والعيون، الماوردي (٦/٣٣٢).
(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري (٦/٢٤٧).
(٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (٤/٧٩٢).
(٨) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النبسابوي (٦/٢٤٧).
(٩) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/٣٧٩).
(١٠) تفسير الشعراوي (ص:٣٣٣).

ينبثق اليقين الحقيقي من القلب الواثق بالله ﷻ، المتدبر لآياته، المدرك لسنة نبيه ﷺ، المؤمن بهما حق الإيمان، المدرك لعظمتهما، وعظمة ما جاءت به، العامل بمقتضى أوامرهما ونواهيهما، قال الإمام ابن تيمية: "وأما كيف يحصل اليقين فبثلاثة أشياء: أحدها: تدبر القرآن، والثاني: تدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس والآفاق التي تبين أنه حق، والثالث: العمل بموجب العلم"(١).

وقال الإمام الشعراوي: "واليقين يأتي من إخبار من تثق به وتصبح أخباره يقينا، فإذا قال الله قال اليقين، وإذا قال الرسول ﷺ فكلامه حق، ولذلك من مصداقية الإيمان أن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه، عندما قيل له إن صاحبك يقول إنه صُعد به إلى السماء السابعة وذهب إلى بيت المقدس في ليلة واحدة، قال إن كان قد قال فقد صدق"(٢).

أهل اليقين ثابتون على الحق، لا ينتابهم شك ولا ريب:

قال تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[البقرة: ١١٨].

والذين لا يعلمون هم المشركون الأميون الذين تحدوا النبي ﷺ وطلبوا منه أن يكلمهم الله وأن يأتيهم بالآيات الخارقات، فقد تشابهت أقوالهم بأقوال من سبقوهم من اليهود الذين طلبوا من موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة، فبين ﷻ أن الفريقين من المشركين واليهود قد تشابهت قلوبهم في الطبيعة المتعنتة الضالة، والتصور الفكري المنحرف، فلا فضل لليهود على المشركين، وهم متشابهو القلوب في الطبيعة المتعنتة والتصور الفكري المنحرف(٣)، فهذه عاداتهم مع رسلهم يطلبون الآيات للتعنت، ولا يطلبونها للاسترشاد، فهم لم يكن مقصدهم وضوح الحق؛ لأن الرسل جاءتهم بالحق المبين من رب العالمين، بما لا يدع مجالا لأسئلة أخرى، فمن شأنهم أن يوقنوا لوجود الدليل، وبدون تردد؛ لأن الدليل إن كان قويا صدقوه وأدركوه بعقولهم، ولكن انقيادهم وإذعانهم لَا يكون إلا بخضوع قلوبهم للحق؛ لذا قال تعالى في شأن الجاحدين المتعنتين:

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٣٠).

(٢) تفسير الشعراوي (ص:٣٣٣).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، قطب (١/٣١٠).

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[النمل:١٤][(١)]، والمعنى أنهم كفروا بآيات الله، مع علمهم علما يقينا أنها حق، وأنها من عند الله، فكفرهم بها غير مستند على الشك والريب، وإنما كفرا وجحودا وعنادا من أنفسهم، واستكبارا عن اتباع الحق[(٢)].

لذا قال تعالى: (قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) أي: قد وضحنا الآيات الدالات على صدق الرسل بما لا يدع مجالًا للشك فيها، وبما لا يحتاج معها لأسئلة أخرى، لمن أيقن بقلبه وصدق بعمله واتبع رسل ربه [(٣)]، قال قطب: "والذي يجد راحة اليقين في قلبه يجد في الآيات مصداق يقينه، ويجد فيها طمأنينة ضميره، فالآيات لا تنشئ اليقين، إنما اليقين هو الذي يدرك دلالتها ويطمئن إلى حقيقتها، ويهيىء القلوب للتلقي الواصل الصحيح"[(٤)]، فكل إنسان موقن، عرف ربه، وعرف من آياته الباهرة، وبراهينه الساطعة الواضحة، ما جرى له به اليقين، وانصرف عنه كل شك وريب[(٥)].

الأسباب الموصلة لدرجة اليقين بالله ﷻ:

١. اتباع كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، وتدبرهما، والعمل بما فيهما.
٢. حسن الثقة بالله ﷻ، وتمام التوكل عليه.
٣. حسن الجوار والصحبة، وذلك بمجاورة أهل العلم، ومصاحبة الصالحين الأخيار.
٤. الحرص على تلقي العلوم النافعة، التي تصل بالإنسان إلى اتباع الحقائق التي لا شك فيها، وتبعده عن اتباع الشبهات والشهوات.

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة (١/٣٨٥).
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/١٨١)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (٦٠٢).
(٣) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١/١٥٢).
(٤) في ظلال القرآن (١/٣١٠).
(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص:٦٤).

التوجيهات التربوية العلمية المستنبطة من هذا المبحث:

1. عقل الكلام وإدراكه، يوجب اعتقاده والعمل به.
2. التأكيد على بطلان التقليد في عقائد الله ﷻ وأصول أحكامه.
3. التحذير الشديد من التحريف والتبديل والتغيير في شرع الله ﷻ.
4. بيان الويل والهلاك الشديد للذين يفترون على الله ﷻ بغير الحق.
5. بيان أن السبيل إلى تربية النفس وتهذيبها وتطهيرها يبدأ بالتزكية منذ الصغر.
6. بيان أن العلم بواسع قدرة الله ﷻ وإحاطة ملكه، يوجب التسليم لأمره.
7. ذم الجهل بالله ﷻ وأسمائه وصفاته.
8. اليقين الحقيقي ينبثق من القلب الواثق بالله ﷻ وبأحكامه وشرائعه.
9. أهل اليقين هم أكثر الناس تصديقا، وإيمانا، وانتفاعا، وعملا بآيات الله ﷻ.
10. باتباع كتاب الله، وسنة نبيه، والعمل بما فيهما من أحكام وتشريعات، يحصل الإنسان على درجة اليقين الموصلة لجنة النعيم.

المبحث السابع

توجيهات تربوية أمنية

الأمن من أعظم وأجل نعم الله ﷻ على خلقه، وهو من الضرورات للمجتمع البشري، وبخاصة المجتمع المسلم، لذلك قرن الله ﷻ الأمن بالإيمان في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُون**﴾[الأنعام: ٣٢]، فبالأمن تتحقق مصالح العباد، وبفقده تضيع المصالح، وتنتهك الحقوق، وبالأمن الاستقرار والراحة والأمان، وبانعدامه الخوف والاضطراب والقلق والهلع؛ لذلك حرصت الكثير من الدول على توفير الأمن في مجتمعاتها ومؤسساتها وبين أفرادها، لعلمها وإدراكها أن نعمة الأمن تتقدم سائر النعم الأخرى، فالدول إن لم توفر الأمن والأمان والراحة والاستقرار لمجتمعاتها ومؤسساتها وأفرادها اختل نظامها، واضطرب كيانها، وانعدم استقرارها، وسادها الخوف على أفرادها ومؤسساتها وكافة مجتمعاتها.

فإذا كان الأمن نعمة، ففقده نقمة، في سياق الحديث عن النعم التي أنعمها الله ﷻ على قريش قال تعالى: ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـٰذَا الْبَيْتِ* الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾[قريش: ٣-٤]. إذن تحتاج الدول لتنعم بالاستقرار إلى كافة أنواع الأمن من الأمن النفسي والأمن الاجتماعي والوطني، والأمن الاقتصادي، والأمن العسكري، والأمن الفكري، وإذا لم يتحقق للدول ذلك فقد يسودها الاضطراب والفوضى والظلم والانتهاك، وفي زماننا هذا مشاهد حية على اضطراب الأمن في العديد من الدول العربية، وعلينا أن ندرك أن الأمن المطلق لا يكون في الدار الدنيا، وإنما في الدار الآخرة، التي وعد الله ﷻ بها عباده المتقين، فقال تعالى: ﴿**ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ**﴾[الحجر:٤٦].

إذن فما المقصود بالأمن، وما هي أنواعه:

الأمن في اللغة: "عدم توقع مكروه في الزمان الآتي"(١)،"وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف"(٢).

الأمن في الاصطلاح: "الاطمئنان وعدم الخوف ، وهو أعظم شيء في الوجود"(٣).

(١) التعريفات، الجرجاني (ص:٣٧).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص:٣٦).

(٣) تيسير التفسير، القطان (٣/٣٥٩).

أما عن أنواع الأمن، فسيتم التحدث عنها في المطالب التالية الذكر.

المطلب الأول: الأمن النفسي

إن الشعور بالأمن النفسي يعد من المطالب الأساسية والضرورية لحياة الدول وأفرادها ومجتمعاتها، فالأمن النفسي هو أحد أساسيات الحياة التي لا يمكن الاستغناء عنها، فالكل بحاجة إليه، لذلك الكل يسعى لمحاربة الخوف، والقلق، والهلع، لينعم بالراحة والطمأنينة، والاستقرار، والهدوء والسكينة، وأكبر شاهد على ذلك البلاد التي على حروب دائمة مع العدو، تجدها في صراع مستمر لا يتوقف من الاضطرابات النفسية والقلق والخوف والهلع الذي يسودها، تحاول دفع هذه الاضطرابات النفسية عنها بكل ما لديها من قوة متاحة.

وكثيرًا ما نرى الأشخاص الذين يعانون من ضغوطات نفسية بسبب ظروف عائلية، أو ظروف وظيفية أو غيرها، قد يتعرضون لنوبات قلبية تكاد تودي بحياتهم، من هنا يتضح لنا أن الأمن النفسي ينقسم إلى قسمين، أمن خارجي، وأمن داخلي، وأن الأخير أشدها خطرًا على حياة الإنسان، وأكثرها تأثيرًا؛ فكون الإنسان في مجتمع آمن خالي من الحروب والصراعات لا يكفي لإحساسه بالأمن النفسي، بل لابد من أمن داخلي يجعله أكثر قوة، وتقبلا لما يحيط به من أخطار قد تهدد حياته أو مستقبله.

إذن الاعتصام بعروة الإيمان وإخلاص النية لله تعالى في الأقوال والأفعال، تعد بمثابة علاج فعال لكل الضغوطات النفسية التي يمر بها الإنسان، وهذا ما أثبته علماء الصحة النفسية من خلال التجارب الحديثة التي قاموا بها(١).

من أمثلة الأمن النفسي في القرآن الكريم:

إن الله ﷻ قد وعد المخلصين له، المطيعين لأوامره ونواهيه بالأمن في الدنيا والآخرة، فقال تعالى:﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[البقرة:١١٢]، قال أبو زهرة: "أي أنهم لَا يخافون حسابًا ولا عقابًا ولا يحزنون لأمر نالهم، بل إن إخلاصهم لله، وإحسانهم العمل لَا يجعل للعقاب سبيلًا لهم، فهم في أمن من الله؛ لأنهم

(١) انظر: التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية المنهج والمجالات، د. إبراهيم رجب وآخرون (ص:٣٩٤).

أطاعوه، أما غيرهم فهم في غيهم وغرورهم يوم القيامة يخافون مما يستقبلهم ويحزنون على ما فاتهم"(١).

إذن إخلاص العمل لله ﷻ هو الطريق المستقيم، الذي يأمن به الإنسان المسلم على مصيره الدنيوي والأخروي، وهو مصدر القوة للإنسان، لعلمه وإيمانه بأن السموات والأرض وما فيهن لله ﷻ، كلها قانتة خاضعة لأمره، يتصرف بها كيف يشاء، قال تعالى:﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ* وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ*بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[البقرة: ١١٥-١١٧]، فإذا آمن الإنسان بذلك، انبعث في قلبه السلام والأمان الداخلي، لعلمه بأن الأمور كلها بيد الله، يقلبها كيف يشاء بحكمته، لذلك كانت الدعوة إلى الإسلام الخالص لله ﷻ وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام لأبنائهم، بل ووصية جميع الأنبياء لأقوامهم، قال تعالى: ﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[البقرة: ١٣٢]، فقولهما: (يَا بَنِيَّ إِنَّ الله اصطفى لَكُمُ الدين) دل على أن الوصية لم تكن من قبلهما، أو من أمرهما، بل كانت من أمر الله ﷻ، يقول الشعراوي: "فكأن إبراهيم ائتمن الله على نفسه فنفذ التكاليف، وائتمنه على أولاده فأراد منهم أن يتمسكوا بما اختاره لهم الله"(٢).

فإذا انحرف الإنسان عن هذا الطريق الآمن المطمئن له في الدنيا والآخرة، اختلف في دينه، وتفرق وضعف وتشتت، واضطربت نفسه، قال تعالى ﴿**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**﴾[البقرة: ١٣٧-١٣٨]، يقول الله ﷻ لنبيه ﷺ إذا حاول أحد من اليهود والنصارى والمنافقين أذيتك وأذية المؤمنين، فالله ﷻ يكفيك من شرهم وكيدهم؛ لأنه ﷻ سميع لكل ما ينطقون به، عليم بكل ما يضمرونه لك وللمؤمنين من كيد وعداء، وقد حاولوا أذية رسول الله ﷺ مرات عدة، وفي كل مرة كان الله ﷻ يبطل كيدهم ويظهر ما يخفونه ويضمرونه بقلوبهم للنبي ﷺ، فمهما حاولوا ومهما استخدموا من وسائل للكيد بالنبي ﷺ وأذيته، فسيكفيه الله

(١) زهرة التفاسير، أبو زهرة (٣٦٧/١).

(٢) تفسير الشعراوي – الخواطر (٥٩٦/١).

ﷻ شرهم وكيدهم، ولذلك قال تعالى: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله وَهُوَ السميع العليم) فكل كيد وأذية قبل أن تحدث يعلمها ﷻ فيبطلها، ويدفع شرها، فإذا كان الله ﷻ معك، فمن عليك؟ فممن تخاف؟ ومن يستطيع كيدك وأذيتك؟.. وأنت معك السميع بكل ما يقولون، العليم بكل ما يخفون، القوي الذي لا يغلب، ومادام معك العليم بكل شيء، القوي الذي لا يغلب، والحي الذي لا يموت، فلا تخشى أحدا إلا هو ﷻ؛ لأنك في أمانه وحفظه ورعايته.[(١)]، فليس على الإنسان إلا أن يلتزم دين الله ﷻ فيصبغ به كما يصبغ الثوب باللون، حتى يتخلل ويتعمق دين الله ﷻ في جسده، قال قطب: " ليس على المؤمن إلا أن يستقيم على طريقته، وأن يعتز بالحق المستمد مباشرة من ربه، وبالعلامة التي يضعها الله على أوليائه، فيعرفون بها في الأرض: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) صبغة الله التي شاء لها أن تكون آخر رسالاته إلى البشر، لتقوم عليها وحدة إنسانية واسعة الآفاق، لا تعصب فيها ولا حقد، ولا أجناس فيها ولا ألوان"[(٢)].

المطلب الثاني: الأمن الوطني

الأمن الوطني: يتمثل بقدرة الدولة في توفير الحماية لمواطنيها، وقدرتها على المحافظة على استقرار مجتمعاتها، وحمايتها من الاضطرابات الداخلية كالانحلال الأخلاقي، والجرائم بأنواعها المختلفة، والاضطرابات الخارجية، كالأخطار التي تهدد بقاء الدولة وكيانها[(٣)].

إن الله ﷻ أعلم بمصالح عباده، فيضع لهم من التشريعات والأحكام ما يطمئنهم، ويريحهم من القتال، ويحفظ لهم كبرياءهم وعزة أنفسهم، فيأتي إلى مكان عظيم ويجعله آمنا مطمئنا أهله، ويأتي إلى شهر معظم ويجعله آمنا في أيامه ولياليه لا قتال فيه، لعلهم حين يشعرون بالسلام النفسي والصفاء الروحي يمتنعون عن القتال[(٤)].

ومن هذه الأماكن التي جعلها الله ﷻ مأمنا للناس يطمئنون فيها وينعمون فيها بالسلام النفسي والصفاء الروحي، مكة –بيت الله الحرام–، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ**

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي – الخواطر (٦١١/١).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (٣٢٢/١).

(٣) انظر: الأمن–الوطني–الأمن–القومي–الأمن–الدولي–إطار مفاهيمي https://arabi21.com.

(٤) انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي (ص:٣٤٤).

وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[البقرة: ١٢٥].

(وَإِذْ جَعَلْنَا البيت مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنا) والأمن: السلامة من الخوف والقلق والتوتر، وأمن المكان: اطمئنان ساكنيه وزواره، وعدم خوفهم من أن يصيبهم فيه مكروه، فالبيت مأمن من كل خطر يصيبه أو يصيب أهله أو زائريه، أي موضع أمن وسلام واطمئنان، وأخبر ﷻ بأنه جعله آمنًا ليدلل على عظمة وشدة الأمن فيه، حتى كأنه أصبح الأمن بنفسه[١].

عن ابن عباس ﷺ، قال: قال النبي ﷺ يوم افتتح مكة: (إِنَّ هَذَا البَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ القِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلاَ يُخْتَلَى خَلاَهُ، فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا الإِذْخِرَ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ[٢] وَلِبُيُوتِهِمْ، قَالَ: إِلَّا الإِذْخِرَ[٣])[٤].

والبيت الحرام محفوظٌ بالأمن من كل جانب، والناس في الجاهلية كانوا يتعرضون للأذى والاضطهاد، فلا يأمنون على أنفسهم، ولكن أصحاب هذا البلد كانوا يأمنون فيه على أنفسهم من أذى المشركين واضطهادهم؛ فكانوا لا يتعرضون لأهل مكة، ويقولون هؤلاء هم أهل الله وخاصته، لذلك كان أهله في أمان وسلام واطمئنان[٥]، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[النحل:١١٢]، ومن صفات القرية التي ذكرها الله ﷻ في هذه الآية:

١. صفة الأمن، فهي ذات أمن لا يُغار عليها، قال تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ الناس مِنْ حَوْلِهِمْ﴾**[العنكبوت: ٦٧]، وكانت مكة كذلك؛ لأن العرب في الجاهلية

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي (ص:٢٠٤).

(٢) لقينهم: "حدادهم وصائغهم"، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني (٢٤٧/٥).

(٣) الإذخر: "حشيشة معروفة طيبة الريح توجد بالحجاز"، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (٧٦/١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجزية، بَابُ إِثْمِ الغَادِرِ لِلْبَرِّ وَالفَاجِرِ (١٠٤/٤)، ح(٣١٨٩).

(٥) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي (ص:٢٠٤).

كان يغيروا على بعضهم البعض، باستثناء أهل مكة؛ لكونهم أهل حرم الله، والعرب كانوا يوقرونه ويعظمونه.

٢. صفة الطمأنينة، مطمئنة[١]، قال الواحدي: "قارة ساكنة بأهلها، لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق"[٢].

هذا وقد تمثل الأمن فيها بدعوة أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ لذريته وغيرهم في مكة بالأمن ورغد العيش، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة:١٢٦]، طلب إبراهيم ﷺ من الله ﷻ أن يجعل البلد الحرام آمنا مطمئنا، وأن يرزق أهله وساكنيه من الثمرات وسائر الخيرات، فرغب إبراهيم ﷺ أن لا يأكل طعامه إلا أهل الإيمان، فقيد طلبه لمن آمن منهم بالله واليوم الآخر؛ فأجابه الله ﷻ على ذلك بقوله: (وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ).[٣]؛ فأخبره الله ﷻ أنه لا يخلق الخلق إلا وقد يسر لهم الرزق، فالكافر يمتعه في الدنيا قليلا، ولم يضنك عليه في الرزق، ثم يلجئه إلى عذاب النار وبئس المصير.

قال ابن عاشور: "ولقد كانت دعوة إبراهيم هذه من جوامع كلم النبوءة، فإن أمن البلاد والسبل يستتبع جميع خصال سعادة الحياة ويقتضي العدل، والعزة، والرخاء؛ إذ لا أمن بدونها، وهو يستتبع التعمير والإقبال على ما ينفع والثروة، فلا يختل الأمن إلا إذا اختلت الثلاثة الأول، وإذا اختل اختلت الثلاثة الأخيرة، وإنما أراد بذلك تيسير الإقامة فيه على سكانه؛ لتوطيد وسائل ما أراده لذلك البلد من كونه منبع الإسلام"[٤].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي (٢٠/٢٧٩).

(٢) التفسير البسيط (١٣/٢١٥).

(٣) انظر: تيسير التفسير، القطان (١/٦٧).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/٧١٥).

وقال تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾[آل عمران:٩٧]، وقد أكدت الشريعة الإسلامية حرمة هذا البيت، وجعلته مكانا لعبادة مفروضة على المستطيع مرة واحدة في العمر (الحج)، وهذا من باب الزيادة في تكريمه وتشريفه(١).

وجعل الله ﷻ مساجده وأماكن عبادته مواطن الأمن والأمان والسلامة والاطمئنان، حيث وصف الحائلين بين المساجد وإقامة شعائر الله ﷻ فيها بأقبح الظلم، وتوعد من سعى في خرابها بالذل والهوان والصغار في الدنيا والعذاب المقيم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة:١١٤]، والمعنى: "ما ينبغي لأولئك الذين يحولون بين المساجد وذكر الله ويسعون في خرابها أن يدخلوها إلا خائفين من الله- تعالى- لمكانها من الشرف والكرامة بإضافتها إليه- تعالى- أو إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم، فضلا عن أن يستولوا عليها ويمنعوا المؤمنين منها"(٢).

المطلب الثالث: الأمن الاقتصادي

الأمن الاقتصادي: هو "تأمينُ المواردِ والاحتياجاتِ التي توفر الاستقرار وتحفظ النفوس، وتأمينُ طرقِ وُصُولِها"(٣)، فالأمن الاقتصادي يتمثل بقدرة الدولة في المحافظة على المستوى الاقتصادي الجيد لمواطنيها، والعمل على تنميته، بتوفير احتياجات مواطنيها من المأكل والمشرب والمسكن، وتوفير فرص العمل لهم.

أهمية الأمن الاقتصادي:

يعد الأمن الاقتصادي من مقومات الحياة الأساسية، التي لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال، لأنها سبب في بقاء الإنسان على وجه الأرض، إذ بدون مأكل ومشرب ومسكن وعمل لا يستطيع الإنسان أن يعيش، وكيف له أن يحيا بدون أدنى مقومات حياة.

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي (ص:٢٠٤).

(٢) التفسير الوسيط، طنطاوي (ص:١٩١).

(٣) أمن الإنسان في ضوء القرآن، محمد كالو https://sy-sic.com.

لذا يعد الأمن الاقتصادي للدولة من أساسيات وجودها واستمرار حياتها، ولأهمية الأمن الاقتصادي، ربط إبراهيم عليه السلام في دعوته أمن البلد الحرام بمقوماتها الاقتصادية، فقال الله ﷻ ذاكرا دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة:١٢٦]، فهذه الآية جمعت بين الأمن الوطني، والأمن الاقتصادي المتمثل في توفير الحاجات الضرورية لوجود الإنسان واستقراره، من المأكل والمشرب والمسكن، قال الشعراوي: "هذه من مستلزمات الأمن لأنه مادام هناك رزق وثمرات تكون مقومات الحياة موجودة فيبقى الناس في هذا البلد"[1].

وقال طنطاوي: "وإنما طلب ابراهيم عليه السلام من الله أن يجعل مكة بلدا آمنا، وأن يرزق أهلها من الثمرات بما يغنيهم؛ لأن البلد إذا امتدت إليه ظلال الأمن، وكانت مطالب الحياة فيه ميسرة، أقبل أهله على طاعة الله بقلوب مطمئنة وتفرغوا لذلك بنفوس مستقرة"[2].

وفي الآية دليل على أن رزق الله ﷻ في الدنيا يشمل المؤمن والكافر، قال طنطاوي: "أفادت الآية الكريمة أن الله يرزق الكافر في الدنيا كما يرزق المؤمن وإذا كان إمتاع المؤمن بالرزق؛ لأنه أهل لأن ينعم عليه بكل خير، فإمتاع الكافر بالرزق له حِكَمٌ منها استدراجه المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ١٨٢]"[3].

ويظهر الأمن الاقتصادي واضحا وجليًّا في مثل ضربه الله ﷻ لأهل مكة وغيرهم، بقوم أنعم عليهم بنعم كثيرة فعصوا وتمردوا، فتبدلت نعمتهم إلى نقمة، قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّـهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّـهِ فَأَذَاقَهَا اللَّـهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[النحل:١١٢]، قال الرازي: "اعلم أنه تعالى لما هدد الكفار بالوعيد الشديد في الآخرة هددهم أيضا بآفات الدنيا وهو الوقوع في الجوع والخوف"[4]، والمعنى: "كان أهلها في أمنٍ واستقرار وسعادة ونعيم (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ): أي تأتيها الخيرات

---

(١) تفسير الشعراوي (ص:٣٤٧).

(٢) التفسير الوسيط (ص:٢٧١).

(٣) المصدر السابق (ص:٢٧٢).

(٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (٢٠/٢٧٨).

والأرزاق بسعةٍ وكثرةٍ من كل الجهات[1]؛ "لأن الله جعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، فأرزاقهم تأتيهم في بلدهم، يُجْلَب إليها من كل بلد، كما قال تعالى:﴿يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[القصص:٥٧]"[2]،(فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ الله) "أي لم يشكروا الله على ما آتاهم من خير وما وهبهم من رزق؛ (فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الجوع والخوف) أي سلبهم اللهُ نعمة الأمن والاطمئنان، وأذاقهم آلام الخوف والجوع والحرمان"[3].

ولضرورة وجود الأمن في الحياة، قرنه الله ﷻ بأحب الأشياء لقلب الإنسان بالطعام والأموال والأولاد في مواضع عدة في سور متباينة، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة:١٥٥]، فقد قدم ﷻ الخوف على الجوع ؛ لأن الحياة بدون أمن وأمان وسلام واطمئنان لا تطاق[4].

المطلب الرابع: الأمن العسكري

الأمن العسكري: يتمثل في قدرة الدولة على حماية أفرادها ومقدراتها وممتلكاتها، من أي تهديدات خارجية تمس بأمنها[5].

ومن الأمن العسكري التزام العهود والمواثيق التي تتم بين المسلمين وغيرهم، أمر الله ﷻ سائر عباده بالصدق في المعاملات والإيفاء بالعهود والمواثيق، ونهى عن الغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق، قال تعالى:﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء:٣٤]، وقد التزم المسلمون أمر الله ﷻ فأوفوا بالعهود والمواثيق، والتزموا بما أمروا به، وانتهوا عما نهوا عنه، ولكن اليهود أعداء الإسلام والمسلمين قابلوا المسلمين بالغدر والخيانة ونقضوا العهود والمواثيق التي أخذت عليهم، وهذا من صفات النفسية اليهودية المنحرفة التي تطرقنا للحديث عنها في المبحث الثاني من هذا الفصل، قال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

---

(١) صفوة التفاسير، الصابوني (٢/١٣٥).
(٢) التفسير البسيط، الواحدي (١٣/٢١٥).
(٣) صفوة التفاسير، الصابوني (٢/١٣٥).
(٤) انظر: أمن الإنسان في ضوء القرآن، https://sy-sic.com3.
(٥) انظر: تعريف الأمن، https://mawdoo3.com.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة:١٠٠]، قال القطان: "وكما تذبذبوا في العقيدة والايمان، تذبذبوا كذلك فيما يبرمونه من عهود، فكانوا كلما عاهدوا النبي والمسلمين عهدا نقضه فريق منهم، لأن معظمهم لا يؤمنون بحرمة عهد ولا بقداسة ميثاق، وهذا ليس بغريب، فهو من صلب تعاليم تلموذهم، وأساسُ ما وضعه أحبارهم، أن كل من عاداهم ليس له حرمة، ولا ذمة، ولا يجوز أن يُبْرَم معه عهد، كذلك لا يرجى إيمان أكثرهم، لأن الضلال قد استحوذ عليهم، كما أن غرورهم بأنفسهم وتجبرّهم قد جعلاهم في طغيانهم يعمهون"(١).

"والتاريخ يعيد نفسه، فاليهود في فلسطين يعيدون سيرة أجدادهم في الغدر والخيانة، ولا يلتزمون بعهود ومواثيق، ولا يقيمون للرأي وزنا إلا لمصالحهم الذاتية، واعتدوا على المقدسات الإسلامية، ودنسوا الأرض واستباحوا الحرمات، لذلك وجب قتالهم، وتحرير المقدسات والأرض، وإعلاء كلمة الله".(٢)

شرع الله ﷻ لعباده نظاما إسلاميا شاملا يكفل لهم الأمن والأمان والسكينة والاطمئنان، يتسم بالرأفة والرحمة والعدل.

إذن العقيدة العسكرية الإسلامية ذات طابع سلمي غير عدواني، قائم على الحق والعدل، بعيد عن الظلم والعدوان، فالإنسان في نظر الإسلام مكرم مصون محترم، فوضع له نظاما يصون كرامته ويحفظ حقوقه، جاعلا التقوى أساسًا للتفاضل بين الناس.

والقتال في الإسلام جاء لبناء حياة آمنة مطمئنة قائمة على العدل والمساواة والرحمة، بعيدا عن الظلم والعدوان والإذلال، فهو بمثابة دفاع وحماية لنشر الدين الإسلامي في مختلف بقاع الأرض، ورد كيد الأعداء المتطاولين على الإسلام وأهله(٣).

نظام الحرب في الإسلام:

الحرب في الإسلام تتسم بالرحمة والرأفة والعدالة، فهي ليست حرباً عدوانية ولا همجية ولا قتالية سافرة، بل هي حرب عادلة رحيمة؛ فالشرع الحكيم ليس من أهدافه إهلاك الأنفس بسفك الدماء، وإبادة البشرية، ولا يدعوا للحرب من أجل الحرب؛ بل هو رسالة رحمة وعدل ومساواة،

---

(١) تيسير التفسير، القطان (٥٢/١).

(٢) العسكرية الإسلامية، وقادتها العظام، بهاء الدين أسعد وجمال الخلفات (ص:٣٠).

(٣) انظر: العسكرية الإسلامية، وقادتها العظام، بهاء الدين أسعد وجمال الخلفات (ص:٨٧).

رسالة أمن وأمان، رسالة سلم وسلام، والحرب ما كانت إلا لضرورة دفاع واستثناء، فهي كانت بمثابة دفاع عن الإسلام، لتخليصه وتخليص أهله من الظلم والبغي والعدوان.(١)

إذن الحرب في الإسلام حرب عادلة رحيمة، لها نظام شامل متكامل يتسم بما يلي:

١. حسن معاملة الأسرى، بإطلاق سراحهم، أو بفديتهم، أو بتبادلهم مع غيرهم من الأسرى، كما وأرشدنا الإسلام الحنيف إلى مداواة جرحاهم.

٢. المحافظة على المدنيين الضعفاء الأبرياء غير المقاتلين.

٣. احترام القتلى بمنع التخريب والتمثيل بهم، والأسرى والجرحى بمنع تعذيبهم.

٤. تأمين المحارب إذا أعطي الأمان.

٥. احترام رسل العدو وعدم التعرض لهم بسوء.

٦. الموافقة على وقف الحرب، ودعوة السلم إذا طلبها الأعداء، بشرط أن تكون الهدنة في صالح المسلمين، وأنم يكونوا في موطن عزة وشموخ(٢).

ونمثل لما سبق من نظام الحرب المتبع في الإسلام، بالعهود والمواثيق التي اتخذها الله ﷻ على بني إسرائيل، وقاموا بنقضها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ*ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٨٤-٨٥].

وهذه الآيات تم شرحها في سياق الحديث عن النفسية اليهودية في المطلب الثاني من المبحث الثاني من هذا الفصل، فلا داعي للتكرار.

---

(١) انظر: مبادىء الحرب في الإسلام، حسني الخطيب، https://www.almayadeen.net .

(٢) انظر: العسكرية الإسلامية، وقادتها العظام، بهاء الدين أسعد وجمال الخلفات (ص:٨٨-٨٩).

المطلب الخامس: الأمن الفكري

الأمن الفكري: يتمثل في قدرة الدولة والأفراد على المحافظة على العقول والأفكار والمعتقدات من المؤثرات الفاسدة التي قد تؤدي بها إلى الانحراف عن الطريق الصحيح؛ فالأمن الفكري يتعلق بسلامة عقل الإنسان وفكره وسلوكه الناتج عنه[١].

أهمية الأمن الفكري:

يعد الأمن الفكري من الضرورات الأساسية لحماية المجتمع، فهو الحصن الأساس للمجتمع من التطرف والغلو والانحراف.

إذن الأمن مطلب أساس، وهدف سامي للدولة للمحافظة على كيانها ومقدراتها وثرواتها؛ لذا تسعى سائر الدول إلى تحقيقه بكافة الوسائل المتاحة لديها، إذ بدون أمن لا يمكن استقرارها، ويتمثل الأمن في المحافظة على الضرورات الخمس: حفظ الدين، والعقل، والنسل، والمال، والوطن، لذا كان من الواجب توجيه عقول الأفراد للمحافظة على هذه الضرورات الخمس، واعتبارها خطا أحمر خطيرا لا يجوز الاعتداء عليه، لأنها من أهم ركائز الأمن الفكري، الذي لا تستطيع أي دولة مهما كانت قوتها أن تحقق ازدهارها وتطورها بدونه، فبوجود الأمن والسلام في الدولة تتفرغ الدولة إلى العلم والعمل، والتطور، وبذلك تحقق الدولة النمو والارتقاء بكافة مجالاتها العلمية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعمرانية[٢].

إذن "ترسيخ الأمن الفكري مسؤولية جماعية مشتركة، يتحملها الأفراد والمؤسسات والدول، وبمقدار تكامل الجهود وتكاتفها تُحمى العقول والأفكار وتُصان الحقوق وتُحترم ويسود الأمن والاستقرار "[٣].

إن الشريعة الإسلامية تسعى إلى تشريع ما يصلح الأفراد في الدنيا والآخرة، فلا يمكن تصور أمن فكري بدون اتباع حقيقي لشريعة الله ﷻ التي شملت عقله وقلبه وفكره وسلوكه ؛ وقد أخبرنا الله ﷻ بأن اتباع شرعه، والعمل به، وإقامة العدل بين الناس، شرط وجود وتحقق الأمن بعد الخوف، فقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ

---

(١) انظر : أمن فكري https://ar.wikipedia.orgi.

(٢) انظر : أهمية الأمن الفكري، د. محمد الواصل https://units.imamu.edu.sa.

(٣) الأمن الفكري في ضوء مقاصد الشريعة، أحمد الشحي، https://www.albayan.ae.

كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].(١)

النفسية اليهودية وتأثيرها على الأمن الفكري، وكيفية الوقاية منه:

تعرض النبي ﷺ في المدينة المنورة إلى أنواع شتى من التهديد اليهودي للأمن الفكري، فعند مبعثه ﷺ، لم يصدقوه، على الرغم من أنهم كانوا ينتظرون مبعثه، لوجود صفته عندهم في التوراة، ولكن لما كان الرسول المنتظر من العرب، خاصموه وحاربوه، وأخذوا يكيدون له، ويهددون أمنه الفكري من خلال التشكيك برسالته ﷺ، بالادعاءات والمزاعم الباطلة التي كانوا يرمونه بها، فإنكار اليهود لرسالة النبي ﷺ أمر شديد الخطورة على أمن المسلمين الفكري؛ لتأثير أفعال وأقوال اليهود على من حولهم من المشركين والوثنين؛ لكونهم أصحاب كتاب منزل؛ ومخاصمة اليهود لإنكارهم رسالة النبي ﷺ، ودحض مزاعمهم الباطلة وادعاءاتهم المشبوهة كان أمرا ضروريا لابد منه للوقاية من تهديداتهم لأمن المسلمين الفكري.

لقد خاصم الله ﷻ اليهود على كفرهم بكتابه الذي أنزل، وعدم تصديقهم للنبي ﷺ، الذي كانوا ينتظرون مبعثه؛ لينصرهم ويعزهم بعد ذلهم، قال تعالى:﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ* بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٨٩-٩٢].

وأهم ما ورد في هذه المخاصمة التصديق لما معهم من الكتب المنزلة عليهم، فإن ما جاء به النبي من عند الله ﷻ لم يخالف ما ورد في كتبهم مخالفة جذرية، بل معه بأصول التوحيد والشرائع، ومن جملة هذا صدق ما ورد فيها من مواصفات النبي ﷺ، ولذلك قال ﷻ في هذه الآية: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ): أي أن النبي المبعوث، هو عينه المصدق لما معهم، وهو نفسه الذي يستنصرون به؛ ولذلك قال الله تعالى: (مَا عَرَفُوا) أي: الذي هو نفسه الذي

---

(١) انظر: أثر الوعي في حماية الأمن الفكري، موقع الدكتور محمد أبو زيد، http://m-abuzaid.com.

عرفوه من قبل وليس غيره، فعنادهم له كان عنادا وانكارا للحق الذي بين أيديهم، وأما سبب هذا الكفر بالرسالة فكان الحسد من عند أنفسهم؛ لكونه لم يبعث منهم، وإنما بعث عربيا، قال تعالى:﴿بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

إساءة اليهود للملائكة، ورد الله ﷻ عليهم:

لم يتوقف الأمر باليهود عند عدم تصديقهم للنبي ﷺ، بل تمادوا في الإساءة حتى وصل بهم الحال إلى الإساءة للملائكة، أساءوا لجبريل عليه السلام، فادعوا أنهم لم يؤمنوا بسبب علاقته بجبريل عليه السلام؛ لأنه ينزل بأوامر الله ﷻ للنبي ﷺ بإهلاك الأقوام الضالين، قال تعالى:﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ*مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ* وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلا الْفَاسِقُونَ**﴾[البقرة:٩٧-٩٩]، فهذه الآية نزلت جوابا لليهود، حينما زعموا أن جبريل عدوهم، وأن ميكائيل وليهم[(١)]، قال ابن عباس: "أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: ... فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه لخبر، فأخبرنا من صاحبك؟ قال: (جبريل عليه السلام): قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر، لكان، فأنزل الله عزوجل: (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ...) إلى آخر الآية"[(٢)].

فهذه الشبهة كانت محلًا لتهديد أمن المسلمين الفكري؛ لأنها جاءت من أهل الكتاب الذين كانوا يبدون إيمانهم بالله ورسله، فظن العرب بهم خيرًا! إلا أن رد الله ﷻ عليهم، وفضحه لسوء نواياهم، وترسيخ عقيدة المسلمين بأصول دينهم، كان له الأثر الكبير في حماية أمن المسلمين الفكري، فقد خاصم الله ﷻ اليهود المعاندين في جبريل، ورد ادعاءاتهم ومزاعمهم الباطلة، وفضح نفسيتهم المريضة المنحرفة، وكفرهم على ادعاءاتهم هذه؛ إذ إن جبريل عليه السلام هو الذي جاء بالحق من عند الله ﷻ على قلب الرسول ﷺ، **وقد امتازت هذه المخاصمة بعدة نقاط، منها:**

١) قوله تعالى: (فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ) جواب الشرط (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ) فالله ﷻ بين "أن هذه العداوة فاسدة؛ لأنه ما أتى إلا أنه أمر بإنزال كتاب فيه الهداية والبشارة فأنزله، فهو من حيث إنه مأمور وجب أن يكون معذورا، ومن حيث إنه أتى بالهداية

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٢/٣٧٧).

(٢) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، المزيني (١/٢٠٢).

والبشارة يجب أن يكون مشكورا، فكيف تليق به العداوة ؟"[١]، "وخص القلب بالذكر لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف، ودلت الآية على شرف جبريل ﷺ وذم معاديه"[٢].

٢) في قوله تعالى: (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) توبيخ لليهود، فإن ما جاء به جبريل ﷺ مصدقا لما هو موجود عندهم في التوراة، فليس لمعاداتهم لجبريل معنى، وتكذيبهم لجبريل في هذا الموطن، تكذيب لكتابهم الذي جاء به موسى أيضًا؛ لأن الخبر في الكتابين واحد، فتكذيبه على لسان محمد ﷺ يعد تكذيبا له على لسان موسى ﷺ بطريق غير مباشر.

٣) في قوله: (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ)، من عادى واحدًا من الملائكة فقد عادى جميعهم، ومن كفر بواحد، كفر بالجميع، وإنما خص الله ﷻ جبريل وميكائيل بالذكر؛ لبيان فضلهما ومنزلتهما، وقدم جبريل على ميكائيل؛ لفضله عليه؛ "لأن جبريل ينزل بالوحي الذي هو غذاء الأرواح وميكائيل ينزل بالمطر الذي هو سبب غذاء الأبدان"[٣].

ومما سبق ذكره يتضح جليا أن دعوى عداوة اليهود لجبريل ﷺ دعوى باطلة فاسدة لا أساس لها من الصحة، ملؤها الحقد والبغض والحسد، وما هي إلا غزو فكري، وتبرير لنفسيتهم المنحرفة عن اتباع الحق، في حسد العرب على النبوة[٤].

كيفية الوقاية من تهديد اليهود للأمن الفكري:

أولا: الردود السابقة الذكر من الله ﷻ على مزاعم اليهود، قطعت كل السبل أمام الشبه التي أثارها اليهود حول النبي ﷺ والرسل، والملائكة الكرام.

ثانيا: بإثبات تحريف اليهود للتوراة التي بين أيديهم، وأنها ليست التي جاء بها موسى ﷺ، فإثبات القرآن تحريف التوراة التي أنزلها الله ﷻ على رسوله موسى ﷺ كان وقاية وحصانة عامة من هذا الغزو الفكري اليهودي، فقد سقطت الشبهات التي يعتد بها اليهود، وثبت بأنهم ضيعوا رسالتهم التي أنزلت اليهم، فليس لهم حجة على أحد، قال تعالى عن علماء اليهود: ﴿فَوَيْلٌ

---

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي (٦١٢/٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٦/٢).

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (٦٢/١).

(٤) انظر: أثر الوعي في حماية الأمن الفكري، موقع الدكتور محمد أبو زيد، http://m-abuzaid.com.

لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[البقرة:٧٩]، والتوراة شاهدة على نفسها بالتحريف بما فيها من تناقضات.

ثالثا: التحذير من اليهود بشكل عام، بعد أن عرضنا سابقا النفسية اليهودية منحرفة الفكر، التي تسعى إلى غزو المسلمين فكريا، اتضح أن اليهود لا يؤمنوا على عهود ومواثيق، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ* فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[الأنفال:٥٥-٥٧]. ولما سلك اليهود هذا المسلك الماكر الفاسد المتآمر كان لابد من توقي شرّهم، ولذلك كثر تحذير الله منهم ، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[المائدة:٥١][(١)].

التوجيهات التربوية الأمنية المستنبطة من هذا المبحث:

١. الأمن بكافة أنواعه، النفسي والوطني والاقتصادي والعسكري والفكري، مطلب أساس في حياة الأفراد والجماعات والدول، إذ بدون أمن يتشتت الأفراد وتتفرق الجماعات، ويعدم الاستقرار.
٢. الأمن النفسي بنوعيه الخارجي والداخلي يشكل خطرا على حياة الإنسان، ولكن الأخير أشد خطرا وأكثر تأثيرا.
٣. الإحسان في العبادة، بإخلاصها لله ﷻ وحده، عامل أساسٌ في أمن الإنسان النفسي.
٤. الأمن الوطني عامل أساس للمحافظة على نظام الدولة وكيانها واستقرارها.
٥. الأمن الاقتصادي، ضروري ومحوري لا يمكن الاستغناء عنه بأي حال؛ لبقاء الأفراد والجماعات والدول، إذ بدونه لا يمكن البقاء على قيد الحياة.
٦. الأمن الفكري هو الحصن الحصين للمجتمع من الغلو والتطرف والانحراف.

(١) انظر: أثر الوعي في حماية الأمن الفكري، موقع الدكتور محمد أبو زيد، http://m-abuzaid.com.

٧. النفسية اليهودية المنحرفة بتفكيرها ومعتقداتها، تشكل خطرا كبيرا على الأمن الفكري للإنسان، والحصن من ذلك التمسك بشرع الله، والتمثل بكتابه وسنة رسوله.

الفصل الثانـي

الأساليب الواردة في التوجيهات التربويـة المستنبطة من الحزب الثاني من سورة البقرة

المبحث الأول

الأساليب البيانية والبلاغية

المطلب الأول: أسلوب الاستفهام

الاستفهام في اللغة: "مصدر استفهمَ، استفهمَ عن"[١]، "أثار الاستفهام بتصرفه: أثار التساؤل، أجاء الولد، هل قرأت الكتاب، ...استفهم عن أشياء لا يعرفها: طرح أسئلة ليفهم ويخبر عنها، استفهمه الحدث: طلب منه أن يخبره عن الحدث وأمره"[٢]، "سأله أن يفهمه ويقال استفهم من فلان عن الأمر طلب منه أن يكشف عنه"[٣]، "استفسر، استوضح، ... استخبر استفهم منه عن موعد الاجتماع، الامتحان، المباراة"[٤].

الاستفهام في الاصطلاح: "هو من أنواع الإنشاء الطّلبي، والأصل فيه طلَبُ الإِفْهامِ والإِعْلاَمِ لتَحْصِيلِ فائدةٍ عمليّةٍ مجهولةٍ لدَى الْمُستَفْهِمِ"[٥]، إذن الاستفهام هو: "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل"[٦]، قال السيوطي: "من أقسام الإنشاء الاستفهام وهو طلب الفهم وهو بمعنى الاستخبار"[٧]، وقيل: "إن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق،.. وذلك أن أولى الحالين الاستخبار؛ لأنك تستخبر فتجابُ بشيء، فربّما فهمته وربّما لم تفهمه، فإذا سألت ثانيةً فأنت مستفهم، تقول: أفهِمْني ما قلته لي"[٨].

"وقَد يُراد بِالاستفهام غيْرُ هذا المعنى الأصليّ له، ويُسْتَدلُّ على المعنى المراد بالقرائن القوليّة أو الحالية"[٩].

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار وآخرون (١٧٤٩/٣).

(٢) معجم الغني، عبد الغني أبو العزم (٥٢٦/١).

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى (٧٠٤/٢).

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار وآخرون (١٧٤٨/٣).

(٥) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، حبنكة الميداني (ص:١٩٨).

(٦) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي (٧٨/١).

(٧) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٢١١/٢).

(٨) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس (ص:١٣٤).

(٩) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، حبنكة الميداني (ص:١٩٨).

أدوات الاستفهام:

"الهمزة، وهل، وما، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي"[(١)]

خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي الذي وضع له:

قد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي الذي وضع له، وهو (طلب الإعلام والإفهام عن مجهول)، إلى معان أخرى تفهم من خلال دلالة السياق بالقرائن والأحوال التي تلتبس بها[(٢)]، قال السيوطي: "وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازا وألف في ذلك العلامة شمس الدين ابن الصائغ كتابا سماه (روض الأفهام في أقسام الاستفهام) قال فيه: "قد توسعت العرب، فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعانٍ، أو أُشربته تلك المعاني"[(٣)].

ومن الأمثلة على ذلك: الإنكار، التوبيخ، التحضيض، التذكير، التسوية، الأمر، الترغيب، النهي، الدعاء، التجاهل، التحقير، التهكم، التأكيد إلى غير ذلك[(٤)].

ومن أهم تلك المعاني التي أخرجت الاستفهام عن حقيقته والتي مرت معنا في الحزب الثاني من سورة البقرة:

(١) الإنكار والتوبيخ:

* في قوله تعالى: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[البقرة:٧٥].

(أَفَتَطْمَعُونَ) "الهمزة للاستفهام الإنكاري"[(٥)]، قال الشوكاني:"وقوله: (أفتطمعون) هذا الاستفهام فيه معنى الإنكار، كأنه آيسهم من إيمان هذه الفرقة من اليهود"[(٦)]، والاستفهام الإنكاري هنا قد يكون بمعنى النهي؛ لأنه إنكار لرغبة النبي ﷺ وطمعه في إيمان من يدعوه،

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي (٧٨/١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٨٣/١).

(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٢٦٨/٣).

(٤) انظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، حبنكة الميداني (ص:٢٠٨).

(٥) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (١٩٥/١).

(٦) فتح القدير (١٢٠/١).

فأنكر الله ﷻ عليه ذلك، وقد يكون بمعنى النهي أي لا تطمعوا في إيمان أمثال هؤلاء؛ لسوء ماضيهم الذي يقطع الطمع في إيمانهم، والذي يوقع اليأس في قلوبكم من إيمانهم[(١)].

* في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة: ٧٦].

– (أتحدثونهم):"الاستفهام للإنكار والتوبيخ"[(٢)]، قال ابن عاشور: "معناه أنهم لما سمعوا من القرآن ما فيه فضيحة أحوالهم وذكر ما لا يعلمه إلا خاصتهم ظنوا أن ذلك خلص للنبيء من بعض الذين أظهروا الإيمان من أتباعهم وأن نفاقهم كان قد بلغ بهم إلى أن أخبروا المسلمين ببعض قصص قومهم سترًا لكفرهم الباطن فوبخوهم على ذلك توبيخ إنكار أي كيف يبلغ بكم النفاق إلى هذا وأن في بعض إظهار المودة للمسلمين كفاية"[(٣)].

– (أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) "من تمام التوبيخ والعتابِ والفاءُ للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي ألاَ تلاحظونَ فلا تعقِلون هذا الخطأَ الفاحشَ أو شيئاً من الأشياء التي من جملتها هذا فالمنْكرُ عدمُ التعقُّل ابتداءً..."[(٤)].

* في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[البقرة:٧٧].

الاستفهام بالهمزة خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي التوبيخ والتقريع والتقرير، قال الزحيلي: "الاستفهام للتقرير، والواو الداخل عليها للعطف، ويراد بالاستفهام التوبيخ أو التقريع"[(٥)]، أما أبو زهرة فيقول: "هذا استفهام إنكاري لجهلهم، وتوبيخ لهم على عدم علمهم، فالاستفهام داخل على فعل محذوف دل عليه عطف ما بعده والمعنى أيقولون ما يقولون من ذلك القول، ولا يعلمون أن الله ﷻ قد أحاط بكل شيء علمًا ويعلم ما يسرونه وما يجهرون به، وما يعلنونه للناس، يعلم ما تخفي صدورهم، ويعلم ما يجهرون"[(٦)].

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة (٢٧٥/١).
(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١٨١/١).
(٣) التحرير والتنوير (٥٧٠/١).
(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١١٨/١).
(٥) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١٩٦/١).
(٦) زهرة التفاسير (٢٨٠/١).

* في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٨٥].

(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) "والمعنى: أفتتبعون أحكام كتابكم في فداء الأسرى، ولا تتبعونها في نهيكم عن قتال إخوانكم وإخراجهم من ديارهم؟ فالاستفهام للإنكار والتوبيخ على التفريق بين أحكامه- تعالى- بالإيمان ببعضها والكفر بالبعض الآخر"[١].

الفاء في قوله: (فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ) "فصيحة عاطفة على محذوف دل عليه الاستفهام الإنكاري أو عاطفة على نفس الاستفهام لما فيه من التوبيخ"[٢].

* في قوله تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة:٨٧].

(أَفَكُلَّمَا): الألف للاستفهام، وفيه معنى: "التوبيخ والزجر"[٣].

* في قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة: ١٠٠].

قال الرازي: "المقصود من هذا الاستفهام، الإنكار وإعظام ما يقدمون عليه؛ لأن مثل ذلك إذا قيل بهذا اللفظ كان أبلغ في التنكير والتبكيت"[٤].

في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[البقرة: ١٠٨].

(أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا) قال طنطاوي: "والاستفهام في الآية الكريمة للإنكار، وفي أسلوبها مبالغة في التحذير من الوقوع فيما وقع فيه اليهود من تعنت مع رسولهم، إذ جعل محط الإنكار إرادتهم للسؤال، وفي النهى عن إرادة الشيء، نهى عن فعله بأبلغ عبارة"[٥].

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١/١٩٣).
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/٥٩١).
(٣) تفسير القرآن العظيم، الطبراني (١/٨٦).
(٤) مفاتيح الغيب (٣/٦١٥).
(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٢٤٣).

* في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[البقرة:١٣٠].

(وَمَنْ يَرْغَبُ) "(ومَن) استفهام إنكاري توبيخيّ، بمعنى: النفي؛ أي: لا يعرض عن ملة وشريعة إبراهيم ﷺ، إلا من جهل قدر نفسه، فاستخفها وامتهنها، ولم يعلم غاية خلقها (وهو عبادة الله ﷻ)، فمن عبد غيره فقد سفه وجهل واستخف بنفسه"[(١)].

* في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٣].

"الاستفهام هنا غير حقيقي لظهور أن عدم شهودهم احتضار يعقوب محقق، فتعين أن الاستفهام مجاز، ومحمله على الإنكار لأنه أشهر محامل الاستفهام المجازي، ولأن مثل هذا المستفهم عنه مألوف في الاستفهام الإنكاري"[(٢)].

* في قوله تعالى:﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[البقرة:١٣٨]،

(وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً) استفهام انكاري بمعنى النفي، والمعنى: "لا أحد أحسن من الله صبغة لأنه هو الذي يصبغ عباده بالإيمان ويطهرهم من أدران الكفر والضلال، فهي صبغة ثابتة لا تزول لأن الإيمان متى خالطت بشاشته القلوب لا يرتد عنه أحد سخطة له"[(٣)].

* في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾[البقرة:١٣٩].

(قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ) "الاستفهام وارد على جهة التوبيخ والتقريع"[(٤)]، "والمراد من الاستفهام عنهما إنكارهما معا، إنكار حجاجهم في دين الله، وإنكار قولهم إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى"[(٥)].

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد العلوي (٢/٢٩٥).
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/٧٣٠).
(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١/٢٨٧).
(٤) صفوة التفاسير، الصابوني (١/٨٩).
(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١/٢٨٩).

* في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:١٤٠].

(أَمْ تَقُولُونَ) استفهام للتوبيخ والإنكار، قال ابن عاشور: "أم منقطعة بمعنى بل وهي إضراب للانتقال من غرض إلى غرض وفيها تقدير استفهام وهو استفهام للتوبيخ والإنكار وذلك لمبلغهم من الجهل بتاريخ شرائعهم زعموا أن إبراهيم وأبناءه كانوا على اليهودية أو على النصرانية"[(١)]، قال الرازي: "إنهم ادعوا ذلك من غير برهان فوبخهم الله تعالى على الكلام في معرض الاستفهام على سبيل الإنكار والغرض منه الزجر والتوبيخ وأن يقرر الله في نفوسهم أنهم يعلمون أنهم كانوا كاذبين فيما يقولون"[(٢)].

(٢) التقرير:

* في قوله تعالى:﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٨٠].

– في قوله: (أَتَّخَذْتُمْ) "الاستفهام غير حقيقي بدليل قوله بعده بلى، فهو استفهام تقريري للإلجاء إلى الاعتراف بأصدق الأمرين"[(٣)].

قال طنطاوي: " وإنما ساق القرآن الكريم الرد عليهم في صورة الاستفهام، لما فيه من ظهور القصد إلى تقريرهم بأنهم قالوا على الله ما لا يعلمون، إذ هم لا يستطيعون أن يثبتوا أن الله وعدهم بما ادعوه من أن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، ولا يوجد عندهم نص صحيح من كتابهم يؤيد مدعاهم"[(٤)].

– في قوله: (أَمْ تَقُولُونَ) "أم متصلةٌ والاستفهام للتقرير المؤدي إلى التبكيت لتحقق العلمِ بالشق الأخيرِ كأنه قيل أم لم تتخذوه بل تتقوّلون عليه تعالى، وإما منقطعةٌ والاستفهام لإنكار الاتخاذِ

(١) التحرير والتنوير (٧٤٧/١).

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (٧٧/٤).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٥٨٠/١).

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١٨٦/١).

ونفيِه، ومعنى بل فيها الإضرابُ والانتقال من التوبيخ بالإنكار على اتخاذ العهدِ إلى ما تفيد همزتُها من التوبيخ على التقوُّل على الله سبحانه"[(١)].

* في قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[البقرة:١٠٦].

(أَلَمْ تَعْلَمْ) "الاستفهام للتقرير والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته بدليل قوله تعالى: (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)"[(٢)].

وبعد أن أثبت ﷻ جواز النسخ ووقوعه، قال(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ساق ذلك في صورة استفهام تقريري، خاطب به أمة الإسلام، في شخص النبي ﷺ لتكون دليلا على ما أثبته من جواز النسخ وجواز وقوعه، والمعنى أن الله ﷻ قادر على كل شيء، فالحكم والإرادة بيديه، ومن كان هذا حاله فله الأمر وله النهي، له أن يأمر بما يشاء في حال من الأحوال ثم ينسخه أو يستبدله بآخر لما تقتضيه الظروف[(٣)].

قال ابن أبي زمنين: "لفظ (ألم) ها هنا لفظ الاستفهام؛ ومعناه: التوقيف والتقرير؛ ومعنى الآية: أن الله ﷻ يملك السموات والأرض ومن فيهن؛ فهو أعلم بوجه الصلاح فيما يتعبدهم به من ناسخ ومنسوخ، وغير ذلك"[(٤)].

(٣)النفي:

* في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة:١١٤].

(وَمَنْ أَظْلَمُ) "الاستفهام بمعنى النفي أي لا أحد أظلم منه"[(٥)].

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١/١٢١).

(٢) صفوة التفاسير، الصابوني (١/٧٦).

(٣) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (١/٢٤٢)، المحرر الوجيز، ابن عطية (١/١٣٥).

(٤) تفسير القرآن العزيز (١/١٦٩).

(٥) صفوة التفاسير، الصابوني (١/٧٩).

المطلب الثاني: أسلوب التقديم والتأخير

التقديم في اللغة: مصدر قدَّمَ، وهو "تصدير ما حقه التأخير"[(١)]، وهو "نقيض التأخير، قال الله تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[القيامة:١٣]، ... ويقال: قدّم: أي تقدّم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ﴾[الحجرات:١]، أي: لا تقضوا أمرا في دينكم دون الله، وقَدَّم إليه في كذا: أي أَمَرَه بهِ، والمصدر: تقديم وتقدِمَةٌ، على (تَفْعِلة) بكسر العين"[(٢)].

التأخير في اللغة: مصدر أخَّرَ، وهو "نَقْل الكلمة من مكانها إلى مكان آخر بعدها"[(٣)].

التقديم والتأخير في الاصطلاح: هو "التّغيير في التّرتيب الطَّبيعيّ لأجزاء الجملة، لغرض بلاغيّ كزيادة الاهتمام أو القصر أو التّشويق أو لضرورة شعريّة"[(٤)].

قال السراج: "ولما كانت الألفاظ قوالب المعاني وكان بعضها أكثر دلالة على المعنى من غيره حسن تقديم ما حقهُ التأخير من ركني الجملة؛ لأن تقديمه يرمي إلي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومن أغراض هذا الباب: التخصيص. وسلب العموم. وعموم السلب، والتعجبُ الإنكاري. والتشويق إلى المتأخر"[(٥)].

غاية التقديم والتأخير:

إن التقديم والتأخير في الكلام لا يأتي بدون علة أو سبب؛ وإنما يأتي لغاية وهدف بلاغي، فالألفاظ القرآنية تأخذ مكانها المناسب لها، فلو اختل نظامها، اختل معناها، قال السيوطي: " قد يقدم لفظ في موضع ويؤخر في آخر ونكتة ذلك إما لكون السياق في كل موضع يقتضي ما وقع فيه...، وإما لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه كما في قوله: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران: ١٠٦] الآيات، وإما لقصد التفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب كما في قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾[البقرة:٥٨]"[(٦)].

---

(١) معجم الغني، عبد الغني أبو العزم (٣/٣٣٠).

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان اليمني (٨/٥٤٠٨).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار وآخرون (١/٧١).

(٤) المصدر السابق (١/٧١).

(٥) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل (ص:١٦٤).

(٦) الإتقان في علوم القرآن (٣/٤٧).

ومن الأمثلة على التقديم والتأخير في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[البقرة:٧٧].

قدم ﷻ السر ﴿مَا يُسِرُّونَ﴾ على العلن ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ، قد يكون التقديم لأسباب، منها: تقدم مرتبة السر على مرتبة العلن زمانا، ومنها: المبالغة في بيان علم الله ﷻ الشامل لجميع المعلومات، المحيط بها، تقول الباحثة الطراونة: " إن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن، فالأولى متقدمة زمانا على الثانية، فقدمت في النص، وقد يكون التقديم للمبالغة في بيان علم الله المحيط لجميع المعلومات، كأن علمه بما يسرونه أقدم منه بما يعلنونه"(١).

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[البقرة:٨٣].

"جاء الترتيب في الآية بتقديم الأهم فالأهم، فقدّم حق الله تعالى لأنه المنعم في الحقيقة على العباد، ثم قدم ذكر الوالدين لحقهما الأعظم في تربية الولد، ثم القرابة لأن فيهم صلة الرحم وأجر الإحسان، ثم اليتامى لقلة حيلتهم، ثمّ المساكين لضعفهم ومسكنتهم"(٢).

* **قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة:٨٧].

ففي هذه الآية مثالان على التقديم:

المثال الأول: تقديم الظرف، قال ابن عاشور" قدم الظرف ليكون مواليا للاستفهام المراد منه التعجيب؛ ليظهر أن محل العجب هو استمرار ذلك منهم الدال على أنه سجية لهم وليس ذلك لعارض عرض في بعض الرسل وفي بعض الأزمنة، والتقدير أفاستكبرتم كلما جاءكم رسول فقدم الظرف للاهتمام؛ لأنه محل العجب"(٣).

---

(١) سورة البقرة، دراسة أسلوبية بلاغية(رسالة دكتوراة)، صدقية الطراونة (ص:١٥٣).

(٢) صفوة التفاسير، الصابوني (١/٦٧).

(٣) التحرير والتنوير (١/٥٩٨).

المثال الثاني: تقديم المفعول في قوله: ﴿ فَرِيقاً كَذَّبْتُمْ ﴾ وقوله: ﴿ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ وذلك؛ "للاهتمام وتشويق السامع إلى ما يلقى إليه"[(١)].

* قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٩٦]

"في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى ولتجدنهم وطائفة من الذين أشركوا أحرص الناس على حياة[(٢)].

وقدم ﷻ الضمير في قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ﴾ قال ابن عطية: "اختلف النحاة في(هو)، فقيل هو ضمير الأحد المتقدم الذكر، فالتقدير وما أحدهم بمزحزحه"[(٣)].

* قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[البقرة:٩٨].

قدم ﷻ ﴿جِبْرِيلَ﴾ على ﴿مِيكَالَ﴾؛ "لأن جبريل صاحب الوحي والعلم، وميكائيل صاحب الأرزاق والخيرات النفسانية"[(٤)].

* قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١١٥].

"وتقديم الظرف للاختصاص أي أن الأرض لله تعالى فقط لا لهم، فليس لهم حق في منع شيء منها عن عباد الله المخلصين" [(٥)].

* قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:١٢٤].

قدم ﷻ لفظ (إِبْراهِيمَ) على لفظة ﴿ رَبُّهُ﴾ من تقديم المفعول به على الفاعل؛ "للاهتمام، إذ كون الرب مبتلياً معلوم، فإنما يهتم السامع بمن ابتلي، وكون ضمير المفعول متصلاً بالفاعل موجب تقديم المفعول ، فإنما بني الكلام على هذا الاهتمام"[(٦)].

---

(١) صفوة التفاسير، الصابوني (٦٩/١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٤/٢).
(٣) المحرر الوجيز (١٢١/١).
(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢٥٥/٣).
(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٦٨٣/١).
(٦) المحرر الوجيز، ابن عطية (١٤٩/١).

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[البقرة: ١٢٥].

قدم ﷻ ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ ثم ثنى ب ﴿الْعَاكِفِينَ﴾ ثم ثلث ب﴿ الرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾، قال الزركشي: "فقدم الطائفين؛ لقربهم من البيت، ثم ثنى بالقائمين وهم العاكفون؛ لأنهم يخصون موضعا بالعكوف والطواف بخلافه فكان أعم منه والأعم قبل الأخص، ثم ثلث بالركوع؛ لأن الركوع لا يلزم أن يكون في البيت ولا عنده"[(١)].

إذن هذا الترتيب والتدرج لم يأتِ عبثا، وإنما لسبب تطلبه المقام، "فالآية تتحدث عن بيت الله الحرام، فالطائفون هم ألصق المذكورين بالبيت الحرام، لأنهم يطوفون حوله، فبدأت الآية بهم ثم تدرجت إلى العاكفين، في هذا البيت أو في بيوت الله عموما، ثم ذكرت الركع السجود الذين يتوجهون إلى بيت الله الحرام، في ركوعهم وسجودهم في كل بقاع الأرض"[(٢)].

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧].

قدم ﷻ السمع على العلم؛ لأنه "يتضمن التخويف والتهديد، فبدأ بالسمع لتعلقه بالأصوات، وهمس الحركات، فإن من سمع حسك وخفي صوتك أقرب إليك في العادة ممن يقال لك: إنه يعلم وإن كان علم الله متعلقا بما ظهر وبطن، ولكن ذكر السميع أوقع في باب التخويف من ذكر العليم فهو أولى بالتقديم، ويمكن القول إن السمع من وسائل العلم فهو يسبقه"[(٣)].

* قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٣].

قدم ﷻ يعقوب للأهمية، قال ابن عطية: "ومعنى الآية حضر يعقوب مقدمات الموت، وإلا فلو حضر الموت لما أمكن أن يقول شيئاً، وقدم يعقوب على جهة تقديم الأهم"[(٤)].

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/٢٥٠).

(٢) سورة البقرة، دراسة أسلوبية بلاغية(رسالة دكتوراة)، صدقية الطراونة (ص:١٥١).

(٣) المصدر السابق (ص:١٥٣).

(٤) المحرر الوجيز (١/١٥٨).

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[البقرة: ١٣٠].

"في النظم الكريم تقديماً وتأخيراً تقديرُه ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين"[١].

* قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[البقرة:١٣٨].

"وجملة ونحن له عابدون عطف على آمنا وفي تقديم الجار والمجرور على عامله في قوله: له عابدون إفادة قصر إضافي على النصارى الذين اصطبغوا بالمعمودية لكنهم عبدوا المسيح"[٢].

المطلب الثالث: أسلوب الشرط

الشرط في اللغة: "(شَرَطَ) الشِّينُ وَالرَّاءُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى عَلَمٍ وَعَلَامَةٍ، وَمَا قَارَبَ ذَلِكَ مِنْ عَلَمٍ، مِنْ ذَلِكَ، الشَّرَطُ: الْعَلَامَةُ. وَأَشْرَاطُ السَّاعَةِ: عَلَامَاتُهَا".[٣]

وقيل: "الشَّرْطُ إِلْزامُ الشيءِ والْتِزامُهُ في البَيْعِ ونحوِه، والجمعُ شُرُوطٌ، وقد شَرَطَ له يَشْرِطُ ويَشْرُط شَرْطاً والشَّرِيطَةُ كالشَّرْطِ وقدْ شارَطَهُ وشَرَطَ له في ضَيْعَتِه يَشْرِطُ وشَرَطَ للأَجِيرِ يَشْرُط شَرْطاً والشَّرْطُ العَلامةُ.[٤] يقال: "شرط عليه كذا واشترط، وشارطه على كذا، وتشارطا عليه، وهذا شرطي وشريطتي"[٥].

الشرط في الاصطلاح: "أسلوب لغوي يبني بالتحليل على جزءين، الأول: منزل منزلة السبب، والثاني منزل منزلة المسبب، يتحقق الثاني إذا تحقق الأول، وينعدم الثاني إذا انعدم الأول، لأن وجود الثاني معلق على وجود الأول"[٦]، وقال الجرجاني: " تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني".[٧]

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١/١٦٣).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/٧٤٥)

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/٢٦٠).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٨/١٣).

(٥) أساس البلاغة، الزمخشري (١/٥٠٢).

(٦) في النحو العربي نقد وتوجيه، المخزومي (ص:٢٨٤).

(٧) التعريفات، الجرجاني (ص:١٢٥).

وقيل الشرط: "ترتيب أمر على أمر آخر بأداة شرط، بحيث إذا وُجد الأوّل وُجد الثاني "إنْ تذاكرْ تنجحْ"[١].

إذن الشرط: هو تعليق أمر بأمر بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني.

"يدخل الشرط على الجملة لربط الحكم فيها بحكم آخرَ في جملة أخرى ربطاً شرطيّاً، فتكون الجملتان بمثابة جملة واحدة، وتُسمّى عندئذٍ جملة شرطيّة"[٢].

إذن جملة الشرط تتكون من عبارتين، لا تحرر لأحدهما عن الأخرى: العبارة الأولى وتسمى شرطا، والعبارة الثانية وتسمى جوابًا أو جزاءً.

أدوات الشرط:

تنقسم أدوات الشرط إلى قسمين:

القسم الأول: أدوات الشرط العاملة، "هي التي تجزم فعلين أوّلُهما فعل الشرط والثاني جوابه وجزاؤه، وهي:

١. (إن – إذْمَا)، وهما حرفان.
٢. (مَنْ – مَا – متَى – أَيْنَ – أيْنَما – أَيَّانَ – أَنَّى – حَيْثُما – كَيْفَمَا – مَهْمَا – أيٌّ) وهي أسماء.

القسم الثاني: أدوات الشرط الغير عاملة، وهي: (لَوْ – لَوْلاَ – لَوْمَا – أَمَّا – لَمَّا) وهي حروف، و(إذا) هي اسم ظرف لما يستقبل من الزمن"[٣].

ومن الأمثلة على أسلوب الشرط في الحزب الثاني من سورة البقرة[٤]:

*** قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**[البقرة: ٩١].

وفي هذه الآية ثلاث جمل شرطية:

الجملة الأولى: في قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا)

(إذا) "ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه"[١] (قَالُوا).

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار وآخرون (١١٨٧/٢).

(٢) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، حبنكة الميداني (ص: ٣٦٨).

(٣) المصدر السابق (ص: ٣٦٩).

(٤) يوجد دراسة علمية بعنوان: (تحليل جملة الشرط و بيان اثرها على المعنى التفسيري – دراسة تطبيقية) هذه الدراسة استهدفت القرآن كله من الفاتحة حتى الناس، وأشرف عليها قسم التفسير، بكلية أصول الدبن، في الجامعة الإسلامية، لذلك ستقتصر الباحثة بذكر مثالين.

(قَالُوا) "فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعل، وجملة (قَالُوا) "لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب شرط غير جازم"[٢].

الجملة الثانية: في قوله تعالى: (فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ)

(إن): حرف شرط مقدر، وفعل الشرط محذوف مقدر بقوله: "إن كنتم آمنتم بما أنزل عليكم"[٣]، (فَلِمَ) الفاء فصيحة؛ "لأنها أفصحت عن شرط مقدر إن كنتم صادقين في زعمكم فلم تقتلون" [٤]

وجملة (تَقْتُلُونَ) "في محلّ جزم جواب شرط مقدّر مقترنة بالفاء: أي إن كنتم كذلك فلم تقتلون.. وجملة الشرط المقدّرة مع جوابها في محلّ نصب مقول القول"[٥].

قال السمين الحلبي: " الفاء جواب شرط مقدر تقديره: إن كنتم آمنتم بما أنزل عليكم فلم قتلتم الأنبياء؟ وهذا تكذيب لهم، لأن الإيمان بالتوراة مناف لقتل أشرف خلقه"[٦].

الجملة الثالثة: في قوله تعالى: (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

(إن) حرف الشرط، (كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فعل الشرط، وجواب الشرط محذوف تقديره: :إن كنتم مؤمنين بالتوراة فلم تقتلون أنبياء الله، أو "إن كنتم صادقين في زعمكم فلم تقتلون"[٧].

قال الواحدي في قوله تعالى: (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) "إن بمعنى الشرط وجوابها قبلها، على تقدير: إن كنتم مؤمنين فلمَ تقتلون أنبياءَ اللهِ؟ لأنه ليس سبيل المؤمنين أن يقتلوا الأنبياء، ولا يتولوا قاتليهم"[٨].

* قال تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[البقرة: ١١٢].

(مَنْ) "اسم شرط جازم، (أَسْلَمَ وَجْهَهُ) فعل الشرط، (فَلَهُ أَجْرُهُ) الفاء رابطة والجار والمجرور خبر مقدم وأجره مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط (عِنْدَ رَبِّهِ)"[١].

---

(١) إعراب القرآن الكريم، دعاس (١/١١).

(٢) إعراب القرآن وبيانه، درويش (١/١٤٦).

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١/٥١٦).

(٤) إعراب القرآن الكريم، دعاس (١/٤٠).

(٥) الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود صافي (١/١٩٩).

(٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١/٥١٦).

(٧) إعراب القرآن الكريم ، دعاس (١/٤٠).

(٨) الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١/١٧٥).

المطلب الرابع: أسلوب الطباق والتضاد

الطباق في اللغة: "مصدرُ طوبِقَت طِباقاً"[٢]، "وقيل: طِباق: مصدر من المطابقة"[٣]، قيل: طِباق، جمع: طبقة، مثل: رحبة ورِحاب، وقيل: جمع: طبق، مثل: جَمَل وجِمال".[٤]

"وتَطابَقَ الشيئَان: تساوَيا، والمُطابَقةُ: المُوافَقة، والتَّطابُق: الاِتِّفَاقُ، وطابَقْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ إذا جَعَلْتَهُمَا عَلَى حَذْوٍ وَاحِدٍ وأَلزقتهما...، وطابَقَ بَيْنَ قَمِيصَيْنِ، لَبِسَ أَحدهما على الآخر، والسمواتُ الطِّباقُ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لمُطابَقَة بَعْضِهَا بَعْضًا أَي بَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَقِيلَ: لأَن بَعْضَهَا مُطْبَق عَلَى بَعْضٍ"[٥].

وقيل الطباق: " وضْعُ طَبَقٍ علَى طَبَقٍ، كوضْعِ غِطَاء الْقِدْر مُنْكَفِئاً على فَمِ الْقِدْر حتَّى يُغَطِّيَهُ بإحكام،... تقول: طابَقَ الشيءَ على الشيءِ مُطَابقةً وطباقاً، أي أطبَقَهُ عليه، وهذا الإطباق يقتضي في الغالب التعاكس، فبَطْنُ الغطاء على بَطْنِ القدر يقتضي أن يكون ظهر الغطاء إلى الأعلَى وظَهْرُ الْقِدْرِ إلى الأَسفل."[٦]

الطباق في الاصطلاح: "هو الْجَمْعُ في العبارة الواحدة بين معنَيْينِ متقابلين، على سبيل الحقيقة، أو على سبيل المجاز، ولو إيهاماً، ولا يشترط كون اللّفظين الدَّالَّيْن عليهما من نَوْع واحدٍ كاسمين أو فعلين، فالشرط التقابل في المعنيَيْن فقط".[٧]، إذن قد يكونا اسمين، نحو قوله تعالى: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ**﴾[البقرة:٨٦] ...أو فعلين نحو قوله تعالى: ﴿**مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾[البقرة:٧٧] أو حرفين نحو: قوله تعالى (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة: ٢٨٦]، أو مختلفين – نحو: قوله تعالى ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام:١٢٢][٨]، "ويسمى بالمطابقة، وبالتضاد، وبالتطبيق، وبالتكافؤ، وبالتطابق وهو أن يجمع المتكلم في كلامه بين لفظين، يتنافى وجود معناهما معاً في شيء واحد، في وقت واحد، بحيث،

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، درويش (١/١٦٨).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي (٢٦/٥٥).

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري (٧/٤٠٦٠).

(٤) المصدر السابق (٧/٤٠٦٠).

(٥) لسان العرب، ابن منظور (١٠/٢١٠).

(٦) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، حبنكة الميداني (ص:٧٥٢).

(٧) المصدر السابق (ص:٧٥٢).

(٨) انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي (١/٣٠٣).

يجمع المتكلم في الكلام بين معنيين متقابلين، سواء أكان ذلك التقابل: تقابل الضدين، أو النقيضين، أو الإيجاب والسلب، أو التضايف".[1]

إذن الطباق هو: الجمع بين لفظين –في عبارة واحدة– بمعنيين متقابلين، سواء كان تقابل تضاد، أو تناقض، أو إيجاب أو سلب.

فمن أوجه التقابل بين المعاني:

(١) تقابل النقيضين: كالإيجاب والسلب.

(٢) تقابل الضدين: كالغني والفقير.

(٣) تقابل التضايُف: كالعام والخاص.[2]

أقسام الطباق:

ينقسم الطباق إلى قسمين:

القسم الأول/ طباق إيجاب: "هو ما لم يختلفْ فيه الضِّدانِ إيجاباً وسلباً"[3]، ومثاله: السماوات والأرض من قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾[البقرة:١٠٧].

القسم الثاني/ طباق سلب: "هو ما اختلف فيه الضدانِ إيجاباً وسلباً، بحيثُ يجمعُ بين فعلينِ من مصدرٍ واحدِ، أحدهُما مثبتٌ مرةً، والآخرُ منفيٌّ تارةً أخرى، في كلامٍ واحدٍ"[4]، مثاله: يعلمون وما يعلمان، من قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ...** ﴾[البقرة:١٠٢]، "أو أحدهُما أمرٌ، والآخرُ نهيٌ، نحو قوله تعالى : ﴿**فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾[المائدة: ٤٤]".[5]

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي (٣٠٣/١).

(٢) انظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، حبنكة الميداني (ص:٧٥٢).

(٣) الخلاصة في علوم البلاغة، علي بن نايف الشحود (ص:٥٧).

(٤) المصدر السابق (ص:٥٧).

(٥) نفس المصدر (ص:٥٧).

ومن الأمثلة على أسلوب الطباق بنوعيه في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قال تعالى: ﴿**أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾[البقرة:٧٧]

الطباق في هذه الآية بين فعلين: (يُسِرُّونَ) و (يُعْلِنُونَ)، وهو من نوع طباق الإيجاب، قال الصابوني: " قوله: (مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) فيه من المحسّنات البديعية ما يسمى ب(الطباق) حيث جمع بين لفظتي «يسرون» و «يعلنون» وهو من نوع طباق الإيجاب".(١)

* قال تعالى: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾[البقرة:٨٦].

الطباق في هذه الآية بين اسمين: (الدُّنْيَا) و (الْآخِرَةِ)، وهو من نوع طباق الإيجاب.

* قال تعالى: ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾[البقرة:١٠٢].

الطباق في هذه الآية بين ثلاث كلمات:

- بين اسمين: (الْمَرْءِ) و(زَوْجِهِ)، وهو من نوع طباق الإيجاب.
- بين فعلين: (وَمَا كَفَرَ) و(كَفَرُوا)، وهو من نوع طباق السلب.
- بين فعلين: (يُعَلِّمُونَ) و(وَمَا يُعَلِّمَانِ)، وهو من نوع طباق السلب.

* قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾[البقرة:١٠٧].

الطباق في هذه الآية بين اسمين: (السَّمَوَاتِ) و(الْأَرْضِ)، وهو من نوع طباق الإيجاب.

* قال تعالى: ﴿**أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾[البقرة:١٠٨].

الطباق في هذه الآية بين اسمين: (الْكُفْرَ) و(الْإِيمَانِ)، وهو من نوع طباق الإيجاب.

---

(١) صفوة التفاسير، الصابوني (٦٤/١).

* قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:١٠٩].

الطباق في هذه الآية بين اسمين: (إِيمَانِكُمْ) و(كُفَّارًا)، وهو من نوع طباق الإيجاب.

* قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١١٥].

الطباق في هذه الآية بين اسمين: (الْمَشْرِقُ) و(الْمَغْرِبُ)، وهو من نوع طباق الإيجاب.

* قال تعالى:﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾[البقرة: ١١٦].

الطباق في هذه الآية بين اسمين: (السَّمَوَاتِ) و(الْأَرْضِ)، وهو من نوع طباق الإيجاب.

* قال تعالى:﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[البقرة: ١١٧].

الطباق في هذه الآية بين اسمين: (السَّمَوَاتِ) و(الْأَرْضِ)، وهو من نوع طباق الإيجاب.

* قال تعالى:﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[البقرة: ١١٩].

الطباق في هذه الآية بين اسمين: (بَشِيرًا) و(نَذِيرًا)، وهو من نوع طباق الإيجاب.

المطلب الخامس: أسلوب الالتفات

الالتفات في اللغة: "(لفت) اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة، منه لفت الشيء: لويته، ولفت فلانا عن رأيه: صرفته... ومنه الالتفات، وهو أن تعدل بوجهك"(١)، والمعنى: "تحويل الوجه عن أصل وضعه الطبيعيّ إلى وضْعٍ آخر".(٢) **الالتفات في الاصطلاح:** "هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول"(٣)، وقيل: "هو التحويل في التعبير الكلاميّ من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/٢٥٨).

(٢) البلاغة العربية، حبنكة الميداني (١/٤٧٩).

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي العلوي (٢/٧١).

الكلام الثلاث: "التكلّم – والخطاب – والغيبة" مع أنّ الظاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التعبير وفق الطريقة المختارة أوّلاً دون التحوّل عنها"[1].

فوائد الالتفات:

١. تفنن في القول.

٢. تلوين الخطاب، تجنبا لالتزام حالة واحدة؛ حتى لا يمل السامع.

٣. تنشيط السامع وزيادة إصغائه[2].

قال ضياء الدين بن الأثير: "وهذا النوع .. هو خلاصة علم البيان التي حولها يدندن، وإليها تستند البلاغة، وعنها يعنعن، وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا"[3].

قال العلوي: "اعلم أن الالتفات من أَجَلِّ علوم البلاغة وهو أمير جنودها، والواسطة في قلائدها وعقودها، وسمي بذلك؛ أخذا له من التفات الإنسان يمينا وشمالا، فتارة يقبل بوجهه وتارة كذا، وتارة كذا، فهكذا حال هذا النوع من علم المعاني، فإنه في الكلام ينتقل من صيغة إلى صيغة، ومن خطاب إلى غيبة، ومن غيبة إلى خطاب إلى غير ذلك من أنواع الالتفات"[4].

أنواع الالتفات:

النوع الأول: "الالتفات من التكلم إلى الخطاب، نحو: ﴿وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[يس:٢٢]"[5]، "ومن التكلم إلى الغيبة، نحو: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾[الكوثر:١-٢]، والالتفات من الغيبة إلى التكلم، نحو: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾[الفرقان:٤٨]"[6].

---

(١) البلاغة العربية، حبنكة الميداني (٤٧٩/١).

(٢) انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي (٢١٢/١).

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (١٣٥/٢).

(٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٧١/٢).

(٥) تلوين الخطاب، شمس الدين (ص:٣٥٥).

(٦) المصدر السابق (ص:٣٥٦).

النوع الثاني: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، نحو: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٤-٥]، ومن الخطاب إلى الغيبة، نحو: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[آل عمران:٩].

النوع الثالث: الالتفات من المستقبل إلى الأمر، ومن الماضي إلى الأمر، نحو: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[الأعراف:٢٩].

النوع الرابع: الالتفات من الماضي إلى الاستقبال، نحو: ﴿الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾[فاطر:٩]، ومن الاستقبال إلى الماضي، نحو: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[النمل:٧٨][(١)].

إلى غير ذلك من أنواع الالتفات الموجود في القرآن الكريم، فأنواع الالتفات لا تقتصر على ما تم ذكره.

ومن الأمثلة على أسلوب الالتفات في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[البقرة:٨٣].

- التفات من الغيبة إلى الخطاب، في قوله: (لَا تَعْبُدُونَ)، قال درويش: "الالتفات من الغيبة الى الخطاب، في قوله: (لا تعبدون) ومن خطاب بني إسرائيل القدامى الى خطاب الحاضرين منهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم".[(٢)]

- التفات من التكلم إلى الغيبة، في قوله: (إِلَّا اللَّهَ) قال السمين الحلبي: "فيه التفات من التكلم إلى الغيبة، إذ لو جرى الكلام على نسقه لقيل: لا تعبدون إلا إيانا، لقوله (أَخَذْنَا)وفي هذا الالتفات من الدلالة على عظم هذا الاسم والتفرد به ما ليس في المضمر، وأيضا الأسماء الواقعة ظاهرة فناسب أن يجاور الظاهر الظاهر"[(٣)].

---

(١) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (٢/٣١٥).

(٢) إعراب القرآن وبيانه (١/١٣٧).

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١/٤٦١).

(ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) "على طريقة الالتفات: أي أعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق ورفضتموه (إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ) وهم من الأسلاف من أقام اليهودية على وجهها ومن الأخلاف من أسلم كعبد الله بن سلام"[1].

* قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة:٨٧].

الالتفات في هذه الآية من الماضي إلى المضارع في قوله: (فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)، التفت من الماضي(كَذَّبْتُمْ) إلى المضارع (تَقْتُلُونَ).

قال ابن عاشور: "وجاء في تقتلون بالمضارع عوضا عن الماضي لاستحضار الحالة الفظيعة وهي حالة قتلهم رسلهم"[2].

وقال الصابوني: التعبير بالمضارع {وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ} ولم يقل قتلتم كما قال كذبتم، لأن الفعل المضارع – كما هو المألوف في أساليب البلاغة – يستعمل في الأفعال الماضية التي بلغت من الفظاعة مبلغاً عظيماً، فكأنه أحضر صورة قتل الأنبياء أمام السامع، وجعله ينظر إليها بعينه، فيكون إنكاره لها أبلغ، واستفظاعه لها أعظم"[3].

* قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة:٨٨].

الالتفات في هذه الآية من الخطاب إلى الغيبة، في قوله (وَقَالُواْ)، قال أبو السعود: "بيانٌ لفنٍ آخرَ من قبائحهم على طريق الالتفاتِ إلى الغَيْبة إشعاراً بإبعادهم عن رُتبة الخِطاب لِمَا فُصّل من مخازيهم الموجبةِ للإعراض عنهم وحكايةِ نظائرِها لكل من يفهم بُطلانها وقباحتَها من أهل الحق والقائلون هم الموجودون في عصر النبي عليه الصلاةَ والسلام"[4].

(١) روح البيان، أبو الفداء الخلوتي (١٧٢/١).
(٢) التحرير والتنوير (٥٩٨/١).
(٣) صفوة التفاسير (٦٩/١).
(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٢٧/١).

وقال ابن عاشور: "فهو من الالتفات الذي نكتته أن ما أجري على المخاطب من صفات النقص والفظاعة قد أوجب إبعاده عن البال وإعراض البال عنه فيشار إلى هذا الإبعاد بخطابه بخطاب البعد فهو كناية"[١].

* قال تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[البقرة: ١١٢].

الالتفات في هذه الآية من الإفراد إلى الجمع: التفت من الإفراد في قوله: (بَلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ) إلى الجمع في قوله: (وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ). " وجمع الضمير في قوله: ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اعتبارا بعموم (من) كما أفراد الضمير في قوله: وجهه لله وهو محسن اعتبارا بإفراد اللفظ وهذا من تفنن العربية لدفع سآمة التكرار "[٢].

* قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[البقرة: ١٣١][٣].

الالتفات في هذه الآية في قوله:(إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ): قال الصابوني: "هو من باب الالتفات إذ السياق {إِذْ قَالَ} والالتفات من محاسن البيان، والتعرض بعنوان الربوبية {رَبُّهُ} لإظهار مزيد اللطف والاعتناء بتربيته كما أن جواب إبراهيم جاء على هذا المنوال {أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العالمين} ولم يقل: أسلمت لك للإيذان بكمال قوة إسلامه وللإشارة إلى أن من كان رباً للعالمين لا يليق إلا أن يُتلقّى أمرُه بالخضوع وحسن الطاعة"[٤].

* قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[البقرة:١٣٥].

(وَقَالُواْ) "شروعٌ في بيان فنٍ آخرَ من فنون كفرِهم وهو إضلالُهم لغيرهم إثرَ بيانِ ضلالِهم في أنفسهم والضمير لأهل الكتابين على طريقة الالتفاتِ المُؤْذن باستيجاب حالِهم لإبعادهم من مقام المخاطبةِ والإعراضِ عنهم وتعديدِ جناياتهم عند غيرهم قالوا للمؤمنين، (كُونُواْ هُودًا أَوْ نصارى)"[٥].

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٥٩٩/١).
(٢) المصدر السابق (٦٧٥/١).
(٣) تفسير البحر المحيط، أبو حيان (٥٦٦/١).
(٤) صفوة التفاسير، الصابوني (٨٦/١).
(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١٦٥/١).

المطلب السادس: أسلوب النداء

النداء في اللغة: "مصدر ناديتُه منادةً ونِداءً. وأنديتُ إنداءً، إذا أفضلت، ونادي الْقَوْم ونَدِيُّهم وَاحِد، وَهُوَ مجتمعهم ومجلسهم، وَالْجمع أندية، وكل مَا ظهر فَهُوَ نادٍ كَأَنَّهُ نَادَى بظهوره، وَيُقَال: النِّداء والنُّداء، فَمن ضمّه أخرجه مُخرج الدُّعاء والثُّغاء، وَمن كَسره جعله مصدر ناديته نِداءً، والنِّداء: نِداء الصَّوْت، وَهُوَ بعد مداه"[١].

النداء في الاصطلاح: "هو طلَبُ الإجابة لأمْرٍ ما بحرف من حروف النداء يَنُوبُ مَنابَ أَدْعُو"[٢].

أدوات النداء:

للنداء ثماني أدوات، وهي على النحو التالي:

- (الهمزة- أي) لنداء القريب.
- (أَيَا - هَيَا - آ- آي) لنداء البعيد.
- (يا) قيل إنها لنداء البعيد حقيقة أو حكما، وقيل إنها مشتركة، والراجح الأول.
- (وآ) للندبة، لمناداة المندوب المندوبُ الْمُتَفَجَّعُ، كقول النادبة: وآ معتصماة، وقيل إن (يا) تستعمل للندبة عند أمن الالتباس بالنداء الحقيقي[٣].
- "قد ينزل البعيد منزلة القريب فينادَى بالهمزة و"أي"، إشارةً إلى قُربه من القلب و حضوره في الذهن، وقد ينزَّلُ القريب منزلة البعيد فينادى بغير الهمزة و"أي"، إشارةٌ إلى عُلُوِّ مرتبته، أو انحطاط منزلته، أو غفلته وشرود ذهنه.
- يخرج النداءُ عن معناه الأصليّ إلى معان أخرَى تستفادُ من القرائن، كالزجر والتحسر والإغراء"[٤].

---

(١) جمهرة اللغة، الأزدي (٢/١٠٦١).

(٢) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، حبنكة الميداني (ص:١٨٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص:١٨٢).

(٤) البلاغةُ الواضِحَةُ، علي الجارم ومصطفى أمين (ص:٢٤٣).

– قد تحذف أداة النداء في أحيانٍ كثيرة، لاسيما عند نداء الرب ودعائه؛ نحو دعاء إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾[البقرة:١٢٦]، فتكون هنا مقدرة ذهنيًا؛ ولهذا الحذف دلالة في النفس، وهي أن المنَادى شديد القرب من المنادِي، حتى أنه لم يحتج لذكر أداة النداء لشدة قربه[(١)].

ومن الأمثلة على أسلوب النداء في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة: ١٠٤].

(يا أَيُّهَا): (يا) حرف نداء، (أي) منادى، (ها) تنبيه، قال ابن عاشور: "وافتتاح الخطاب بالنداء للاهتمام بما سيلقى إلى المخاطبين قصدا لإحضار الذهن لوعي ما سيقال لهم، فنزل الحاضر منزلة البعيد، فطلب حضوره بحرف النداء الموضوع لطلب الإقبال، والتعريف بالموصولية في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) للتنبيه على أن الموصوفين بهذه الصلة من شأنهم أن يتقبلوا ما سيؤمرون به"[(٢)].

قال الصابوني: " وهذا أول خطاب خوطب به المؤمنون في هذه السورة بالنداء الدال على الإقبال عليهم، ونداء المخاطبين باسم المؤمنين يذكّرهم بأن الإيمان يقتضي من صاحبه أن يتلقى أوامر الله ونواهيه بحسن الطاعة والامتثال"[(٣)].

* قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:١٢٢].

قد تكرر النداء بهذه الصيغة في هذه السورة ثلاث مرات، وهي على النحو التالي:

قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[البقرة:٤٠].

وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:٤٧].

---

(١) انظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، حبنكة الميداني (ص:١٨٣).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠٣/٩).

(٣) صفوة التفاسير (٧٧/١).

(يا): أداة نداء، (بني): منادى، قال ابن عاشور: "أعيد نداء بني إسرائيل نداء التنبيه والإنذار والتذكير على طريقة التكرير في الغرض الذي سيق الكلام الماضي لأجله"(١).

وقال ابن عطية: "قد تكرر هذا النداء والتذكير بالنعمة، وفائدة ذلك أن الخطاب الأول يصح أن يكون للمؤمنين، ويصح أن يكون للكافرين منهم، وهذا المتكرر إنما هو للكافرين، بدلالة ما بعده"(٢).

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة: ١٢٦].

(رَبِّ) منادى بياء نداء محذوفة، قال ابن عاشور: " ويطلق النداء كثيرا على الكلام الذي فيه طلب إقبال الذات لعمل أو إقبال الذهن لوعي كلام، فلذلك سميت الحروف التي يفتتح بها طلب الإقبال حروف النداء، ويطلق على الدعاء بطلب حاجة وإن لم يكن فيه نداء لأن شأن الدعاء في المتعارف أن يكون جهرا، أي تضرعا لأنه أوقع في نفس المدعو"(٣).

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ* رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة:١٢٩].

(رَبَّنا) منادى بياء نداء محذوفة، ذكر النداء بالرب تعالى في هذه الآيات ثلاث مرات، وفائدته كما قال ابن عاشور: "إظهار الضراعة إلى الله تعالى وإظهار أن كل دعوى من هاته الدعوات مقصودة بالذات، ولذلك لم يكرر النداء إلا عند الانتقال من دعوة إلى أخرى، فإن الدعوة الأولى لطلب تقبل العمل والثانية لطلب الاهتداء فجملة النداء معترضة بين المعطوف هنا والمعطوف عليه في قوله الآتي: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا)"(٤).

---

(١) التحرير والتنوير (٦٩٧/١).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٣٨/١).

(٣) التحرير والتنوير (٦٢/١٦).

(٤) المصدر السابق (٧٢٠/١).

المطلب السابع: أسلوب القصر والحصر

القصر في اللغة: "(قصر) القاف والصاد والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على ألا يبلغ الشيء مداه ونهايته، والآخر على الحبس، والأصلان متقاربان...، يقال: قصرته إذا حبسته، وهو مقصور، أي محبوس، قال الله تعالى: ﴿**حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾[الرحمن: ٧٢](١)، "ويقال: قصرت نفسي عن هذا الأمر أقصرها قصرا، قال أبو زيد: قصر فلان يقصر قصرا: إذا ضم شيئا إلى أصله الأول"(٢).

القصر في الاصطلاح: "تخصيص شيء (صفة أو موصوف) بشيء (موصوف أو صفة) بطريق مخصوص (ما وإلا وما شابه ذلك مثل إنما والعطف والتقديم وتوسط ضمير الفصل وتعريف المسند أو المسند إليه بلام الجنس) والباء داخلة على المقصور عليه على الأرجح، ومعنى التخصيص ثبوت الشيء الثاني دون غيره للشيء الأول"(٣).

وقال الجرجاني: "تخصيص شيء بشيء وحصره فيه، ويسمى الأمر الأول: مقصورًا، والثاني: مقصورًا عليه"(٤).

أقسام القصر:

ينقسم القصر إلى عدة أقسام، حسب اعتبارات متنوعة:

أقسام القصر باعتبار الحقيقة والواقع:

١) **قصر حقيقي:** "تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة وفي نفس الأمر، بأن لا يتجاوزه إلى غيره أصلًا"(٥)، **مثاله:** قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ**﴾[البقرة:٩٩]، فالمقصور هو الكفر بآيات الله، والمقصور عليه هم الفاسقون، فالفاسقون هم فقط من يتصفوا بهذه الصفة.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/٩٧).

(٢) تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري (٨/٢٧٨).

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين الشافعي (٣/٥).

(٤) التعريفات (ص:١٧٥).

(٥) التعريفات، الجرجاني (ص:١٧٦).

٢) **قصر إضافي:** "هو الإضافة إلى شيء إلى شيء آخر، بألا يتجاوزه إلى ذلك الشيء، وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر في الجملة"[(١)]، مثاله قوله تعالى: ﴿ **بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[البقرة:٨١]، قال ابن عاشور: "والقصر المستفاد من التعريف في قوله: (فَأُولَئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ) قصر إضافي لقلب اعتقادهم"[(٢)]، ومثاله أيضًا: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[البقرة:١٣٤]، قال ابن عاشور: "وتقديم المسندين على المسند إليهما في لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لقصر المسند إليه على المسند، أي ما كسبت الأمة لا يتجاوزها إلى غيرها وما كسبتم لا يتجاوزكم، وهو قصر إضافي لقلب اعتقاد المخاطبين فإنهم لغرورهم يزعمون أن ما كان لأسلافهم من الفضائل يزيل ما ارتكبوه هم من المعاصي أو يحمله عنهم أسلافهم"[(٣)].

أقسام القصر باعتبار طرفيه:

١) **قصر الصفة على الموصوف:** "هو أن تحبس الصفة على موصوفها وتختص به، فلا يتَّصف بها غيره، وقد يتَّصف هذا الموصوف بغيرها من الصفات"[(٤)]،مثاله قول الله تعالى: ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾[البقرة: ١٢٠]، قال الصابوني: "إيراد الهدى معرفاً بأل في قوله {هُوَ الهدى} مع اقترانه بضمير الفصل «هو» يفيد قصر الهداية على دين الله فهو من باب قصر الصفة على الموصوف فالإسلام هو الهدى كله وما عداه فهو هوى وعمى"[(٥)]، وقال ابن عاشور: "فيه طريقان من طرق

---

(١) التعريفات، الجرجاني (ص:١٧٦).

(٢) التحرير والتنوير (٥٨١/١).

(٣) المصدر السابق (٧٣٥/١).

(٤) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي (١٧١/١).

(٥) صفوة التفاسير (٨١/١).

الحصر هما ضمير الفصل وتعريف الجزأين، وفي الجمع بينهما إفادة تحقيق معنى القصر وتأكيده للعناية به، فأيهما اعتبرته طريق قصر كان الآخر تأكيدا للقصر وللخبر أيضا"[(١)].

٢) **قصر الموصوف على الصفة:** "هو أن يحبس الموصوف على الصفة ويختصّ بها، دون غيرها، وقد يشاركه غيره فيها، مثاله من الحقيقي، نحو: ما الله إلا خالق كلّ شيءٍ، ومثاله من الإضافي[(٢)]، قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٤].

طرق القصر:

١) القصر بالنفي والاستثناء، والمقصور عليه يكون بعد أداة الاستثناء.[(٣)]

ومن الأمثلة عليه:

* قوله تعالى:﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[البقرة:٧٨].

التخصيص في قوله: (لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ)، وقصرها على (إِلَّا أَمَانِيَّ)، والذي دل على هذا التخصيص هو: النفي بـ(لا)، والاستثناء بـ(إلا).

* قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٨٠].

التخصيص في قوله: (لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ) نفي ديمومة النار، وقصرها على (إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً) والذي دل على هذا التخصيص هو: النفي بـ(لن)، والاستثناء بـ(إلا).

* قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾[البقرة:٩٩].

التخصيص في قوله: (وَمَا يَكْفُرُ بِهَا) نفي الكفر بالآيات، وقصرها على (إِلَّا الْفَاسِقُونَ)، والذي دل على هذا التخصيص هو: النفي بـ(ما)، والاستثناء بـ(إلا).

---

(١) التحرير والتنوير (٦٧٦/١).

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي (١٧١/١).

(٣) انظر: المصدر السابق(١٦٨/١).

فالمقصور هو الكفر بآيات الله، والمقصور عليه هم الفاسقون، فالفاسقون هم فقط من يتصفون بهذه الصفة.

قال الراغب: "عنى بالآيات القرآن وسائر المعجزات والدلالات التي أوضح الله ﷻ بها أمر النبي ﵇ وذكر أنه لا يجحد ذلك ولا ينكره إلا كل متناه في الكفر، والفاسق الخارج عن الطاعة، إما عن أصل الدين، وإما عن بعض الطاعات بارتكاب كبيرة "(١).

* وقوله تعالى:﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[البقرة:١٠٢].

التخصيص في قوله: (وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ) نفي المضرة لأحد، وقصرها على إرادة الله (إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) والذي دل على هذا التخصيص هو: النفي بـ(ما)، والاستثناء ب(إلا).

والمعنى: "أي إلا بما أعد الله في قابل السحر من استعداد لأن يضر به فإن هذا الاستعداد وإمكان التأثر مخلوق في صاحبه فهو بإذن الله ومشيئته... وقد أفادت الآية بجمعها بين إثبات الضر ونفي النفع الذي هو ضده مفاد الحصر كأنه قيل ويتعلمون ما ليس إلا ضرا".(٢)

* وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة١١١].

التخصيص في قوله: (لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ) نفي دخول الجنة، وقصرها على اليهود والنصارى (إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى) والذي دل على هذا التخصيص هو: النفي بـ(لن)، والاستثناء بـ(إلا).

* وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة:١١٤].

التخصيص في قوله: (مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا) نفي دخول النار، وقصرها على (إِلَّا خَائِفِينَ)، والذي دل على هذا التخصيص هو: النفي بـ(ما)، والاستثناء بـ(إلا).

* وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[البقرة:١٣٠].

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (٢٧١/١).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٤٤٧/٣٨).

التخصيص في قوله: (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ) نفي الرغبة عن ملة ابراهيم، وقصرها على (مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ)، والذي دل على هذا التخصيص هو: الاستفهام بـ(من)، والاستثناء بـ(إلا).

* وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٢].

التخصيص في قوله: (فَلَا تَمُوتُنَّ) النهي عن الموت، وقصره على (إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) والذي دل على هذا التخصيص هو: النهي بـ(لا)، والاستثناء بـ(إلا).

٢) القصر ب(لا) العاطفة، والمقصور عليه: هو المذكور قبلها والمُقابَل لما بعدها(١).

مثاله: الأرض متحركة لا ثابتة.

٣) القصر ب(بَلْ) أو(لكنْ) العاطفتين، والمقصور عليه: هو ما يذكر بعدهما(٢).

ومن الأمثلة عليهما:

* قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة:٨٨].

التخصيص في قوله: (فقليلا ما يؤمنون) العدول عن قولهم (قُلُوبُنَا غُلْفٌ)، وإثبات أن (لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ)، والذي دل على هذا العدول هو: النفي بـ(ما)، والاستثناء بـ(بل).

* قوله تعالى:﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾[البقرة:١٠٢].

التخصيص في قوله: (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ) المقصور عنه سليمان، والمقصور هو(الشَّيَاطِينَ)، والذي دل على هذا التخصيص هو: النفي بـ(ما)، والاستدراك بـ(لكن).

٤) القصر بإنما، والمقصور عليه هو ما يذكر بعدها(٣).

ومن الأمثلة عليه:

* قال تعالى:﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[البقرة:١١٧].

القصر فيه من باب قصر الصفة على الموصوف، قصر صفة ؛(يَقُولُ لَهُ كُنْ) بالإضافة (فَيَكُونُ)، فإذا أراد الله شيئا تم بسرعة وبلا مهلة.

---

(١) انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي (١٦٨/١).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٦٨/١).

(٣) انظر: نفس المصدر(١٦٨/١).

قال الهاشمي: "القصر بتقديم ما حقه التأخير، والمقصور عليه هو المتقدم[(١)].

* قال تعالى:﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١١٥].

والقصر في قول: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ)، قال ابن عاشور: "وتقديم الظرف للاختصاص أي أن الأرض لله تعالى فقط لا لهم، فليس لهم حق في منع شيء منها عن عباد الله المخلصين"[(٢)].

* قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٢٨].

(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ) "يفيد الحصر أي نكون مسلمين لك لا لغيرك وهذا يدل على أن كمال سعادة العبد في أن يكون مسلما لأحكام الله تعالى وقضائه وقدره، وأن لا يكون ملتفت الخاطر إلى شيء سواه"[(٣)].

المطلب الثامن: أسلوب التعريف والتنكير

المعرفة: هي "ما دلت على شيء بعينه"[(٤)]، وقال حبنكة الميداني هي: "اسم يَدُلُّ على مُعَيَّن مُمَيَّزٍ عن سائر الأفراد أو الجموع المشاركة له في الصفات العامة المشتركة"[(٥)].

أقسام المعرفة:

الأول: الضمائر، مثل: أنا – أنت....

الثاني: الأعلام، مثل: أيمن – أبو عبيدة، وما يضاف إلى ضمير مثل: رأسي – قلبه.

الثالث: أسماء الإشارة، مثل: هذا – هذه – أولئك.

الرابع: الأسماء الموصولة، مثل: الذي أتاني – التي تزوجتها ...[(٦)].

الخامس: "المحلّى بأل، مثل: المؤمن – الرجال – النساء.

---

(١) انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي (١٦٨/١).

(٢) التحرير والتنوير (٦٨٣/١).

(٣) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي (٥٤/٤).

(٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيي العلوي (٨/٢).

(٥) البلاغة العربية (٣٩٧/١).

(٦) انظر: المصدر السابق (٣٩٧/١).

السادس: المضاف إلى غير الضمير من المعارف السابقة، مثل: كتاب الرجل.

السابع: النكرة المقصودة في النداء، مثل: يَا رَجُلُ" تخاطب رجلا بعينه"[(١)].

النكرة: " **النكرة:** هي "ما دلت على شيء لا بعينه"[(٢)]، "اسم يطلق على القليل والكثير، أو على مفرد، أو على أكثر ومعناه شائع في جنس، أو نوع، أو صنف، أو نحو ذلك، وهذا يصدق بالمثنى والجمع"[(٣)].

أقسام النكرة:

١. ما يطلق على القليل والكثير، صالح لأن يراد به أقل مقدار وأكثر مقدار، مثل: (ماء- تراب).

٢. ما يطلق على مفرد، صالح لأن يراد به أيّ فرد دون تعيين، مثل: (رجل – امرأة – إنسان).

٣. ما يطلق على أكثر من مفرد، صالح لأن يراد به أيُّ جمع دون تعيين إذا كان جمعاً، مثل: (رجال – نساء)، وأيّ اثنين إذا كان مثنى، مثل: (رجلان–امرأتان)[(٤)].

ومن الأمثلة على التعريف والتنكير في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٨٥].

والتنكير في قوله تعالى: (خِزْيٌ فِي الحياة الدنيا) "للتفخيم والتهويل"[(٥)].

* قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٩٦].

---

(١) البلاغة العربية، حبنة الميداني (٣٩٧/١).

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيي العلوي (٨/٢).

(٣) البلاغة العربية، حبنكة الميداني (٣٩٧/١).

(٤) انظر: المصدر السابق (٣٩٧/١).

(٥) صفوة التفاسير، الصابوني (٦٧/١).

والتنكيرُ في قوله تعالى: (عَلَى حَيَاةٍ): "لتعميم معاني الحياة، فهم يحرصون على حياة أيا كانت صورتها، سواء كانت حياة ذل أم كانت حياة عز، وسواء كانت حياة استعباد أم كانت حياة حرية، وسواء أكانت تحكمها الفضيلة أم كانت تحكمها الرذيلة، إنهم يحرصون على الحياة ذاتها من غير نظر إلى وصفها سواء أكانت مقيتة في ذاتها، أم كانت بكرامة من غير مهانة. وإن هذا يدل على كمال الحرص"(١).

قال الصابوني: "التنكير في قوله: (على حَيَاةٍ) للتنبيه على أن المراد بها حياة مخصوصة، وهي الحياة المتطاولة التي يعمر فيها الشخص آلاف السنين"(٢).

* قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠١].

التنكير في قوله تعالى: (رَسُولٌ مِّنْ عِندِ الله) "التنكير للتفخيم ووصفُ الرسول بأنه آتٍ من عند الله لإفادة مزيد التعظيم"(٣).

قال أبو زهرة: "التنكير فيها للتعظيم، أي رسول بالغ أقصى درجات الفضل وقد اختاره الله تعالى"(٤).

* قال تعالى:﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٢].

والتعريف في قوله: (الْمَلَكَيْنِ): "وتعريف الملكين تعريف الجنس أو هو تعريف العهد بأن يكون الملكان معهودين لدى العارفين بقصة ظهور السحر"(٥).

---

(١) زهرة التفاسير، أبو زهرة (٣٢٤/١).

(٢) صفوة التفاسير (٧١/١).

(٣) المصدر السابق (٧٤/١).

(٤) زهرة التفاسير (٣٣٥/١).

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٦٢٢/١).

* قال تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٠٣].

والتنكير في قوله: (لَمَثُوبَةٌ) "وتنكيرُ المثوبة للتقليل"[١]، و"ليبين فضلها بأي قدر، فقليل من ثواب الله– تعالى– في الآخرة خير من نعيم الدنيا الفانية. مهما كثر وعظم، فكيف وثواب الله– تعالى– كثير دائم: وفي ذلك: ترغيب في طاعة الله، وترهيب من المخالفة التي تجر إلى عقابه تعالى"[٢].

* قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[البقرة:١١٣].

التعريف في (الْكِتَابَ) "للجنس، أي قالوا ذلك، وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب"[٣].

قال ابن عطية: "والْكِتابَ الذي يتلونه قيل: التوراة والإنجيل، فالألف واللام للجنس، وقيل: التوراة لأن النصارى تمتثلها، فالألف واللام للعهد"[٤].

* قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة:١١٤].

والتنكير في قوله تعالى: (فِي الدنيا خِزْيٌ) "التنكير للتهويل أي خزي هائل فظيع لا يكاد يوصف لهوله"[٥].

* قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[البقرة:١١٨].

والتعريف في قوله:(الْآيَاتِ)، قال الألوسي: "وفي تعريف الآيات وجمعها وإيراد التبيين مكان الاتيان الذي طلبوه ما لا يخفى من الجزالة، والمعنى أنهم اقترحوا آية فذة ونحن قد بينا الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين..."[٦].

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١/١٤٠).
(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (١/١٥٩).
(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (١/١٧٩).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/١٩٨).
(٥) صفوة التفاسير، الصابوني (١/٧٩).
(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/٤٨٦).

* قال تعالى: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[البقرة:١٢٠].

التعريف في قوله:(هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ) قال ابن عاشور: "والتعريف في الهدى تعريف الجنس الدال على الاستغراق، ففيه طريقان من طرق الحصر هما ضمير الفصل وتعريف الجزأين وفي الجمع بينهما إفادة تحقيق معنى القصر وتأكيده للعناية به فأيهما اعتبرته طريق قصر كان الآخر تأكيدا للقصر وللخبر أيضا"(١).

وقال الصابوني: "إيراد الهدى معرفاً بأل في قوله {هُوَ الهدى} مع اقترانه بضمير الفصل «هو» يفيد قصر الهداية على دين الله فهو من باب قصر الصفة على الموصوف فالإسلام هو الهدى كله وما عداه فهو هوى وعمى"(٢).

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[البقرة:١٢٥].

والتعريف في قوله:(الْبَيْتَ) قال الرازي: "واكتفى بذكر البيت مطلقا لدخول الألف واللام عليه، إذا كانتا تدخلان لتعريف المعهود أو الجنس، وقد علم المخاطبون أنه لم يرد به الجنس فانصرف إلى المعهود عندهم وهو الكعبة، ثم نقول: ليس المراد نفس الكعبة، لأنه تعالى وصفه بكونه أمنا، وهذا صفة جميع الحرم لا صفة الكعبة فقط والدليل على أنه يجوز إطلاق البيت والمراد منه كل الحرم قوله تعالى: ﴿ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾[المائدة: ٩٥]، والمراد الحرم كله لا الكعبة نفسها"(٣).

والتعريف في قوله: (لِلنَّاسِ) للجنس المعهود، قال ابن عاشور "والمراد من الناس سكان مكة من ذرية إسماعيل وكل من يجاورهم ويدخل في حلفهم، فتعريف الناس للجنس المعهود..."(٤).

---

(١) التحرير والتنوير (١/٦٧٦).
(٢) صفوة التفاسير (١/٨١).
(٣) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (٤/٤٤).
(٤) التحرير والتنوير (١/٦٩٠).

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة:١٢٦].

والتنكير في قوله تعالى: (بَلَدًا آمِنًا) قال الرازي: "إنما قال في هذه السورة: (بَلَدًا آمِنًا) على التنكير وقال في سورة إبراهيم: ﴿هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾[إبراهيم:٣٥] على التعريف لوجهين:

الأول: أن الدعوة الأولى وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلدا، كأنه قال: اجعل هذا الوادي بلدا آمنا لأنه تعالى حكى عنه أنه قال:﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[إبراهيم: ٣٧] فقال: هاهنا اجعل هذا الوادي بلدا آمنا، والدعوة الثانية وقعت وقد جعل بلدا، فكأنه قال: اجعل هذا المكان الذي صيرته بلدا ذا أمن وسلامة، كقولك: جعلت هذا الرجل آمنا.

الثاني: أن تكون الدعوتان وقعتا بعد ما صار المكان بلدا، فقوله: (اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا) تقديره: اجعل هذا البلد بلدا آمنا"(١).

والتعريف في قوله تعالى:(الثَّمَرَاتِ) "تعريف الاستغراق وهو استغراق عرفي أي من جميع الثمرات المعروفة للناس ودليل كونه تعريف الاستغراق مجيء من التي للتبعيض، وفي هذا دعاء لهم بالرفاهية حتى لا تطمح نفوسهم للارتحال عنه"(٢).

* قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٣].

والتعريف في قوله: (نَعْبُدُ إِلَهَكَ) "معرفا بالإضافة دون الاسم العلم، بأن يقول نعبد الله لأن إضافة إله إلى ضمير يعقوب وإلى آبائه تفيد جميع الصفات التي كان يعقوب وآباؤه يصفون الله بها فيما لقنه منذ نشأتهم،... وأيضا فمن فوائد تعريف الذي يعبدونه بطريق الإضافة إلى ضمير أبيهم وإلى لفظ آبائه أن فيها إيماء إلى أنهم مقتدون بسلفهم"(٣).

---

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي (٤٩/٤).
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٦٩٦/١).
(٣) المصدر السابق (٧١٣/١).

المطلب التاسع: أسلوب الاستعارة والتشبيه

الاستعارة لغة: "مِنَ العَارِيَّة وَهِيَ مَعْرُوفةٌ"[١]، يقال: "استعار منه الشيءَ، فأعاره إياه"[٢].

قال الجرجاني: "اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للَّفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اخْتُصَّ به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غيرَ لازمٍ، فيكون هناك كالعاريَّة"[٣].

الاستعارة اصطلاحا: "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذى يبرز فيه"[٤].

وقال الرماني: "الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"[٥].

وقد ذكر ابن رشيق قولا للقاضي الجرجاني في تعريف الاستعارة : "الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصلي، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها بقرب التشبيه ، ومناسبة المستعار للمستعار له ، وامتزج اللفظ بالمعني حتي لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الأخر "[٦].

ومن الأمثلة على الاستعارة في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة: ٨١].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (٤/٦٢٥).

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري (٧/٤٨٤١).

(٣) أساس البلاغة (ص:٣٠).

(٤) الصناعتين، أبو هلال العسكري (ص:٢٦٨).

(٥) النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن الرماني (٨٩).

(٦) العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ص:٨٨).

الاستعارة في قوله تعالى: (وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ) هي "من باب الاستعارة حيث شبّه الخطايا بجيش من الأعداء نزل على قوم من كل جانب فأحاط به إحاطة السوار بالمعصم، واستعار لفظة الإحاطة لغلبة السيئات على الحسنات، فكأنها أحاطت بها من جميع الجهات"[١].

قال الشريف الرضي: "وهذه استعارة فيها كناية عجيبة عن عظم الخطيئة؛ لأن الشيء لا يحيط بالشيء من جميع جهاته إلا بعد أن يكون سابغا غير قالص، وزائدا غير ناقص"[٢].

* قال تعالى:﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة:٨٨].

والاستعارة في قوله تعالى: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ) على القراءتين:

القراءة الأولى: قراءة التخفيف (غلْف) بسكون اللام، على جمع أغلف[٣]، والمعنى: "أن المشركين قالوا: قلوبنا في أغطية عما يقوله، يريدون النبي ﷺ..."[٤].

القراءة الثانية: قراءة التثقيل (غلُف) بتحريك اللام على جمع غلاف، والمعنى: "قالوا قلوبنا في أوعية فارغة لا شيء فيها، فلا تكثر علينا من قولك ، فإنا لا نعى منه شيئا، فكان قولهم هذا على طريق الاستعفاء من كلامه، والاحتجاز عن دعائه"[٥].

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[البقرة: ٩٣].

الاستعارة في قوله تعالى: (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ) قال الصابوني: " فيه استعارة مكنية، شبّه حبَّ عبادة العجل بمشروب لذيذ سائغ الشراب، وطوى ذكر المشبه به ورمز بشيء من لوازمه وهو الإشراب على طريق الاستعارة المكنية"[٦]، وقال الشريف الرضي: "وهذه استعارة

(١) صفوة التفاسير، الصابوني (٦٤/١).
(٢) تلخيص البيان في مجازات القرآن (١١٦/٢).
(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٢٤٢/٢).
(٤) تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي (١١٦/٢).
(٥) المصدر السابق (١١٦/٢).
(٦) صفوة التفاسير(٧١/١).

والمراد وصف قلوبهم بالمبالغة في حب العجل فكأنها تشربت حبة فمازجها ممازجة المشروب، وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ"[(١)].

وفي قوله تعالى: (بِئْسَما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) قال الشريف الرضي: "استعارة أخرى؛ لأن الإيمان على الحقيقة لا يصحّ عليه النطق، فالأمر إنما يكون بالقول، فالمراد إذا بذلك– والله أعلم– أن الإيمان إنما يكون دلالة على صدّ الكفر والضلال، وترغيبا في اتباع الهدى والرشاد، وأنه لا يكون ترغيبا في سفاهة، ولا دلالة على ضلالة، فأقام تعالى ذكر الأمر هاهنا مقام ذكر الترغيب والدلالة، على طريق المجاز والاستعارة، إذ كان المرغّب في الشيء والمدلول عليه، قد يفعله كما يفعله المأمور به والمندوب إليه"[(٢)].

* قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٢].

الاستعارة في قوله تعالى: (وَلَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) قال الشريف الرضي: "هذه استعارة؛ لأن بيع نفوسهم على الحقيقة لا يتأتى لهم، والمراد به– والله أعلم– أنهم لما أوبقوا أنفسهم بتعلم السحر، واستحقوا العقاب على ما في ذلك من عظيم الوزر، كانوا كأنهم قد رضوا بالسّحر ثمنا لنفوسهم، إذ عرّضوها بعمله للهلاك، وأوبقوها لدايم العقاب، وكانت كالأعلاق الخارجة عن أبدانهم بأنقص الأثمان، وأدون الأعواض"[(٣)].

* قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة:١١٢].

(١) تلخيص البيان في مجازات القرآن (١١٧/٢).

(٢) المصدر السابق (١١٧/٢).

(٣) تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، (١١٧/٢).

الاستعارة في قوله تعالى: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) "خص الوجه بالذكر لأنه أشرف الأعضاء والوجه هاهنا (استعارة) أي من أقبل على عبادة الله وجعل توجهه إليه بجملته"[١]، "لا بوجهه دون غيره".[٢]

* قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[البقرة: ١٣٠].

الاستعارة في قوله:(إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) قال الشريف الرضي: "هذه استعارة؛ لأنه تعالى علق السفه بالنفس، وقولنا: نفس فلان سفيهة: مستعارة، وإنما السفه صفة لصاحب النفس لا للنفس"[٣].

* قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٣].

الاستعارة في قوله تعالى: (إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ) "أي ظهرت له علاماته، ووردت عليه مقدماته، فهي استعارة؛ لأن الموت لا يصح عليه الحضور على الحقيقة"[٤].

* قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[البقرة:١٣٨].

الاستعارة في قوله تعالى: (صِبْغَةَ الله) "سمي الدين صبغةً بطريق الاستعارة حيث تظهر سمته على المؤمن كما يظهر أثر الصبغ في الثوب"[٥]، وقيل: "جعله بمنزلة الصبغ لأن أثره ظاهر، ووسمه لائح، وهذا من محض الاستعارة"[٦].

---

(١) صفوة التفاسير، الصابوني (١/٨٩).
(٢) تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي (١١٨/٢).
(٣) المصدر السابق (١١٨/٢).
(٤) نفس المصدر (١١٨/٢).
(٥) صفوة التفاسير، الصابوني (١/٨٩).
(٦) تلخيص البيان في مجازات القرآن (١١٨/٢).

المطلب العاشر: أسلوب الأمر

الأمر: "هو طلَبُ تحقيق شيْءٍ ما، مادّيٍّ أو معنويّ، وتدُلُّ عليه صِيَغٌ كلاميّة أربع، هي: فعل الأمر- المضارع الذي دخلت عليه لام الأمر- اسم فعل الأمر- المصدر النائب عن فعل الأمر"[1].

ومن الأمثلة على الأمر في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قال تعالى:﴿**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة:٨٠].

"ولذا أمر الله نبيه أن يرد عليهم موبخًا ومبكتًا بقوله: {قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا} بأن النار لن تمسكم إلا أيامًا معدودة؟!"[2].

* قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[البقرة:٩٣].

"أمر إلهي موجه رأسًا لبني إسرائيل، على غرار الأمر الإلهي الموجه إلى موسى نفسه، {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا}...، والمراد به أن يأخذوا ميثاق الكتاب بجد وحزم وعزم وامتثال كامل"[3].

* قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[البقرة:١١١].

"وهذا أمر من الله جل ثناؤه لنبيه ﷺ بدعاء الذين (قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) إلى أمر عدل بين جميع الفرق مسلمها ويهودها ونصاراها، وهو إقامة الحجة على دعواهم التي ادعوا من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى"[4]، يقول ﷻ للنبي محمد ﷺ: يا محمد قل لليهود والنصارى الزاعمين أن الجنة خاصة بهم لا يدخلها إلا من كان

---

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، حبنكة الميداني (ص: ١٧٣)

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء (١/١٢٢).

(٣) التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (٢/٢٨٩).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٢/٤٢٩).

على ملتهم: قل لهم هاتوا برهانكم على ما زعمتم، فنصدق دعواكم إن كنتم فها صادقين، " الأمر هنا للتبكيت والتقريع"[1].

* قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٦].

وبعد أن أمر الله ﷻ النبي ﷺ في الآية السابقة، اعقبه بأمر المؤمنين بقوله: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَ...) "أي لا تكن دعوتكم إلى شيء خاص بكم يفصل بينكم وبين سائر أهل الأديان السماوية، بل انظروا إلى جهة الجمع والاتفاق، وادعوا إلى أصل الدين وروحه الذي لا خلاف فيه ولا نزاع، وهو التسليم بنبوة جميع الأنبياء والمرسلين"[2].

قال ابن عاشور: "والأمر بالقول أمر بما يتضمنه، إذ لا اعتداد بالقول إلا لأنه يطابق الاعتقاد...، والمقصود من الأمر بهذا القول الإعلان به والدعوة إليه لما يشتمل عليه من الفضيلة الظاهرة بحصول فضيلة سائر الأديان لأهل هاته الملة ولما فيه من الإنصاف وسلامة الطوية، ليرغب في ذلك الراغبون وَيَكْمَدَ عند سماعه المعاندون"[3].

النهي: هو طلَبُ الكفّ عن شيءٍ ما، مادّيٍّ أو معنويٍّ، وتدلُّ عليه صيغةٌ كلامية واحدة هي: "الفعل المضارع الذي دخلت عليه (لاَ) الناهية"[4].

ومن الأمثلة على النهي في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[البقرة:٨٣].

---

(١) صفوة التفاسير، الصابوني (١/٧٩).
(٢) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (١/٣٩٧).
(٣) التحرير والتنوير (١/٧٣٨).
(٤) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، حبنكة الميداني (ص: ١٧٣)

والنهي في قوله: (لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ) وهو "خبرٌ في معنى النهي، وهو أبلغ من صريح النهي"(١)؛ "لما فيهِ من إيهامِ أن المنهيَّ حقُّه أن يسارعَ إلى الانتهاء عما نُهي عنه فكأنه انتهى عنه فيُخبرُ به"(٢).

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة:١٠٤].

ففي هذه الآية أمر ونهي:

- النهي في قوله تعالى:(لَا تَقُولُوا رَاعِنَا) وهو "نهي يقتضي التحريم"(٣)، نهى الله ﷻ به المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في أقوالهم وأفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يلوون الكلام ويقصدون به التنقيص من شأن النبي ﷺ، فإذا أرادوا أن يقولوا له: اسمع لنا، يقولون: راعنا سمعك، وراعنا عندهم كلمة نقص وشتيمة فكانوا يورون بها كلامهم(٤).

- الأمر في قوله تعالى: (وَقُولُوا انْظُرْنَا)، أمر الله ﷻ المؤمنين أن يخاطبوا النبيﷺ بالتوقير والإجلال(٥).

* قال تعالى:﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٢].

والنهي في قوله: (فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) "نهي عن الاتصاف بخلاف حال الإسلام وقت الموت، والمفهوم من الآية ظاهراً النهي عن الموت على خلاف تلك الحال"(٦)، والمعنى "نهى عن ترك الإسلام وأمر بالثبات عليه إلى مصادفة الموت"(٧)، قال القنوجي: " والمعني أن موتهم لا على حال الثبات على الإسلام موت لا خير فيه، وإن حق هذا الموت أن لا يحصل فيهم"(٨).

---

(١) صفوة التفاسير، الصابوني (٦٦/١).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١٢٣/١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٦٠/٢).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٧٣/١).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٦٠/٢).

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (١٦/٢).

(٧) تفسير الجلالين، المحلي والسيوطي (ص:٢٧).

(٨) فتحُ البيان في مقاصد القرآن (٢٨٧/١).

المطلب الحادي عشر: أسلوب الحذف والذكر

أولًا: أسلوب الحذف

الحذف في اللغة: "إِسْقَاط الشَّيْء لفظا وَمعنى، وقيل الحذف: مَا ترك ذكره فِي اللَّفْظ وَالنِّيَّة"(١).

الحذف في الاصطلاح: "إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام، والفائدة منه أنه تذهب فيه النفس كل مذهب"(٢).

ومن الأمثلة على أسلوب الحذف في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قال تعالى: ﴿**وَقالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة:٨٠].

الحذف في قوله: (فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ) "متعلق بمحذوف، تقديره: إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده"(٣).

*قال تعالى: ﴿**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾[البقرة: ٩٠]

قوله: (مِنْ فَضْلِهِ) "جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف صفة لموصوف محذوف معمول لـ (يُنَزِّلَ اللَّهُ)، تقديره: أن ينزّل الله وحْيًا كائنًا من فضله وإحسانه".(٤)

* قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[البقرة:٩١].

والحذف في قوله: (فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) : أي: "إن كنتم آمنتم بما أنزل إليكم فلم تقتلون؟ وجواب (إن كنتم) محذوف دل عليه ما تقدم، أي فلم فعلتم؟ وكرر الشرط وجوابه مرتين للتأكيد، إلا أنه حذف الشرط من الأولى وبقى جوابه، وحذف الجواب من الثاني وبقى شرطه"(٥).

---

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي (ص:٣٨٤).
(٢) دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، الجرجاني (٢/٣٥).
(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (١/١٥٨).
(٤) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد العلوي الهرري (٢/٩٧).
(٥) الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (٢/٤٤٧).

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٩٣].

الحذف في قوله: (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ) حذف للمضاف، والمعنى: حب العجل[١]، "وإقامةِ المضافِ إليه مُقامُه للمبالغة أي تَداخَلَهم حبُّه ورسَخَ في قلوبهم صورتُه لفَرْط شغَفِهم به وحِرصِهم على عبادته كما يَتداخل الصبغ الثوبَ والشرابُ أعماقَ البدن"[٢].

وقد يكون على حذف مضافين، والمعنى: أشربوا حب(مضاف أول) عبادة(مضاف ثاني) العجل[٣].

* قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾[البقرة:١٠٢].

والحذف في قوله:(عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ) وهو "على حذف مضاف، أي: على عهد ملك سليمان"[٤].

* قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة:١١١].

الحذف في قوله: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) إيجاز بالحذف؛ "لأنّه حُذف فيه جواب الشرط؛ لعلمه من السابق؛ أي: إن كنتم صادقين في دعواكم، فهاتوا برهانكم"[٥].

* قال تعالى: ﴿وَقالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ لَهُ ما فِي السَّمواتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ﴾[البقرة:١١٦].

الحذف في قوله: (كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ) "على حذف مضاف، أي: كلّ ما خلق الله"[٦].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي(٥/٢١٤).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١/١٣١).

(٣) انظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان (١/٤٧٦).

(٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس الفاسي، (١/١٤٤).

(٥) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد العلوي الهرري (٢/٢٢٧].

(٦) الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود صافي (١/٢٤٤).

* قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[البقرة:١٣٠].

الحذف في قوله: (إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) "بمعنى سفه في نفسه، فحذف حرف الجر"[(١)].

قال ابن عطية: "وإنما النصب على تقدير حذف «في» ، فلما انحذف حرف الجر قوي الفعل، وهذا يجري على مذهب سيبويه فيما حكاه من قولهم ضرب فلان الظهر والبطن أي في الظهر والبطن"[(٢)].

وفي قوله: (وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)، "قيل: المعنى إنه في عمل الآخرة لَمِنَ الصَّالِحِينَ، فالكلام على حذف مضاف"[(٣)].

* قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[البقرة:١٣٥].

الحذف في قوله: (وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نصارى) "فيه إيجاز بالحذف، أي: قال اليهود كونوا يهوداً وقال النصارى كونوا نصارى، وليس المعنى أن الفريقين قالوا ذلك لأن كل فريق يعدُّ دين الآخر باطلاً"[(٤)].

الحذف في قوله: (قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) " في الكلام حذف، يحتمل وجهين:

أحدهما: أن المحذوف بل نتبع ملة إبراهيم، ولذلك جاء به منصوباً.

والثاني: أن المحذوف بل نهتدي بملة إبراهيم، فلما حذف حرف الجر ، صار منصوباً"[(٥)].

---

(١) النكت والعيون، الماوردي (٩٦/١).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢١٢/١).

(٣) المصدر السابق (٢١٣/١).

(٤) صفوة التفاسير، الصابوني (٧٩/١).

(٥) النكت والعيون، الماوردي (١٩٤/١).

* قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٣٧].

الحذف في قوله: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ) "فيه إيجاز ظاهر أن يكفيك الله شرهم، وتصدير الفعل بالسين دون سوف مشعر بأن ظهوره عليهم واقع في زمن قريب"(١).

ثانيًا: أسلوب الذكر

الذكر في اللغة: "ضد النّسيان ذَكَرْتُ الشيءَ أذكُره ذِكْراً وذُكراً، وَهُوَ منّي على ذِكْر وعَلى ذُكْر..، وذَكَرْتُه ذِكْراً حسنا"(٢)، وقيل: "والذِّكرُ: جري الشيء على لسانك، تقول جرى منه ذِكر"(٣).

الذكر في الاصطلاح: "هو وجود كلمة على جهة التذكير في المعنى الذي يدلّ عليه"(٤).

ومن الأمثلة على أسلوب الذكر في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[البقرة:٧٩].

الذكر في قوله: (يَكْتُبُونَ الكتاب بِأَيْدِيهِمْ) "ذكر الأيدي هنا لدفع توهم المجاز، وللتأكيد بأن الكتابة باشروها بأنفسهم كما يقول القائل: كتبته بيميني، وسمعته بأذني"(٥).

* قال تعالى: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[البقرة: ١٠٥].

الذكر في قوله: (والله يَخْتَصُّ) وقوله: (والله ذُو الفضل) "وفي إسناد الرحمة والفضل إلى اسم الذات. بيان أنهما حقه – تعالى – لذاته، فليس لأحد من عبيده، أدنى تأثير في منحهما ولا في منعهما"(٦)، قال الصابوني: "تصدير الجملتين بلفظ الجلالة... للإيذان بفخامة الأمر"(٧).

---

(١) صفوة التفاسير، الصابوني (١/٨٩).
(٢) جمهرة اللغة، أبو بكر الأزدي (٢/٦٩٤).
(٣) كتاب العين، الخليل الفراهيدي (٥/٣٤٦).
(٤) البحث الدلالي في نظم الدرر (ص:٢٢١).
(٥) صفوة التفاسير، الصابوني (١/٦٤).
(٦) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء (١/١٦٢).
(٧) صفوة التفاسير، الصابوني (١/٧٦).

* قال تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة: ١١٢].

قال الرازي: "وإنما خص الوجه بالذكر لوجوه:

أحدها: لأنه أشرف الأعضاء من حيث إنه معدن الحواس والفكر والتخيل، فإذا تواضع الأشرف كان غيره أولى. **وثانيها:** أن الوجه قد يكنى به عن النفس، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨] **وثالثها:** أن أعظم العبادات السجدة وهي إنما تحصل بالوجه"(١).

وقال الثعالبي: " وإنّما خصّ الوجه لأنّه إذا جاد بوجهه في السّجود لم يبخل بسائر جوارحه"(٢).

وفي قوله: (عِندَ رَبِّهِ) العندية للتشريف ووضع اسم الرب مضافاً إلى ضمير من أسلم موضع ضمير الجلالة لإظهار مزيد اللطف به"(٣).

* قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة:١١٤].

كرر ﷻ ذكر المسند مرتين في قوله (لهم)، فقال: (لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، ولم يقل لهم في الدنيا خزي وفي الآخرة عذاب عظيم؛ وذلك لأن في ذكر المسند توكيد وتثبيت المعنى المقصود في النفس، ... فتكرير المسند (لهم) يشعر بقوة وكمال الجزاءين، ويؤكد أنهم يستحقون العذاب العظيم في الآخرة"(٤).

المطلب الثاني عشر: أسلوب التمني

التمني في اللغة: "تمنّى الشيء: إذا ودَّه لنفسه"(٥)، وقيل: التمني هو "حديث النفس بما يكون وبما لا يكون، قال: والتمني: السؤال للرب في الحوائج،... قال أبو بكر: تمنيت الشيء، أي: قدرته وأحببت أن يصير إلي"(١).

---

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (٦/٤).

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢٥٩/١).

(٣) صفوة التفاسير، الصابوني (٧٩/١).

(٤) انظر: من بلاغة القرآن، أحمد البدوي (ص:٩٦).

(٥) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان اليمني (٦٣٩٣/٩).

التمني في الاصطلاح: "وهو إرادة ما يُعلم أو يُظَن ألا يكون، أَو هو التعلق بحصول أمْر في المستقبل"[٢]، وقيل: "هو الرغبة الشديدة في شيءٍ يقدره الشخص في نفسه"[٣]، وقيل: " هو عبارة عن توقع أمر محبوب في المستقبل، والكلمة الموضوعة له حقيقة هى «ليت» وحدها، وقد يقع التمني «بهل» و«بلو»... وليس من شرط المتمني أن يكون ممكنا بل يقع في الممكن وغير الممكن"[٤].

ومن الأمثلة على أسلوب التمني في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قال تعالى: ﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾[البقرة:٩٦].

في قوله: (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ)، أي يتمنى لو تطول حياته ألف سنة، فـ (لَوْ) "لا تَقع غَالباً إلاَّ بعدَمَا يُفِيدُ التَّمَني نحو وَدَّ وحَبَّ، وتوصَلُ بالماضي والمُضارع المُتَصرِّفَيْن نحو: (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَة)، التَّقْدير: يودُّ تعميرَ أَلْفِ سنة"[٥].

* قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[البقرة:١٠٣].

والتمني في قوله: (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا) و"لو بمعنى التمني كأنه قيل وليتهم آمنوا "[٦]، "وأخبر تعالى أن تمني الموت لا يقع منهم أبدا، وأن امتناعهم من ذلك هو بما قدمت أيديهم من الجرائم، فظهر كذبهم في دعواهم بأنهم أهل الجنة. ثم أخبر ترشيحا لما قبله من عدم تمنيهم الموت، أنهم أشد الناس حرصا على حياة" [٧].

* قال تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[البقرة:١٠٩]، والتمني في قوله: (وَدَّ كَثِيرٌ) أي أن الكثير من أهل الكتاب تمنوا أن

---

(١) تهذيب اللغة، الأزهري، (٣٨٣/١٥).

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء، (٨٠١/٢).

(٣) المصدر السابق: (٩١٧/٢).

(٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيي العلوي (١٦٠/٣).

(٥) معجم القواعد العربية، الشيخ عبد الغني الدقر، (١١٣/٢٥).

(٦) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، النسفي (١١٧/١).

(٧) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان (٥٠٨/١).

يصرفوكم عن التوحيد، ويرجعوكم إلى الكفر، حسدا من أنفسهم لكم، وفي هذا بيان لنفسيتهم الخبيثة التي لا تحب النصح بالخير للمؤمنين"(١).

المطلب الثالث عشر: أسلوب الجملة الاعتراضية

الاعتراض في اللغة:"(عرض) العين والراء والضاد بناء تكثر فروعه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد، وهو العرض الذي يخالف الطول... ويقال: اعترض في الأمر فلان، إذا أدخل نفسه فيه"(٢).

الاعتراض في الاصطلاح: "هو أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى بشيء يتم الغرض الأصلي بدونه ولا يفوت بفواته فيكون فاصلا بين الكلام والكلامين لنكتة، وقيل: هو إرادة وصف شيئين الأول منهما قصدا، والثاني بطريق الانجرار وله تعليق بالأول بضرب من التأكيد"(٣).

الجملة الاعتراضيّة: جملة مُعترِضة؛ جملة تقع بين جُزْأي جملة أخرى، مثل: كان– رحمه الله– رجلاً صالحًا، ولا محل لها من الإعراب"(٤).

وقيل: "هي التي تعترض بين شيئَيْن متلازِمَيْن: "كالمبتدأ والخبر، والفعل ومرفوعه، والفعل ومنصوبه، والشرط وجوابه، والحال وصاحبها، والصفة والموصوف بها، وحرف الجرّ ومتعلَّقه، والقسم وجوابه" وهي جملة لا محلّ لها من الإعراب"(٥).

ومن الأمثلة على الجملة الاعتراضية في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ [البقرة:٨٣].

---

(١) انظر: تفسير المراغي، المراغي (١/١٩٠).
(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/٢٦٩).
(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/٥٦).
(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار وآخرون (٢/١٤٨٢).
(٥) البلاغة العربية، حبنكة الميداني (١/٥٧٤).

قوله تعالى: (وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ) "جملة معترضة أي وأنتم قوم عادتكم الإعراض والتولي عن المواثيق ، ويؤخذ كونه عادتهم من الاسمية الدالة على الثبوت"[(١)].

* قال تعالى: ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٩٥].

قال الطيبي: "الآية جملة معترضة، كقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا﴾[البقرة: ٢٤] وينصره قول الزجاج: "ولتجدنهم" حال من فاعل "قل": المعنى: أنك لتجدنهم في حال دعائهم إلى تمني الموت أحرص الناس على حياة. فالآية معترضة بين الحال وعاملها"[(٢)].

* قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٢].

ففيها اعتراضان:

الاعتراض الأول: في قوله:(وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ) قال ابن عاشور عن هذه الجملة إنها: "جملة معترضة أثار اعتراضها ما أشعر به قوله: (مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ) من معنى أنهم كذبوا على سليمان ونسبوه إلى الكفر فهي معترضة بين جملة واتبعوا وبين قوله: (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ)"[(٣)].

الاعتراض الثاني: في قوله: (وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)، قال ابن عاشور إنها: "جملة معترضة"[(٤)].

* قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة: ١١١].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (٣٩٢/١).

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (٥٨٧/٢).

(٣) التحرير والتنوير (٦٣٠/١).

(٤) المصدر السابق (٦٤٤/١).

قوله تعالى:(تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ) قال الصابوني: "الجملة اعتراضية وفائدتها بيان بطلان الدعوى وأنها دعوة كاذبة"[(١)].

وقال طنطاوي: أنها "جملة معترضة قصد بها بيان أن ما يدعونه من أن الجنة خاصة بهم، ما هو إلا أماني منهم يتمنونها على الله بغير حق ولا برهان، سولتها لهم أنفسهم التي استحوذ عليها الشيطان فخدعها بالأباطيل والأكاذيب"[(٢)].

* قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾[البقرة:١١٦].

الاعتراض في قوله تعالى: (سُبْحَانَهُ) فهذه "جملة اعتراضية وفائدتها بيان بطلان دعوى الظالمين الذين زعموا لله الولد[(٣)]،"وسُبْحانَهُ مصدر معناه تنزيها له وتبرئة مما قالوا"[(٤)]، قال السعدي: "أي: تنزه وتقدس عن كل ما وصفه به المشركون والظالمون مما لا يليق بجلاله، فسبحان من له الكمال المطلق، من جميع الوجوه، الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه"[(٥)].

* قال تعالى:﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[البقرة:١١٩].

قال ابن عاشور عن هذه الآية: إنها "جملة معترضة بين حكايات أحوال المشركين وأهل الكتاب، القصد منها تأنيس الرسول ﷺ من أسفه على ما لقيه من أهل الكتاب مما يماثل ما لقيه من المشركين وقد كان يود أن يؤمن به أهل الكتاب فيتأيد بهم الإسلام على المشركين فإذا هو يلقى منهم ما لقي من المشركين أو أشد"[(٦)].

---

(١) صفوة التفاسير، الصابوني (٧٩/١).

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٢٤٨/١).

(٣) صفوة التفاسير، الصابوني (٨١/١).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٢٠١/١).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص:٦٤).

(٦) التحرير والتنوير (٦٩١/١).

المطلب الرابع عشر: أسلوب الذم

الذم في اللغة: "الذَمُّ: نقيض المدح. يقال. ذممته فهو ذميم"(١)، وقيل: "اللَّوْمُ في الإساءة، ومنه التَذَمُّم، فيقال من التَّذَمُّم: قد قَضَيْتُ مَذَمَّةَ صاحبي، أي أَحْسَنْتُ أن لا أُذَمَّ، ويقال: افعَلْ كذا وكذا وخَلاكَ ذَمٌّ، أي خَلاك لَوْمٌ".(٢)

الذم في الاصطلاح: اللوم والاستصغار والاحتقار الذي يلحق الشيء فيقلل من قيمته.

أسلوب الذم: هو أسلوب يستعمل للتعبير عن ذم الشيء واحتقاره واستصغاره والتنفير منه، ويتألف من ثلاثة أجزاء: المخصوص بالذم، وفعل الذم وفاعله(٣).

ومن الأمثلة على أسلوب الذم في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قال تعالى: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[البقرة: ٩٠].

الذم في قوله تعالى: (بِئْسَمَا اشْتَرَوْا): وبئس فعل يفيد معنى الذم، والمعنى: "بئس شيئًا اشتروا به أنفسهم أن يكفروا"(٤)، "يريد: أنهم اختاروا الكفر وأخذوه، وبذلوا أنفسهم للنار، لأن اليهود، خصوصًا، علموا صدق محمد ﷺ، وأن من كذبه فالنار عاقبته، فاختاروا الكفر وسلموا أنفسهم للنار، فكان ذلك كالبيع منهم"(٥).

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[البقرة:٩٣]

والذم في قوله: (قُلْ بِئْسَما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ) "من باب الأسلوب التهكمي، لأن الأصل في الإيمان ألا يأمر صاحبه بمثل هذا وفي قوله تعالى: (إن كنتم مؤمنين) تشكيك في إيمانهم وقدح

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (١٩٢٥/٥).
(٢) كتاب العين، الفراهيدي (١٧٩/٨).
(٣) انظر: موقع مقال https://mqaall.com.
(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء (١٣٩/١).
(٥) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي (١٧٣/١).

في صحة دعواهم." [(١)] و"المخصوص بالذم محذوف نحو هذا الأمر، أو ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث إلزاماً عليهم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ تقرير للقدح في دعواهم الإيمان بالتوراة، وتقديره إن كنتم مؤمنين بها لم يأمركم بهذه القبائح ولا يرخص لكم فيها إيمانكم بها، أو إن كنتم مؤمنين بها فبئسما يأمركم به إيمانكم بها، لأن المؤمن ينبغي أن لا يتعاطى إلا ما يقتضيه إيمانه، لكن الإيمان بها لا يأمر به، فإذا لستم بمؤمنين." [(٢)]

* قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٢].

والذم في قوله: (وَلَبِئْسَ) والمعنى: "ولبئس هذ الذي باعوا به حظ أَنفسهم من الخير، وهو تعلم السحر والعمل به. ولو كان عندهم علم وعقل، لأدركوا أَن هذا السحر ضار، مفسد للنفس والعقل والناس، ولامتنعوا عن تعلمه والعمل به"[(٣)]، وفي هذه الجملة تأكيد لذم السحر، وجاء التوكيد هنا باللام وبئس، وهو من الأفعال الدالة على الذم، "أي بئس هذا السحر الذي باعوا به أنفسهم، أي أن السحر فوق مضراته الواضحة المفسدة للنفس وللجماعة هو في ذاته أمر مذموم لا يصح أن يطلب في ذاته، ولكنهم يدفعون فيه أغلى الأثمان إذ يدفعون أنفسهم، وعقلهم وإحساسهم وقلوبهم"[(٤)].

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة:١٢٦].

---

(١) الأساس في التفسير، سعيد حوى، (١/١٨٨).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (١/٩٤).

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء، (١/١٥٨).

(٤) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (١/٣٤٥).

والذم في قوله: (وَبِئْسَ) وهو "فعل ماض لإنشاء الذمّ {الْمَصِيرُ} فاعل بئس، والجملة مستأنفة لإنشاء الذمّ، والمخصوص بالذمّ محذوف، تقديره: النار أو عذابها"[(١)].

المطلب الخامس عشر: أسلوب القسم

القسم في اللغة: "القاف والسين والميم أصلان صحيحان، يدل أحدهما على جمال وحسن، والآخر على تجزئة شيء، فالأول القسام، وهو الحسن والجمال، وفلان مقسم الوجه، أي ذو جمال...، والأصل الآخر القسم: مصدر قسمت الشيء قسما، والنصيب قسم بكسر القاف، فأما اليمين فالقسم"[(٢)]، ويقال أيضاً: قَسَمَ بينهم قِسْمةً، والقِسْم: الحظ من الخير ويجمع على أقسام، والقَسَم: اليمين، ويجمع على أقسام، والفعل: أَقْسَمَ"[(٣)].

أسلوب القسم: هو "طريق من طرق توكيد الكلام وإبراز معانيه ومقاصده على النحو الذي يريده المتكلِّم، إذ يؤتى به لدفع إنكار المنكرين أو إزالة شك الشاكِّين".[(٤)]

مكونات أسلوب القسم:

يشتمل أسلوب القسم على ثلاثة مكونات، وهي:

١. **أداة القسم:** هي حروف(الواو، الباء، التاء، اللام)، مثالها: والله، بالله، تالله، ولقد.
٢. **المقسم به:** لابد أن يكون اسما معظما في ذاته، أو في منفعته، أو لعبرة فيه، مثاله: قسم الله ﷻ في ذاته، ومخلوقاته.
٣. **المقسم عليه:** (جواب القسم) هو المقصود تعظيمه، وتوكيده، وبيان عبرته، مثالها: قسم الله ﷻ بالوعد والوعيد.[(٥)]

ومن الأمثلة على أسلوب القسم في الحزب الثاني من سورة البقرة[(١)]:

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، العلوي، الهرري (٢/٢٧٦).
(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/٨٦).
(٣) العين، الفراهيدي (٥/٨٦).
(٤) دراسات في علوم القرآن، محمد بكر اسماعيل (ص:٣١٧).
(٥) انظر: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر اسماعيل (ص:٣١٧-٣٢٣).

* قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة: ٨٧].

(الواو) عاطفة، (اللام) موطئة لقسم محذوف، تقديره: (والله لقد)، (قَدْ) حرف تحقيق وتوكيد، (آتَيْنَا مُوسَى): فعل وفاعل ومفعول به، وجملة (قَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) جواب القسم لا محل لها من الإعراب[٢]، قال أبو السعود هذا "شروعٌ في بيان بعض آخر من جناياتهم وتصديرُه بالجملة القَسَمية لإظهار كمالِ الاعتناءِ به"[٣].

* قال تعالي: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[البقرة: ٩٢].

(الواو) استئنافية، (اللام) موطئة لقسم محذوف، تقديره: (وعزتي وجلالي)، (قَدْ) حرف تحقيق، (جَاءَكُمْ مُوسَى): فعل ومفعول به وفاعل، وجملة (قَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ) جواب القسم لا محل لها من الإعراب[٤]، قال أبو السعود:"واللامُ للقسم أي وبالله لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرةِ التي هي العصا واليدُ والسِّنونَ ونقصُ الثمراتِ والدمُ والطوفانُ والجَرادُ والقُمّلُ والضفادعُ وفلْقُ البحرِ"[٥].

---

(١) يوجد دراسة علمية بعنوان: (تحْليلُ جُمْلةِ القَسَمِ وبيانُ أثرِها على المعنى التفْسيريِّ: دراسة تطبيقية)، هذه الدراسة استهدفت القرآن كله من الفاتحة حتى الناس، وأشرف عليها قسم التفسير، بكلية أصول الدين، في الجامعة الإسلامية، لذلك ستقتصر الباحثة بذكر مثالين.

(٢) انظر: إعراب القرآن الكريم، دعاس (٣٨/١).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٢٦/١).

(٤) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد العلوي (١٠٠/٢).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٣٠/١).

المبحث الثاني

الأساليب التربوية

المطلب الأول: أسلوب القصة القرآنية

القصة في اللغة: " أصل القص: اتباع الأثر، يقال: خرج فلان قصصا في إثر فلان وقصا، وذلك إذا اقتص أثره، وقيل: للقاص يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوقا، يقال: قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء، ومنه قوله: ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾[الكهف:٦٤]، أي: رجعا من الطريق الذي سلكاه فيقصان الأثر"[١]، وقيل: "هِيَ الْأَمر وَالْخَبَر وقصصت الحَدِيث: رويته على وَجهه و ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[يوسف:٣]: أَي نبين لَك أحسن الْبَيَان وقص عَلَيْهِ الْخَبَر قصصا بِالْفَتْح، والقصص بِالْكَسْرِ: اسْم جمع الْقِصَّة"[٢].

القصة القرآنية في الاصطلاح: "هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة".[٣].

وقيل: "إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة – وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه"[٤].

ومن خلال التعريفات السابقة اتضح للباحثة أن القصة القرآنية: هي عبارة عن سرد أحوال وأخبار الأقوام والأمم الماضية لتلمس مواطن العبرة والعظة فيها؛ وذلك لتكون حجة لمن جاء بعدهم من الأمم المخالفة والمعاندة لحكم الله ﷻ، ولقطع الطريق أمام عنادهم وجحودهم.

---

(١) تهذيب اللغة، الأزهري، (٨/٢١١).

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي (ص:٧٣٤).

(٣) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي (٨/٢٥٠).

(٤) مباحث في علوم القرآن، القطان (ص:٣١٦).

إذن يقوم أسلوب القصة القرآنية على التأثير بالقارئ والسامع وتوجيهه إلى الثمرة أو العبرة من القصة، وصرف ذهنه عن إدراك جزئياتها التاريخية المجردة(١).

ومن الأمثلة على أسلوب القصة في الحزب الثاني من سورة البقرة:

قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

* قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ* وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ* وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ* رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة:١٢٣-١٢٩].

وأسلوب القصة في الآيات السابقة الذكر واضح بين، إذ اشتملت هذه الآيات على عدة أمور، والتي من أجلها قص الله ﷻ هذه القصة، فمن أهمها:

الأمر الأول: جرت هذه الآيات على نمط القصص القرآني، والدليل قوله تعالى في بدايتها (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ) وهذا يستلزم "تعظيم الخبر والتنويه به، لما يقتضيه ظرف (إذ) من الإشارة إلى قصة من الأخبار التاريخية العظيمة فيترقب السامع ما يترتب على اقتصاصها"(٢).

الأمر الثاني: أن الله ﷻ لما أمر إبراهيم عليه السلام بعدة أوامر، فقام بها أتم قيام، على وجه الكمال، استحق الإمامة بذلك، وهذا تنبيه من الله ﷻ لأهل الكتاب وغيرهم، بأن الخير في

(١) انظر: من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، البوطي (ص:٩٥).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٧٠٣/١).

الدارين– الدنيا والآخرة– لا ينال إلا بالاستسلام والانقياد لأوامر الله ﷻ وأحكامه، وليس بالجحود والعناد.

الأمر الثالث: أن الإمامة في الدين لا يصل إليها الظالمون مهما قويت شوكتهم.

الأمر الرابع: أن في ذكر قصة إبراهيم عليه السلام توبيخ للمخالفين من أهل الملل؛ وذلك لأن إبراهيم عليه السلام يعترف بفضله جميع الطوائف من المشركين واليهود والنصارى، وذلك لأنهم أولاده وساكني حرمه، فيتشرفون به، فذكر الله ﷻ لهم هذه القصة ليذكرهم بأن ما جاء به إبراهيم عليه السلام من الله ﷻ كالحج واستقبال القبلة، هو نفسه ما جاء به محمد ﷺ فمن الواجب عليهم قبول دعوته، و اتباع ما جاء به، والانقياد لشرعه[١].

إذن قصة إبراهيم عليه السلام كشفت عن مواصفات الشخصية الخالصة لله ﷻ، الشخصية القوية السوية التي ينبغي أن تكون المثل الأعلى والقدوة الحسنة في اتباع تعاليم الإسلام.

"وهكذا يتسق أسلوب القصة القرآنية مع أسلوب القرآن العام في إيراد ما هو معروف من الأحداث لتكون الحجة أقوى وألزم"[٢].

المطلب الثاني: أسلوب التكرار

التكرار في اللغة: "هُوَ مصدر ثلاثي يُفِيد الْمُبَالغَة ك (الترداد) مصدر (رد) عِنْد سِيبَوَيْهٍ، أَو مصدر مزِيد أَصله (التكرير) قلب الْيَاء ألفا عِنْد الكوفية"[٣]، وقيل هو "عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى"[٤].

التكرار في الاصطلاح: "هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى، والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل، أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو الغرض من الأغراض"[٥].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي (٣١/٤).

(٢) التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، دروزة محمد عزت (١٥٢/٣).

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي (ص:٢٩٧).

(٤) التعريفات، الجرجاني (ص:٦٥).

(٥) خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي (٣٦١/١).

إذن أسلوب التكرار: هو استخدام القرآن الكريم للفظة القرآنية أكثر من مرة على سبيل التكرار لتوكيد المعنى المقصود.

ومن الأمثلة على أسلوب التكرار في الحزب الثاني من سورة البقرة:

*قال تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾[البقرة:٧٩].

التكرار في قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكتاب بِأَيْدِيهِمْ)، وقوله: (فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ)، وقوله: (وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ) "للتوبيخ والتقريع ولبيان أن جريمتهم بلغت من القبح والشناعة الغاية القصوى"[١].

قال تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[البقرة:١٢٢].

وقد تكرر تذكير بني إسرائيل بالنعم التي أنعمها الله عليهم في صدر السورة في قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾[البقرة:٤٠]، وفي قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ**﴾[البقرة:٤٧].

ففي الآية "تكرير لتذكير بنى إسرائيل بما سبق أن ذكروا به في صدر الحديث معهم في هذه السورة، وذلك لأهمّيّة ما ناداهم من أجله وأهمية الشيء تقتضي تكرار الأمر به إبلاغا في الحجة وتأكيدا للتذكرة"[٢]، قال ابن عاشور: " أعيد نداء بني إسرائيل نداء التنبيه والإنذار والتذكير على طريقة التكرير في الغرض الذي سيق الكلام الماضي لأجله، فإنه ابتدأ نداءهم أولا بمثل هاته الموعظة في ابتداء التذكير بأحوالهم الكثيرة خيرها وشرها"[٣].

* قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾[البقرة:١٢٣]

---

(١) صفوة التفاسير، الصابوني (٦٤/١).

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي(٢٦٤/١).

(٣) التحرير والتنوير (٦٩٧/١).

وقد تكررت هذه الآية في موضع سابق في الحزب الأول من سورة البقرة في قوله تعالى:﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[البقرة:٤٨].

وقد أعيد ذكر هذه الآية مرتين للتنبيه على نكتة التكرير للتذكير، ولا اختلاف بين الآيتين إلا في الترتيب بين العدل والشفاعة، ففي الآية الأولى قدم لفظ (وَلا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ) وأخر لفظ الشفاعة (وَلا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ) مسندا إليها تنفعها، وفي الآية الثانية قدم لفظ الشفاعة (وَلا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ) وأخر لفظ العدالة (وَلا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ)، وهذا من التفنن في الحديث ليصرف عن السامع والقارئ السآمة والملل من الإعادة مع حصول الغرض من التكرير [١].

* قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[البقرة:١٣٤].

* قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[البقرة:١٤١].

قال القرطبي: "كررها لأنها تضمنت معنى التهديد والتخويف، أي إذا كان أولئك الأنبياء على إمامتهم وفضلهم يجازون بكسبهم فأنتم أحرى، فوجب التأكيد، فلذلك كررها" [٢].

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قالُوا سَمِعْنا وَعَصَيْنا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٩٣].

وفي موضع سابق في الحزب الأول من سورة البقرة قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَرَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:٦٣].

قال الزمخشري في تفسيره للآية الأولى: "وكرّر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الأول مع ما فيه من التوكيد"[٣]، وقال ابن عاشور: "واعلم أن من دلائل النبوة والمعجزات العلمية

(١) انظر: التحرير والتنوير (١/٦٩٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/١٤٧).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/١٦٦).

إشارات القرآن إلى العبارات التي نطق بها موسى في بني إسرائيل وكتبت في التوراة فإن الأمر بالسماع تكرر في مواضع مخاطبات موسى لملأ بني إسرائيل بقوله اسمع يا إسرائيل فهذا من نكت اختيار هذا اللفظ للدلالة على الامتثال دون غيره مما هو أوضح منه وهذا مثل ما ذكرنا في التعبير بالعهد"(١).

المطلب الثالث: أسلوب الدعاء

الدعاء في اللغة: "دعوتُ أَدْعُو دُعاءً فَأَنا داعٍ وَالْمَفْعُول مدعوّ"(٢)، "أَصل الدُّعَاء طلب الْفِعْل دَعَا يَدْعُو"(٣)، يقال: دعوْتُ الله تعالى له ودعوت عليه،... ويكون الدعاء بمعنى الاستغاثة، قال الله تعالى: ﴿**وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ**﴾[البقرة:٢٣](٤).

وقيل الدعاء: "الرَّغْبَةُ إلى الله تعالى، دَعا دُعاءً ودَعْوَى"(٥).

الدعاء في الاصطلاح: "استدعاء العبد ربه –عز وجل– العناية واستمداده إياه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله ﷻ، وإضافة الجود، والكرم إليه"(٦).

وقيل: "الدُّعاءُ الرَّغْبَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فيمَا عنْدَه مِن الخيْرِ والابْتِهال إِلَيْهِ بالسُّؤَالِ؛ وَمِنْه قوْلُه تَعَالَى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾[الأعراف:٥٥]"(٧).

إذن الدعاء: هو الثناء على الله ﷻ، والتضرع إليه بأسمائه وصفاته، لنيل المطلوب والمرغوب من كرمه وجوده وعطفه.

أهمية الدعاء:

(١) التحرير والتنوير (٦١٠/١).
(٢) جمهرة اللغة، أبو بكر الأزدي (١٠٥٩/٢).
(٣) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (٣٨/١).
(٤) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري (٢١٠١/٤).
(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادى(١٢٨٢/١).
(٦) شأن الدعاء، الخطابي (٤/١).
(٧) تاج العروس، مرتضى الزَّبيدي (٤٦/٣٨).

يُعد الدعاء من أهم أساليب التربية القرآنية والنبوية، ففي القرآن قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]، وفي هذه الآية إرشاد وتوجيه من الله ﷻ لعباده أن يلجئوا إليه بالعبادة بالدعاء والرجاء، تعظيما لقدرته واعترافا بغناه واقرارا بفقرهم وحاجتهم لعفوه ومغفرته وكرمه وعطائه وفضله ومنته، فمن عبد الله ﷻ ودعاه قضى حوائجه، ومن استكبر عن عبادته استحق دخول جهنم مرغما محتقرا مهانا ذليلا مستصغرا.

وتتجلى التربية بالدعاء في سيرة النبي ﷺ الذي كان مثالا عظيما في التربية، وهذا واضح في دعائه لابن عباس رضي الله عنهما، ففي الصحيح، (**عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الخَلاَءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا قَالَ: مَنْ وَضَعَ هَذَا فَأُخْبِرَ، فَقَالَ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**)[1]، وفي رواية ثانية قال (**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ**)[2]، وفي رواية أخرى قال: (**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ**)[3]، ففي الدعاء من المعاني التربوية التوجيهية القيمة، ما لا يخفى على ذي عقل سليم.

ومن الأمثلة على أسلوب الدعاء في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ* رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة:١٢٦-١٢٩].

وقد تم الحديث عن هذه الدعوات بالتفصيل في المبحث الأول من الفصل الأول من هذا البحث، فلا داعي للتكرار هنا.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء (٤١/١)، ح(١٤٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «اللهم علمه الكتاب»، (٢٦/١)، ح(٧٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب بَابُ ذِكْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢٧/٥)، ح(٣٧٥٦).

المطلب الرابع: أسلوب الاطراد

الاطراد في اللغة: "التتابع والتسلسل"[1]، "مصدر اطرد الماء.. إذا جرى من غير توقف"[2].

الاطراد في الاصطلاح: " ذكر اسم الممدوح بعينه ليزداد إبانة وتوضيحا على ترتيب صحيح ونسق مستقيم من غير تكلف في النظم ولا تعسف في السبك حتى يكون ذكر الاسم في سهولته كاطراد الماء وسهولة جريه وسيلانه"[3].

وقيل: هو "عبارة عن اسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة به، واسم من أمكن من أبيه وجده وقبيلته، ليزداد الممدوح تعريفًا وشرط أن يكون ذلك في بيت واحد من غير تعسف ولا تكلف ولا انقطاع بألفاظ أجنبية"[4].

" قالوا: من البديع أن يذكر المتكلّم آباءَ من يَتَحَدَّثُ عنه متسلسلة على وفق الترتيب الطبيعيّ الذي هُوَ لَهُمْ، في سلسلة نَسَبِهم، بدءاً من الجدّ الأعلى وتنازلاً إلى الأب المباشر، أو بالعكس، إذا كان له غرضٌ بذكرهم، وسمّوا هذا "الاطّراد"[5].

ومن الأمثلة على أسلوب الاطراد في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قوله تعالى: ﴿**أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[البقرة:١٣٣].

واشتملت هذه الآية على أكثر من فن من فنون البلاغة:

فن الاطراد: " وهو أن يطرد للمتكلم أسماء الآباء المخاطب مرتبة على حكم ترتيبها في الميلاد فقد تجاوز جدهم الأدنى الى جدهم الأعلى لكونه المبتدأ بالملة المتبعة" [6]، وقال ابن عاشور: "

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، حبنكة الميداني (ص:٨١٠).
(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي (٣٥١/١).
(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي العلوي (٥٢/٣).
(٤) خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي (٣٥١/١).
(٥) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، حبنكة الميداني (ص:٨١٠).
(٦) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش (١٩٢/١).

وفي الإتيان بعطف البيان من قولهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ضرب من محسن الاطراد تنويها بأسماء هؤلاء الأسلاف"[١].

"**فن المساواة:** لأن ألفاظ هذا المعنى لا فضل فيها عنه ولا تقصي.

حسن البيان: لأن فيها بيانا عن الدين بأحسن بيان لا يتوقف أحد في فهمه". وفيها أيضا **فن الاحتراس:** لأنه لو وقف عند آبائك لاختلت صحة المعنى لأن مطلق الآباء يتناول من الأب الأدنى الى آدم وفي آباء يعقوب عليه السلام من لا يجب اتباع ملته فاحترس بذكر البدل عما يرد على المبدل منه لو كان وقع الاختصار عليه فتأمل"[٢].

المطلب الخامس: أسلوب الوعظ والإرشاد

الوعظ في اللغة: هو "النُصْحُ والتذكيرُ بالعواقب، تقول: وَعَظْتُهُ وَعْظاً وعِظَةً فاتَّعَظَ، أي قبِلَ المَوْعِظَةَ، يقال: السعيدُ من وُعِظَ بغيره، والشقيُّ من اتعظ به غيره"[٣]، قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: "هُوَ تَذْكِيرُكَ للإنسان بِمَا يُلَيِّن قلبَه مِنْ ثَوَابٍ وعِقاب"[٤]، وَفِي الْحَدِيثِ: **(فلأجعلنك عظة)**[٥]، أَي مَوْعظة وعِبرة لِغَيْرِكَ"[٦]، وقيل الوعظ بمعنى: "التخويف، والعظة الاسم منه"[٧].

الوعظ في الاصطلاح: "هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب"[٨]، وقيل: هو "إهزاز النفس بموعود الجزاء ووعيده"[٩].

الإرشاد في اللغة: "مصدر أرشدَ، يلقي دروس الإرشاد: الوعظ، التوجيه، الهداية"[١٠].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٧٣٣/١).
(٢) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (١٩٢/١).
(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (١١٨١/٣).
(٤) المخصص، ابن سيده (٦٢/٤).
(٥) صحيح مسلم، كتاب الآداب، بابا الاستئذان (١٦٩٥/٣)، ح(٢١٥٣).
(٦) لسان العرب، ابن منظور (٤٦٦/٧).
(٧) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (١٢٦/٦).
(٨) التعريفات، الجرجاني (ص:٢٥٣).
(٩) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص:٣٣٩).
(١٠) معجم الغني، عبد الغني أبو العزم (١٥٥/١).

الإرشاد في الاصطلاح: "توجيه نفسيّ إفراديّ يقدِّمه عالم نفس أو مختصّ بالتربية لفردٍ ما تمكينًا له من حلّ مشكلاته الشخصيَّة أو الفنيَّة أو التربويَّة "(١).

الوعْظ والإرشاد: "مجموعة القواعد والأصول المنهجيَّة التي يقوم عليها تكوين الخُطَب الدِّينيّة وإلقاؤها(٢).

ومن الأمثلة على أسلوب الوعظ والإرشاد في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قال تعالى:﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٢].

قوله: (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) وعظ وإرشاد ذكر على لسان الملكين، حينما أصر بعض الناس على تعلم السحر منهما، فنصحوهم بالابتعاد عن السحر كونه كفرًا.

وقوله: (وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ) وفي هذا وعظ وإرشاد وتنبيه إلى أن السحر وتعلمه يجلب المضرة؛ لما فيه من التمويه والخداع والتلبيس.

* قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة:١٠٤].

وهذا إرشاد من الله ﷻ للمؤمنين أن يتخيروا الألفاظ التي "لَا تثير حولها المرتابين إلى ما يتعدى مقاصدهم، وما يحرفونها عن مقصودها، وأن يتخيروا جميل الألفاظ التي لَا يؤذي جرسها الأسماع"(٣).

* قال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[البقرة:١٠٨].

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار وآخرون (٨٩٤/٢).

(٢) المصدر السابق (٢٤٦٨/٣).

(٣) زهرة التفاسير، أبو زهرة (ص:٣٤٧)

وهذا نصح وإرشاد للمسلمين أن يمتثلوا بما أمرهم به النبي ﷺ وينتهوا عما نهاهم عنه، ولا يسألوه بغير ما جاءهم به.

* قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[البقرة:١٠٩-١١٠].

يرشد الله ﷻ عباده المؤمنين ويحذرهم من اتباع طريق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بحسدهم وعداوتهم، مع علمهم بفضل النبي ﷺ وأمته، ويوعظ الله ﷻ عباده المؤمنين ويأمرهم بالصفح والعفو والصبر، حتى يأتي الفتح من عند الله، ويحثهم ويأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة(١).

* قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٢].

والوصية من الأساليب الرفيعة في الوعظ والإرشاد والنصيحة، فإبراهيم ويعقوب عليهما السلام يوصيان أبناءهم من بعدهم باتباع التوحيد والموت عليه.

المطلب السادس: أسلوب الإشهاد والشهادة

الإشهاد في اللغة: "مصدر أشهد بمعنى: الإعلان والإظهار، وأشهدته على كذا فشهد عليه: أي صار شاهدا، وأشهدني عقد زواجه: أي أحضرني(٢)، "أشهده على الشيء فشهد، قال الله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ﴾[البقرة:٢٨٢]"(٣).

الإشهاد في الاصطلاح: "إظهار المشهود عليه للشاهدين مع طلب الشهادة، وقد لا يظهر لغيرهما، وعلى هذا المعنى فلا يكون الاستشهاد إعلانا، لأن الإعلان إظهار للملإ"(٤).

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/٣٨٢).

(٢) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد المنعم (١/١٩٧).

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري (٦/٣٥٧١).

(٤) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د محمود عبد المنعم (١/١٩٧).

قال ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ** ﴾ [البقرة:٢٨٢]، قال: "واستشهدوا بمعنى أشهدوا، فالسين والتاء فيه لمجرد التأكيد، ولك أن تجعلهما للطلب أي اطلبوا شهادة شاهدين، فيكون تكليفا بالسعي للإشهاد وهو التكليف المتعلق بصاحب الحق"[١].

الشهادة في اللغة: مصدر شهد، بمعنى: "الإخبار بما قد شوهد أي مشاهدة عيان أو مشاهدة إيقان والشهود الحضور.... والاستشهاد أيضا طلب الشهادة وسؤالها"[٢].

الشهادة في الاصطلاح: "الشهادة حقيقتها الحضور والمشاهدة،... وتطلق الشهادة أيضا على الخبر الذي يخبر به صاحبه عن أمر حصل لقصد الاحتجاج به لمن يزعمه، والاحتجاج به على من ينكره"[٣].

ومن الأمثلة على أسلوب الإشهاد والشهادة في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ**﴾[البقرة:٨٤].

(وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) "من الشهادة، أي شهداء بقلوبكم على هذا، وقيل: الشهادة بمعنى الحضور، أي تحضرون سفك دمائكم، وإخراج أنفسكم من دياركم"[٤].

قالت بنت الشاطئ: "ملحظ الإلزام في الإقرار واضح، فاحتاج إلى الإشهاد عليه وكان نقضه بعد إقراره ، إثماً وعدواناً وفسقاً"[٥].

* قال تعالى: ﴿**أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[البقرة:١٣٣].

"وشهداء جمع شاهد...، وتكون جمع شهيد، والمعنى...أكنتم حاضرين الوقت الماضي الذي حضر فيه يعقوبَ الموتُ، أي كنتم حاضرين الوقت الذي بدت فيه على يعقوب أمارات الموت"[١].

---

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ابن عاشور (١٠٥/٣).

(٢) طلبة الطلبة، النسفي، (ص:١٣٢).

(٣) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ابن عاشور، (١٠٦/٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٨/٢).

(٥) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) (ص:٤٠٥).

* قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:١٤٠].

يقول ابن الجوزي: "وفي الشهادة التي كتموها قولان: أحدهما: أن الله تعالى شهد عندهم بشهادة لإبراهيم ومن ذكر معه أنهم كانوا مسلمين، فكتموها، قاله الحسن، وزيد بن أسلم، والثاني: أنهم كتموا الإسلام وأمر محمد وهم يعلمون أنه نبيّ ودينه الإسلام"(٢).

المطلب السابع: أسلوب التربية بالترغيب والترهيب

الترغيب في اللغة: "رغَّبه في الشيءِ فرغب فيه"(٣)، "الترغيب بالشيء: الإغراء به، غرس الحرص عليه في النفس"(٤).

الترغيب في الاصطلاح: "كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه"(٥).

الترهيب في اللغة: "من رهب، إذا خاف"(٦)، "ترهيب الولد: تخويفه، تفزيعه"(٧).

إذن الترهيب في اللغة يحمل معاني: التهديد، التحذير، التخويف، الوعد، الوعيد.

الترهيب في الاصطلاح: "كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"(٨).

إذن الأصل في الترغيب: الحرص على نيل مرضاة الله ﷻ ومغفرته وجزيل ثوابه في الآخرة، والأصل في الترهيب التحذير والتخويف من غضب الله ﷻ وعقابه العظيم الأليم في الآخرة(٩).

---

(١) زهرة التفاسير، أبو زهرة (٤١٨/١).

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (١١٧/١).

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري (٢٥٦٤/٤).

(٤) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي (ص:١٢٨).

(٥) أصول الدعوة، زيدان، (ص:٤٩٢).

(٦) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي (ص:١٢٣).

(٧) معجم الغني، (١٥٣/٣).

(٨) أصول الدعوة، زيدان، (ص:٤٩٢).

(٩) انظر: أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، عمر باحاذق (ص:١٢٩).

قال زيدان: "ومع أن الأصل في الترغيب والترهيب يكون بالجزاء في الآخرة، فانه يجوز أن يكون بما يصيب المدعوين في الدنيا من خير في حالة استجابتهم وما يصيبهم من شر في حالة رفضهم، على أن لا يغفل الداعي أبداً عن الترغيب والترهيب بالجزاء في الآخرة"[١].

قال حبنكة: "أسلوب الترغيب... في الغالب يلائم معظم النفوس الإنسانيّة، لما أودع الله فيها من مطامع، وأسلوب الترهيب كأسلوب الترغيب يلائم في الغالب معظم النّفوس الإنسانية، لما أودع الله فيها من حذر وخوف"[٢].

قال الزمخشري: "من عادته ﷻ في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب، ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط، لاكتساب ما يزلف، والتثبيط عن اقتراف ما يتلف"[٣].

وقال الشاطبي: " إذا ورد في القرآن الترغيب قارنه الترهيب في لواحقه أو سوابقه أو قرائنه، وبالعكس"[٤]، ومن الملاحظ أن القرآن الكريم مليء بما يشوق ويرغب ويوجه الناس إلى استجابة دعوة الحق والثبات عليها، وإلى ما فيه مصلحتهم وخيرهم في الدنيا والآخرة، كما أنه مليء بما يخوف ويحذر الناس من اتباع طرق الشيطان التي تؤدي بهم إلى الكفر والضلال.

ومن الأمثلة على أسلوب الترغيب والترهيب في الحزب الثاني من سورة البقرة:

* قوله تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[البقرة: ١٠٩-١١٠].

والترغيب في قوله تعالى: (**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا**)، قال الشوكاني: "والعفو: ترك المؤاخذة بالذنب، والصفح: إزالة أثره من النفس، صفحت عن فلان: إذا أعرضت عن ذنبه، وقد ضربت عنه صفحا: إذا أعرضت عنه، وفيه الترغيب في ذلك والإرشاد إليه"[٥].

---

(١) أصول الدعوة (ص:٤٩٣).

(٢) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (ص:٥١).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/١٠٤).

(٤) الموافقات (٤/١٦٧).

(٥) فتح القدير (١/١٤٩).

وفي قوله تعالى: (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ)، ففيها الترغيب والتشويق في فعل الخيرات، فالإنسان سيجد ثوابه وجزاءه عند حاجته إليه محفوظا عند الله ﷻ لا محالة، فكل ما يقدم الإنسان من خير مرده لنفسه، والعكس لو قدم شرا.

* قوله تعالى:﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[البقرة:١١٩].

الترغيب في الآية بتبشير المؤمنين بخيري الدنيا والآخرة، والترهيب بتخويف المعاندين من عذاب الله ﷻ.

* قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:١٤٠].

وفي هذه الآية ترهيب وتهديد ووعيد لأهل الكتاب الذين كتموا الشهادة ودعوا إلى الباطل وزعموا الهداية، وصرفوا الناس عن حقيقة الدين، فالله ﷻ يخبرهم بأنه محيط بأعمالهم، وسيعاقبهم عليها أشد العقاب(١).

(١) انظر: الأساس في التفسير، حوى (١/٢٨٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبجوده ومنه وفضله تقضى الحاجات، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، خير خلق الله، محمد رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، وبعد:

وفي نهاية رحلتي الممتعة التي عشتها في إطار هذه الدراسة، وقبل أن أضع عن كاهلي هذا الحمل الممتع، كان لابد لي من أن ألخص هذه الرحلة في سطور من النتائج والتوصيات المهمة:

أولًا: أهم النتائج

١. سورة البقرة مدنية باتفاق، وهي أول سورة أنزلت بالمدينة، وفيها آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ، وهي أطول سور القرآن على الإطلاق، ومحورها الذي جاءت من أجله: (خلافة الله ﷻ في الأرض بين الجماعة المسلمة والجماعة المعادية للإسلام وأهله، وتوجيه وإرشاد الجماعة المسلمة من العثرات التي كانت سببًا في صرف الجماعة الأخيرة عن الإيمان).

٢. حوت سورة البقرة الكثير من التوجيهات التربوية التي لها الأثر العظيم في حياة المسلمين.

٣. الدعوة للتحرر من الأهواء والشهوات، وتحذير الأمة الإسلامية من اتباع الشخصية اليهودية المنحرفة، التي تم الكشف عنها في هذه الدراسة.

٤. أبرزت سورة البقرة السمات النفسية والعقدية لبني إسرائيل، وكانت تلك السمات أكثر وضوحًا في قصة البقرة فسميت السورة باسمها.

٥. العبادات على كثرتها ترجع إلى أربعة أنواع: عبادات قلبية وقولية وبدنية ومالية، وكل نوع من هذه الأنواع لا يستحقها إلا الله ﷻ وحده، فمن صرفها لغير الله تعالى فقد أشرك به.

٦. العبودية لله ﷻ تحرر الإنسان من مظاهر الشرك، وتحرره من العبودية لأهوائه وشهواته، كما وتحرره من العبودية للأشخاص.

٧. الإمامة في الدين منزلتها عظيمة، لا ينالها إلا المتقون الصابرون الصادقون السالكون سبيل المهتدين.

٨. بطلان دعاوى اليهود والنصارى في اصطفائهم واجتبائهم، بحجة أنهم أبناء إبراهيم ﷺ ووَرثته؛ فقد سقطت عنهم الوراثة منذ انحرافهم عن ملته.

٩. الإخلاص وموافقة الشرع شرطان لقبول الأعمال الصالحة عند الله ﷻ.

١٠. الشخصية اليهودية، شخصية متكبرة، ماكرة، معاندة، تأبى قبول الحق، والخضوع إليه؛ وهي شديد الإقبال على الباطل.

١١. الوعيد الشديد لكل من حرف كتاب الله ﷻ، فبدل وغير وزاد فيه، وأفتى الفتاوى الباطلة التي تحرم ما أحل الله، أو تحلل ما حرم الله، فكل من ابتدع في الدين ما ليس منه، فهو داخل تحت هذا الوعيد الشديد.

١٢. بيان خطر الذنوب، والدعوة إلى تكفيرها بالتوبة والاستغفار والأعمال الصالحة، قبل أن تحيط بالقلب كالسياج فتحجبه عن التوبة.

١٣. بيان أن من مات على الشرك، لا يقبل منه الفداء، ولا تنفعه شفاعة الشافعين، فلا يخرج من النار ولا يخفف عنه العذاب.

١٤. بيان أن شكر الله ﷻ على النعم يقابلها الزيادة في النعم، وأن الجحود بنعم الله ﷻ ونكرانها والكفر بها يقابلها سلب النعم.

١٥. التحذير الشديد من الحسد، وبيان أنه من أعظم صفات اليهود، والأمر بتجنبه والابتعاد عنه.

١٦. وجوب ضبط الأهواء والشهوات بميزان الشرع المتمثل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

١٧. عمل السحر وتعليمه وتعلمه حرام شرعًا، ولا يتضرر المسحور بالسحر إلا إذا كان ذلك مقدر له عند الله ﷻ.

١٨. أهل اليقين هم أكثر الناس تصديقًا، وإيمانًا، وانتفاعًا، وعملًا بآيات الله ﷻ.

١٩. الأمن بكافة أنواعه، النفسي والوطني والاقتصادي والعسكري والفكري، مطلب أساس في حياة الأفراد والجماعات والدول، إذ بدون أمن يتشتت الأفراد وتتفرق الجماعات، وينعدم الاستقرار.

ثانيًا: أهم التوصيات

١. أوصي نفسي أولا، ثم أوصي كل مسلم ومسلمة بتقوى الله ﷻ والعملِ بشريعتِهِ والاستِنَانِ بِسُنَّةِ نبيِّهِ محمد ﷺ، قال الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[التوبة:١١٩] فالتقوى خير وصية وخير زاد.

٢. أوصي الأمة الإسلامية عامة، وطلبة العلم الشرعي خاصة إلى الامتثال لتوجيهات وإرشادات القرآن الكريم في مختلف شؤون حياتهم.

٣. أوصي الباحثين في سلك القرآن وعلومه أن ينهلوا من ينابيع القرآن وتوجيهاته التربوية التي لا تنضب ولا تبلى.

٤. أوصي الدعاة والوعاظ وطلبة العلمي الشرعي باغتنام وسائل التواصل الاجتماعي التي استحوذت على عقول كثير من الناس وخاصة الشباب، في الدعوة إلى الله ﷻ من خلال نشر وتفعيل التعاليم والتوجيهات التربوية القرآنية، التي تعود بالنفع والخير العظيم عليهم في الدنيا والآخرة.

٥. أوصي الآباء والأمهات، وجميع المربين في سلك التعليم وغيره، بغرس وتعزيز القيم التربوية الإسلامية في نفوس الأجيال، لإخراج جيل على منوال السلف الصالح متمسك بدينه وعقيدته الإسلامية، وفق ضوابط ومعايير وتوجيهات وإرشادات القرآن الكريم.

هذا ما تيسر إيراده، وتهيأ إعداده، وأعانني الله على كتابته، وقد سعيت فيما توفر لي من جهد على أن أجمع كل ما يفيد هذه الدراسة وربطها بالواقع المعاش قدر الإمكان، ولا يسعني في النهاية إلا أنا أسير على درب السابقين بقولهم: ما كان في هذا العمل من توفيق فمن الله وحده، وما كان فيه من زلل فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي.

٢. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.

٣. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٤. الأساس في التفسير، سعيد حوّى، الناشر: دار السلام – القاهرة، ط٦، ١٤٢٤ هـ.

٥. أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر.

٦. أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق: ماهر الفحل.

٧. الاستقامة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٣.

٨. أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار الاعتصام – القاهرة، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا.

٩. أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، عمر محمد عمر باحاذق.

١٠. أصول التربية الإسلامية، مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة.

١١. أصول الدعوة، الدكتور عبد الكريم زيدان.

١٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت– لبنان، ١٤١٥ هـ– ١٩٩٥مـ.

١٣. الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، دار النشر : المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

١٤. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، ط٣.

١٥. إعراب القرآن الكريم، قاسم حميدان دعاس، دار المنير . دار الفارابى– دمشق، ١٤٢٥هـ.
١٦. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية– حمص– سورية(دار اليمامة– دمشق– بيروت)(دار ابن كثير– دمشق– بيروت) ط٤، ١٤١٥ هـ.
١٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٤١٨ هـ.
١٨. أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط٦، رمضان ١٣٨٣ هـ– فبراير ١٩٦٤م.
١٩. الإيضاح في علوم البلاغة، بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل– بيروت، ط٣.
٢٠. بحر العلوم . موافق للمطبوع، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار النشر: دار الفكر – بيروت.
٢١. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.
٢٢. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٢٣. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، ط١ ، ١٣٧٦هـ– ١٩٥٧م.
٢٤. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.
٢٥. البلاغةُ الواضِحَةُ، علي الجارم و مصطفى أمين، جمعه ورتبه وعلق عليه ونسقه : علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة.
٢٦. بيان المعاني، ملا حويش آل غازى عبد القادر، مطبعة الترقى– دمشق، ١٣٨٢هـ.

٢٧. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، دار الهداية.
٢٨. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤هـ.
٢٩. التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد.
٣٠. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ..
٣١. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٢. التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١ ١٤٣٠هـ.
٣٣. تفسير الجلالين – المحلي والسيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث – القاهرة، ط١.
٣٤. تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب– جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.
٣٥. تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم.
٣٦. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٣٧. تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

٣٨. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

٣٩. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب' دار الفكر العربي – القاهرة.

٤٠. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

٤١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ.

٤٢. التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد– بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ.

٤٣. التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر).

٤٥. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٤٦. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى السيد محمد + محمد السيد رشاد + محمد فضل العجماوي + علي أحمد عبد الباقي، دار النشر : مؤسسة قرطبة + مكتبة أولاد الشيخ.

٤٧. تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضى، دار الأضواء، بيروت.

٤٨. تلوين الخطاب لابن كمال باشا دراسة وتحقيق، أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين، عبد الخالق بن مساعد الزهراني، الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، ط: السنة ٣٣ – العدد (١١٣) ١٤٢١هـ.

٤٩. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٥٠. التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية المنهج والمجالات، مجموعة مؤلفين: (د. إبراهيم رجب- أحمد بشير- السيد عفيفي...)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦م.
٥١. التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي.
٥٢. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: عالم الكتب عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٥٣. تيسير التفسير، إبراهيم القطان.
٥٤. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.
٥٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي.
٥٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
٥٧. التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.
٥٨. جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
٥٩. الجامع الكبير- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ١٩٩٨م.
٦٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط١، ١٤٢٢هـ.
٦١. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٦٢. الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ.
٦٣. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين– بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٦٤. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، تحقيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.
٦٥. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر– بيروت، ط١، ١٤١١.
٦٦. حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة، عواد بن عبد الله المعتق، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: السنة ٣٤ – العدد ١١٥ – ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م.
٦٧. الخلاصة في أصول التربية الإسلامية، علي بن نايف الشحود الباحث في القرآن والسنة، ط١، ١٤٣٠ هـ– ٢٠٠٩م.
٦٨. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، القلم، دمشق.
٦٩. الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي المعروف بـ «ابن المبرد»، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار المجتمع للنشر، جدة– المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١١ هـ– ١٩٩١م.
٧٠. دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، دار المنار، ط٢، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م.
٧١. دَرْجُ الدُّرر في تَفِسيِر الآيِ والسُّوَر، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

٧٢. ذم الهوى، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: محمد الغزالي.

٧٣. رسالة دكتوراة (سورة البقرة، دراسة أسلوبية بلاغية)، صدقية الطراونة، إشراف الدكتور: زهير المنصور، جامعة مؤتة، ٢٠١٠م.

٧٤. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء، دار الفكر – بيروت.

٧٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٧٦. روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– عمان، ط٣، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٧٧. زاد المسير في علم التفسير، الامام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي القرشي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفكر بيروت لبنان، ط١، جمادى الاولى ١٤٠٧ هـ– كانون الثاني ١٩٨٧م.

٧٨. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي.

٧٩. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا– بيروت.

٨٠. شأن الدعاء، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، تحقيق، أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، ط١، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م.

٨١. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

٨٢. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت– لبنان)، دار الفكر (دمشق– سورية، ط١، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

٨٣. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، الناشر: محمد بيضون، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٨٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.
٨٥. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.
٨٦. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، القاضي/حسين بن محمد المهدي – عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، راجعه: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي، الناشر: سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة٢٠٠٩م. ط١، ١٤٢٣هـ.
٨٧. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله، الناشر: المكتبة العنصرية– بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
٨٨. طلبة الطلبة، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد.
٨٩. العبودية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٧، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٩٠. العسكرية الإسلامية، وقادتها العظام، بهاء الدين أسعد وجمال الخلفات، مكتبة المن– الأردن– الزرقا، مكتبة المهتدين الإسلامية، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٩١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٩٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، مصدر الكتاب : موقع الوراق.
٩٣. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ..

٩٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود- مجدي بن عبد الخالق الشافعي، وآخرون، ، تحقيق: دار الحرمين – القاهرة، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

٩٥. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

٩٦. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م.

٩٧. فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار البشائر- بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٧م.

٩٨. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، دار ركابي للنشر- الغورية، مصر، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

٩٩. في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي-لبنان- بيروت، ،ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٠٠.في ظلال القرآن للسيد قطب، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: علي بن نايف الشحود.

١٠١.القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

١٠٢.كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ.

١٠٣.كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٠٤.كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى العسكري.
١٠٥.كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٠٦.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
١٠٧.الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش– محمد المصري، مؤسسة الرسالة– بيروت.
١٠٨.الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.
١٠٩.لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١١٠.لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار إحياء العلوم – بيروت.
١١١.اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج، دار الفكر – دمشق، ط١، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م.
١١٢.لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١١٣.لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط٣.
١١٤.مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، ط٤، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١١٥.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٢٠هـ.

١١٦.مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١١٧.محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي.

١١٨.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- لبنان، ط١، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م.

١١٩.المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، الدمام- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦ م.

١٢٠.المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٠م.

١٢١.مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٢٢.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

١٢٣.مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع - بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٢٤.المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢٥.مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، المكتبة العتيقة ودار التراث.

١٢٦.معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

١٢٧.معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق، : عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

١٢٨.معجم الغني، عبد الغني أبو العزم.

١٢٩.معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٣٠.معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر، دار الفضيلة.

١٣١.المعجم الوسيط . موافق للمطبوع، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار الدعوة.

١٣٢.معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي- حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

١٣٣.معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة - بيرو، ١٣٧٧ - ١٣٨٠ هـ.

١٣٤.معجم مصطلح الأصول، (تعريفات لغوية- شروحات لكتب الأصول- نبذات تاريخية)، هيثم هلال (معاصر)، تحقيق: محمد ألتونجي، دار الجيل- بيروت، ط١، ٢٠٠٣م- ١٤٢٤هـ.

١٣٥.معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب- القاهرة / مصر، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١٣٦.معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٣٧.المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، الناشر: مكتبة القاهرة.

١٣٨.مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط٣- ١٤٢٠هـ.

١٣٩.المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية، ط١، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

١٤٠.المفَصَّلُ في موضوعات سور القرآن، جمع وإعداد :علي بن نايف الشحود.

١٤١.مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.

١٤٢.المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢.

١٤٣.موسوعة الشعر الإسلامي، جمعها وأعدها : علي بن نايف الشحود.

١٤٤.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٤٥.النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط، ١٩٧٦م.

١٤٦.النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

١٤٧.النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٤٨.نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣/٠١/٣٠.

١٤٩.الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

١٥٠.الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

الفهارس العامة

الفهارس العامة

أولًا: فهرس أطراف الآيات القرآنية

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا ...﴾	٧٦	٥٢، ١١٤، ١٤١
﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾	٧٧	٥٣، ١١٤، ١٤١، ١٤٧، ، ١٥٣، ١٥٥
﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ...﴾	٧٨	٥٢، ١٠٧، ١٥٨، ١٦٦
﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ...﴾	٧٩	٥٣، ١٠٨، ١٣٦، ١٨٤، ١٩٧
﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ... ﴾	٨٠	٥٤، ١١٠، ١٤٤، ١٦٦، ١٧٨، ١٨١
﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ...﴾	٨١	٤٦، ٥٤، ١٦٥، ١٧٥
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ... ﴾	٨٢	٤٦,٤٧، ٥٤
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ... ﴾	٨٣	٢٦، ٥٥، ٧٧، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ١٤٧، ١٥٨، ١٨٠، ١٨٨
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ...﴾	٨٤	٥٦، ١٣٢، ٢٠٦
﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ... ﴾	٨٥	٥٦، ١٣٢، ١٤٢، ١٧٠
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ...﴾	٨٦	٤٣، ٥٦، ١٥٣، ١٥٥
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ... ﴾	٨٧	٥٩، ٦٧، ٩٠، ١٤٢، ١٤٧، ١٥٩، ١٩٣
﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾	٨٨	٥٩، ٦٦، ٩٠، ١٥٩، ١٦٨،

		١٧٦
﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ... ﴾	٨٩	٦١، ٦٥، ١٣٤
﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ... ﴾	٩٠	٦١، ٦٦، ٩٣، ١٣٤، ١٨٢، ١٩٠
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ... ﴾	٩١	٦٥، ٦٧، ١٣٤، ١٥١، ١٨٢
﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾	٩٢	٦٧، ١٩٣
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ...﴾	٩٣	٦٧، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٢، ١٩١، ١٩٩
﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾	٩٤-٩٥	٦٩، ١٨٨
﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ... ﴾	٩٦	٦٩، ١٤٨، ١٧٠، ١٨٦
﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾	٩٧	٦٠، ١٣٤
﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾	٩٨	٦٠، ١٣٤، ١٤٨
﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾	٩٩	٦٢، ٦٣، ١٦٤، ١٣٤، ١٦٦
﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	١٠٠	٥٨، ١٣٠، ١٤٢
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ...﴾	١٠١	٥٨، ١٧١
﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ... ﴾	١٠٢	٦٣، ٩٧، ٩٨، ١١٠، ١٥٤،

		١٥٥، ١٦٧، ١٧١، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٨، ١٩١، ١٩٦، ٢٠٤
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ...﴾	١٠٣	٦٣، ١٧١، ١٨٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا...﴾	١٠٤	٩١، ١٦٢، ١٨٠، ٢٠٤
﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ...﴾	١٠٥	٩٢، ٩٤، ١٨٥
﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	١٠٦	٧٩، ١٠٠، ١٠١، ١١٦، ١٤٥
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾	١٠٧	١٠١، ١١٦، ١٥٤، ١٥٥
﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾	١٠٨	٩٥، ١٤٢، ١٥٥، ٢٠٤
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ...﴾	١٠٩	٦٦، ٩٣، ١٥٦، ٢٠٨
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	١١٠	٧٦، ٢٠٨
﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	١١١	٦٨، ١٦٧، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٩
﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	١١٢	٤٨، ٦٩، ٧٨، ٨٥، ١٢٣، ١٥٢، ١٦٠، ١٧٧، ١٨٥
﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى	١١٣	٦٨، ١٧٢

لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ...﴾		
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ... ﴾	١١٤	١٠٣، ١٢٧، ١، ٤٥، ١٦٧، ١٧٢، ١٨٥
﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ...﴾	١١٥	١٠، ١٠٤، ١٢٤، ١٤٨، ١٥٦، ١٦٩
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾	١١٦	١٢٤، ١٥٦، ١٨٣، ١٨٩
﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	١١٧	١٢٤، ١٥٦، ١٦٨
﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	١١٨	٧٢، ٧٣، ٩٥، ١١٩، ١٧٢
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾	١١٩	٤٠، ٤٦، ٧٣، ١٩٠، ٢٠٨
﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى...﴾	١٢٠	٢٨، ٨٩، ١٠٦، ١٦٥، ١٧٢
﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	١٢١	١٠٦
﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	١٢٢	٨٠، ١٦٢، ١٩٨
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ...﴾	١٢٣	٨١، ١٩٥، ١٩٨
﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ... ﴾	١٢٤	٣٤، ١٤٨، ١٩٥
﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ...﴾	١٢٥	٣٥، ١٢٥، ١٤٩، ١٧٣، ١٩٥
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ...﴾	١٢٦	٣٧، ١٢٧، ١٢٨،

		١٦١، ١٦٣، ١٩٢، ١٩٥، ٢٠١
﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	١٢٧	٣٨، ٣٩، ١٤٩، ١٩٥، ٢٠١
﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ...﴾	١٢٨	٣٩، ٤٠، ١٦٩، ١٩٥، ٢٠١
﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	١٢٩	٤٠، ١١٢، ١٦٣، ١٩٥، ٢٠١
﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ ...﴾	١٣٠	٣٠، ٣١، ، ١٤٣، ١٥٠، ١٦٧، ١٧٧، ١٨٣
﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١٣١	٣٢، ١٦٠
﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ...﴾	١٣٢	٣٣، ١٢٤، ١٦٨، ١٨١، ٢٠٥
﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي...﴾	١٣٣	٣٣، ١٤٣، ١٤٩، ١٧٣، ١٧٨، ٢٠٢، ٢٠٦
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ...﴾	١٣٤	٤٥، ١٦٥، ١٩٩
﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا... ﴾	١٣٥	٢٩، ١٦٠، ١٨٣
﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ...﴾	١٣٦	٢٠، ٢٩، ٣٢، ١٧٩
﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ...﴾	١٣٧	٤٣، ١٢٤، ١٨٤
﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾	١٣٨	١٢٤، ١٤٣، ١٥٠، ١٧٨
﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ... ﴾	١٣٩	٢٩، ٣٢، ١٤٣

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ...﴾	١٤٠	٣٠، ٣٢، ١٤٣، ٢٠٦، ٢٠٨
﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	١٤١	٣٢، ١٩٩
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾	١٥٢	
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾	١٥٥	١٣٠
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ ...﴾	١٥٦	١٠٦
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا...﴾	١٦٥	٢٤
﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾	١٧٧	٤١
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...﴾	١٨٦	٣٦
﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ...﴾	٢٦٥	١١١
﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾	٢٨٠	١٦
﴿وَأَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ﴾	٢٨٢	٢٠٥
﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ* لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	٢٨٥-٢٨٦	١٧
آل عمران		
﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾	٣	١٩
﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ...﴾	٧	١٩
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ...﴾	٩	١٥٨
﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ...﴾	٢٠	٧٨
﴿ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرانِيًّا* وَلكِنْ كانَ حَنِيفاً ...﴾	٦٧	٣٠
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ... ﴾	٨٥	٧٠
﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾	٩٧	١٢٧

﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ ...﴾	١٠٥	٩٠
﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾	١٠٦	١٤٦
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ... ﴾	١٤٤	١٦٦
﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا...﴾	١٦٥	١١١
﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ ...﴾	١٩٩	٢٠
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٢٠٠	٢٠
النساء		
﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...﴾	٦٥	٧٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا*أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾	١٥٠- ١٥١	٤٢
﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ...﴾	١٥٣	٩٦
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ...﴾	١٢٤	٤٩
المائدة		
﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُم بِهِ...﴾	٧	٧٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾	١٠١، ١٠٢	٩٤
الأنعام		
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ...﴾	٣٢	١٢٢
﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	٧٨-٧٩	٣١
﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ...﴾	١٠١	٧١
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...﴾	١٥٣	٨٨
﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لاَ	١٦٢- ١٦٣	٥٠

شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾		
الأعراف		
﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	٢٩	١٥٨
﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾	٥٥	٢٠٠
﴿واكتب لَنَا فِي هذه الدنيا حَسَنَةً وَفِي الآخرة إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عذابى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزكاة والذين هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الذين يَتَّبِعُونَ الرسول النبى الأمى... ﴾	١٥٦- ١٥٧	٧٠
﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾	١٨٢	١٢٩
الأنفال		
﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ...﴾	٢٣	٧٣
﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ* فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ ...﴾	٥٥-٥٧	١٣٦
التوبة		
﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ...﴾	١٨	١٠٢
﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا ...﴾	٣٤	٢٤
﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ﴾	١٠٠	٨٣
يونس		
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ... ﴾	١٠٨	٤٥
يوسف		
﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...﴾	٣٧	٢٨
الرعد		
﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾	١١	١١١
إبراهيم		
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ... ﴾	٧	٨١
﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾	٣٤	٧٩

﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾	٤٣	٨٧
الحجر		
﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾	٤٦	١٢٢
﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾	٩٩	١١٧
النحل		
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ... ﴾	٣٦	٢٣
﴿إِنَّ اللَّهَ يأْمرُ بالعَدْلِ والإِحْسانِ﴾	٩٠	٨٣
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾	٩٧	٢٥
﴿وَإِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ ...﴾	١٠١	١٠٠، ١٠١
﴿وَضَرَبَ اللَّـهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً...﴾	١١٢	١٢٦، ١٢٩
﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾	١٢٠- ١٢٢	٢٧
الإسراء		
﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ....﴾	٩	١
اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾	١٤	٤٥
﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ...﴾	١٥	٤٥
﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾	٣٤	١٣٠
﴿جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً﴾	٨١	
﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾	٩٠	٩٦
الكهف		
﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ...﴾	١١٠	٢٥
مريم		
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا* تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا* أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا* وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا* إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ	٨٨-٩٥	٧١

وَعَدَّهُمْ عَدًّا* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾		
طه		
﴿اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً ...﴾	٤٣-٤٤	٨٧
الأنبياء		
﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ ...﴾	**٢٥**	**٢٦**
النور		
﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ...﴾	٣٦	١٠٢
الفرقان		
﴿ وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ...﴾	٤٨	١٥٧
النمل		
﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ...﴾	١٤	١١٩
﴿ وَعَدَ اللَّه الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...﴾	٥٥	١٣٣
﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ...﴾	٧٨	١٥٨
القصص		
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾	٥٠	٨٨
﴿ يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾	٥٧	١٢٩
العنكبوت		
﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً﴾	٨	٨٣
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنَ حَوْلِهِمْ* أَفَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾	٦٧	٣٧، ١٢٦
الروم		
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾	٣٠	١٠
لقمان		
﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى ... ﴾	١٤	٨٥
الأحزاب		
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...﴾	٣٦	٧٧

فاطر		
﴿الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾	٩	١٥٨
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾	١١٨	٤٥
﴿... وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾	٢٤	٤٦
يس		
﴿وَمَا لِىَ لا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون﴾	٢٢	١٥٧
غافر		
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ...﴾	٦٠	٣٦، ٢٠٠
الزخرف		
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِى بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ* إِلا الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِين﴾	٢٦–٢٧	٣١
﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ﴾	٢٨	٣٢
﴿وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِى أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٧٢	٤٦
الجاثية		
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ...﴾	١٨	٨٩
الحجرات		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ﴾	١	١٤٦
﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ...﴾	١٤	٤١
الذاريات		
﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٢٣
الرحمن		
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾	٦٠	٨٣
﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِى الْخِيَامِ﴾	٧٢	١٦٤
الواقعة		
﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾	٩٥	١١٨
الجمعة		
﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ...﴾	٢	١١٣

التغابن		
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ...﴾	١٢	٨٨
القلم		
﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	١١٣
الحاقة		
﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾	١٠	١١
﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾	٥١	١١٧
القيامة		
﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾	١٣	١٤٦
﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾	٣٦	٢
الشمس		
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ...﴾	٧–١٠	١١١، ١١٢
البينة		
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾	٥	٢٣، ٥٠
الزلزلة		
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾	٧–٨	٤٥
التكاثر		
﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾	٨	٧٩
﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾	٥	١١٨
﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾	٧	١١٨
﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـٰذَا الْبَيْتِ* الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ...﴾	٣–٤	١٢٢
الكوثر		
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾	١–٢	١٥٧

ثانيًا: فهرس أطراف الأحاديث النبوية